﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو المعالى الشيخ على بن أبى السعود الشيخ محمد سعيد بن أبى البركات جمال الدين الشيخ عبد الله الشهير بالسويدى بن حسين بن مرعى بن الشيخ ناصر الدين بن الحسين بن على ابن أحمد بن محمد المدلل بن عبد الله بن الحسين بن على بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى بكر بن الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن على بن أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر بن محمد بن الرشيد بن محمد بن عبد الله المنصور ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان رحمه الله تعالى أعلم أهل عصره فى مصره بالحديث جل ثالث الشيخين اللذين عزهما التثليث له اليد العليا فى سائر العلوم المنطوق منها والمفهوم نادرة الوجود شبل الحبر أبى السعود قد افتخرت به الزوراء بل حرى ان تفتخر به الغبراء بحر علم لا يدرك شاطيه وطود فضل لا ينال قريبه وقاصيه ان وعظ فما الجوزى فى بلاغته وان خطب فما ابن ساعدة فى جزالته عالم عامل كثير المحامد والفضائل كان يحفظ عشرين ألف حديث من الكتب الصحاح فياله من توفيق وفلاح قال العلامة السيد محمود أفندى الألوسى مفتى مدينة بغداد فى كتابيه نزهة الألباب ومجموعة الوسطى ما لفظه كان الشيخ المشار اليه لا زالت سحائب الرحمة متوالية عليه لأهل السنة برهانا وللعلماء المحدثين سلطانا ما رأيت أكثر منه حفظا ولا أعذب منه لفظا ولا أحسن منه وعظا ولا أفصح منه لسانا ولا أوضح منه بيانا ولا أكمل منه وقارا ولا آمن منه جارا ولا أكثر منه حلما ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علما ولا أغرب منه عقلا ولا أوفر منه فى فنه فضلا ولا ألين منه جانبا ولا آنس منه صاحبا ولهذا الفاضل نظم كثير ونثر يزرى بدرارى الفلك الأثير لكن لم يحفظ منه الا القليل ولقد حسدنا الدهر عليه ففرقه أيادى سبا وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبا شطر بيت

* وسهم الرزايا بالنفائس مولع * ولقد مضت لى معه أيام كرعت فيها من حيا مجالسه أهنا مدام حيث السحاب مريع والزمان ربيع والنسيم عليل . والوقت كله سحر وأصيل وقد كان فى مبدأ طلبى وأوائل تحصيل أربى وأوان صلاحيتى لمجالسة أمثاله وقابليتى لقطف جنى افضاله قاطنا فى دمشق الشام لا زالت شامة وجنات بلاد الاسلام وكانت تفد اخباره على مسامعى وتتشوق الى لقياه أجفان عيون مطامعى حتى لقيته فاهتزت به اعطاف المسره ونلت منه ما هو للروح قوة ولطرف الظرف قره فرأيته كأنما سرق الحسن من بعض شمائله واقتطف العلم من بعض فضائله طبع أرق من برد النهر هلله الشمال وأصفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال

له صحائف أخلاق مهذبة * منها العلى والحجا والظرف ينتسج

وقرأت عليه نخبة شرح الفكر في مصطلح أهل الاثر فرأيته عزيز المثال غريب الكمال فرد في الحديث شاذ النظير في القديم والحديث صحيح التقرير حسن التحرير كلامه محكم غير مختلف ولا منسوخ وشاهد فضله له متابعات على انه ذو رسوخ سند كاله أصح الأسانيد وسلسلة جاله كاللؤلؤ النضيد مرسل معروفه متصل غير منقطع ولا منعضل ولا معلق ولا منكر ومزيد احسانه متواتر مستفيض مشهور أوضح من ان يسطر نقله غير موضوع ولا مضطرب ولا مصحف ولا معلل ولا مقلوب ولا محرف كل فضل مدرج في افضاله وكل مشكل ينحل بأقواله لا تدليس بصفاته ولا توقف في رجحان ذاته ثم انه لم يبق الا القليل حتى عزم على الرحيل وقصد الرجوع الى الشام وكان ذلك لأمر أراده العليم العلام فامتطى غارب الاغوار والانجاد والزمان يضمر سلب ما أولاه بخلاوان جاء الى ان حل بناديها وتغذى بنسيمها وأم بحجر نعيمها وقال في ظلال أغصانها المتعانقة هوى وودا وتعطر بأنفاس شمائلها التي صارت للند ندا فلم تمض مدة حتى قطفت يد الأجل نواره واطفأت ريح المنية أنواره فتوفي ليلة الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين فيالها مصيبة جلبت النصب والعطب وكان يقرأ في سكرات الموت قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية الى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فترك قراءته والتزم اجابته فبعد اتمام الشهادتين أجابت روحه داعي الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم غسل وكفن وبقي الى الصباح فصلي عليه ودفن في سفح جبل قاسيون وجرت عليه من العيون عيون فانا لله وانا اليه راجعون اهـ وقد رثاه جماعة من فضلاء زمانه منهم الفاضل الشيخ علي الأمين ناظم الدر الثمين بقصيدته التي جاءت بأحسن نظام وأتم انسجام مطلعها

هو الموت لا ينفك يسطو بجحفل * على كل ناد للكرام ومحفل
* يخاتلنا حينا وحينا بمكره * وينقد منا كل أفضل أفضل
ويرصدنا رصد العدو عدوه * ويرقب منا فرصة المتفضل
فيصطاد منا كل أصيد باسل * ويمتاز بالتمييز كل مبجل
فان كنت لا تدرين يا نفس فانظري * الى دار مجد قد عفاها ومنزل
وان كنت لا تدرين بالموت فاعلمي * بأن ممات الأرض فرقة مفضل
الام وحتى يازمان الى متى * تجرع سادات الورى كاس حنظل
أرى الدهر بالامجاد يا سعد مولعا * يسومهمو في كل دهياء معضل
ألم تر دار المجد بالكرخ أصبحت * بها الندب بعد الندب قد وتناعلى
قضى فقضى من بعده الجود والندا * وناح عليه من يتيم ومرمل
فقيد له تبكي العلوم جميعها * بكاء ثكول عند فقدانها الولي

فتى فضله كالشمس يشرق جهرة * اذا ماروه بالحديث المسلسل
سقى الناس من فيض العلوم وفى غد * سيسقى سريعا من رحيق وسلسل
اما ودموع فى الدياجى تصوبها * أماقيه فى وقت الدعا والتبتل
لقد كان للاسلام كهفا وناصرا * وعضبا لحرب الضد لم يتفلل
بكى العلم والتدريس شجوا لفقده * وكان لجيد العلم كالعقد فى الحلى

الى ان قال

تركت به أقصى المصاب مؤرخا * نعم بنعيم الخلد منزله على

ومن رثاه وأرخ وفاته الشيخ على المكى بقصيدته التى مطلعها

لمن منزل يبكى له كل منزل * وكل به فى لاعج الوجد مصطلى
أرى النفس بالاشراف تغلى بأدمع * لها فى صدور القوم آثاف مرجل
أ آن لنا من نفحة الصور نفخة * وجلجل اسرافيل فى كل معضل
أم الكون وافى آخر الكنه فانتهى * بدهياء تسقى النائبات بحنظل

الى ان قال

وفى ذاك نادى فى الجنان مؤرخا * على له فى الخلد أروح منزل

وقد رثاه وأرخ وفاته ابن عمه الشيخ محمد سعيد بن الشيخ احمد السويدى بقوله

مذ وسد اللحد نادانا مؤرخه * ان المدارس تبكى عند فقد على

ولقد حزن عليه المسلمون والاسلام وأبكى حمامه حمام الشام

بيت

حمائم أبلت فى الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق لجيدها

ومن شعره تخميسه لقصيدة الامام البوصيرى التى مطلعها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ماقدمت مسؤل

ومن شعره

يا نفس كم لا تعبثين بحال * هلا اتعظت بفرقة الامثال
هذا الشباب تصرمت أيامه * وأتى المشيب يميل للترحال

وهى قصيدة طويلة لا يسع ذكرها وله من المؤلفات هذا الكتاب المسمى بالعقد الثمين ورسالة فى الخضاب وشرح المناوى الصغير ودرس ووعظ وأخذ العلم عن والده وعن عمه الشيخ عبد الرحمن السويدى وبه تخرج وعن فحول زمانه لازال ثاويا فى قصور الجنان وضريحه مطاف الرحمة والرضوان ما بكى القطر لفراق الغمام وضحك النور لبكائه فى الأكمام آمين .

﴿ فهرست كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين للعلامة السويدي ﴾

صحيفة

﴿ تمت ﴾

al-Suwaydi, ʿAli ibn Muhammad

al-ʿIqd al-thamin

﴿ كتاب ﴾

العقد الثمين في بيان مسائل الدين

تأليف الشيخ الفاضل العالم العلامة الشيخ علي ابن
الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن
الحسين بن مرعي بن ناصر الدين
العباسي الشافعي الشهير
بالسويدي رحمه
الله تعالى
آمين

﴿ وقد وضع بأسفله حواش قد جردت من نسخة المؤلف وقد فصل بينهما بجدول ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ﴾
﴿ سنة ١٣٢٥ ﴾

قال الشيخ الامام العلامة القمقام الشيخ على ابن العلامة الشيخ أبى السعود محمد سعيد نجل العلامة الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعى بن ناصر الدين العباسى الشهير بالسويدى فى رسالته التى سماها العقد الثمين فى بيان مسائل الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين حمد معترف بربوبيته موحد له فى ألوهيته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا فردا صمدا تفرد بالملك والبقاء والمنع والعطاء فلا يضاهيه أحد فى صمديته وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من خير جراثيم العرب فهو المختار من جميع بريته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه المبين

(قوله بسم الله الرحمن الرحيم) أى أؤلف والباء للاستعانة أو للملابسة والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو من الوسم وهو العلامة وحذفت همزته تخفيفا لكثرة الاستعمال والله علم على الذات الواجب الوجود لذاته وقيل هو اسم الله الأعظم وعدم الاستجابة لأكثر الناس لعدم استجماعهم لشروطه وهو الجامع لصفات الكمالات والرحمن من رحم كغضبان من غضب وهو صفة لله والرحيم صفة ثانية لله وجعل الرحمن صفة مبنى على انه من الصفات وقيل انه علم فيكون بدلا من لفظ الجلالة ويكون الرحيم صفة له لا لله لان البدل لا يتقدم على النعت ثم اطلاق الرحمة على الله هو باعتبار غايتها لا باعتبار مبدئها لاستحالته عليه وباعتبار الغاية ان أريد بها الاحسان كانت صفة فعل أو ارادة الاحسان كانت صفة ذات (قوله الحمد) هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل سواء كان جميلا فى الواقع أو فيما عند الحامد سواء تعلق بنعمة أو بغيرها (قوله الدين) أى الجزاء (قوله فى ألوهيته) فى ذكر الربوبية والألوهية براعة استهلال (قوله وأشهد الخ) أى اعلم واذعن أن لا معبود بحق فى الوجود (قوله واحدا) أى فى صفات الالوهية لا شريك له (قوله فردا) لا شفع له من صاحبة أو ولد لعدم مجانسته غيره (قوله صمدا) يقصد فى الحوائج من صمده يصمده صمدا أى قصده (قوله والبقاء) فانه الباقى بذاته (قوله فلا يضاهيه) أى يشابهه (قوله المصطفى) أى المختار (قوله جراثيم) جمع جرثومة

واستن

واستن بسنته (وبعد) فانى لم أزل أتوقع الغثور بمؤلف جامع من الأصول الدينية مايحتاج
اليه كل واقف ضابط لأمهات مسائل الخلاف فى المقاصد والمواقف فلم أرالامافى أيدى الناس من
كتب العقائد وقد شحنت باصول الفلاسفة فلاتفيد الاالشك والالباس وكنت أودّان لوكانت
لى طاقة على عمل مّا أبين فيه الحال بتحقيق دين الله بأوضح قال آتيامن الدلائل الصحيحة
والبراهين الصريحة من الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة ثم أنظر فاجدها كالة عن مثل
تلك المطالب العالية عاجزة عن أداء هاتيك المآرب القاصية الغالية وكم من مرة أشجع النفس
فتصدّنى قلة البضاعة ويثبطنى علمى بانى ذوجهل فى هذه الصناعة وأدير فكرى فارى الناس
قد ارتبكت عقائدهم بشبه فلسفية كدحوا بها أذهانهم وأشغلوا فيها أنفسهم ليلهم ونهارهم
وجميع ذلك من تلبيس ابليس وماألقاه عليهم من التمويه والتدليس فترى أحدهم اذا سمع بشئ
من علوم الكتاب والسنة ولى مدبرا كأن فى أذنيه وقرا واذا قرئ عليه ماتزعمه الفلاسفة اخوان
الشياطين فى ضلالاتهم من بيان العقول والنفوس وأمثال هذه الترّهات التى ماأنزل الله بها

(قوله الغثور) أى الاطلاع (قوله فى المقاصد والمواقف) اشارة الى اسم كتابين فى
علم الكلام (قوله العقائد) مايقصد به الاعتقاد دون العمل فان الاحكام المأخوذة من الشرع
قسمان أحدهما مايقصد به نفس الاعتقاد كعلمك بان الله تعالى عالم قادر بصير وهذه تسمى
اعتقادية وأصلية وعقائد علم الكلام لحفظها والثانى مايقصد به العمل كعلمك بان الصوم
واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية (قوله شحنت) أى ملئت (قوله
الشك) أى خلاف اليقين (قوله والالباس) أى التغطية (قوله أود) أى أحب (قوله
قدرة) أى طاقة (قوله الدلائل) جمع دليل وهو لغة المرشد واصطلاحا التوصل بصحيح العقل
الى علم أوظن نقليا كان وهو الكتاب والسنة والاجماع والقياس أوعقليا كالبرهان (قوله
والبراهين) جمع برهان وهو لغة الحجة مطلقا واصطلاحا قضايامتى سلمت لزم عنها قول آخر كقولنا العالم
متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث (قوله سلف) بفتحتين أى متقدمها وهم أهل القرون
الثلاثة الذين شهد النبى صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون (قوله العالية) أى المرتفعة (قوله
القاصية) أى البعيدة (قوله الغالية) ضد الرخيصة (قوله ويثبطنى) أى يعوقنى يقال ثبطه
عن الامر أى عوقه (قوله ارتبكت) أى اختلطت واشتبكت (قوله كدحوا) أى خدشوا
(قوله اذهانهم) جمع ذهن وهو الفطنة (قوله تلبيس) أى تخليط وتدليس (قوله وقرا)
أى يمنعه أن يسمع شيأ من علومهما والوقر ثقل فى الأذن أوذهاب السمع (قوله الشياطين) جمع
شيطان وهو كل عات متمرد من انس أوجان (قوله الترهات) بضم الفوقية وتشديد الراء جمع

من سلطان أقبل عليها مستبصرا علنا وسرا فكانهم أمروا باتباع سنة أفلاطون وماله من الأوهام والظنون فهذا ما حدانى على عمل هذا المؤلف مع ما أنا عليه متوكلا على الله سبحانه راجيا منه الاعانة عليه قل حسبى الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد رتبته على مقدمة وخمسة عشر بابا وخاتمة

﴿المقدمة فى بيان أخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بغربة الدين والحث على الفرار من الفتنة فيه وانه يحصل الاختلاف الشديد فى أمته وحرض صلى الله عليه وسلم على اتباع سنته ولزوم طريق صحابته﴾

قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وأعظم الفتن الفتنة فى الدين ألا وان ابليس اللعين قد وقف للناس فى مراصدهم يصدهم عن الهدى باغوائهم فتى أغواهم وزاغت عقائدهم التى هى مبنى الدين وأساس ملة المسلمين علم أن لا ينفعهم عمل كثيرا وقل اللهم الا أن يلطف

ترهة وهى الأباطيل (قوله من سلطان) أى من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها (قوله مستبصرا) متأملا ومستبينا (قوله علنا) أى جهرا (قوله وسرا) السر واحد الاسرار وهو الذى يكتم من الغير (قوله سنته) أى طريقته (قوله الأوهام) جمع وهم وهو من جملة الاشياء غير اليقينية (قوله حدانى) أى ساقنى (قوله فتنة) الفتنة المحنة التى يفتتن بها الانسان (قوله خاصة) بل يعم شرها كاقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة فى الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل عن الاقتتال فى الجهاد وغير ذلك من سائر البدع المحدثة المردودة (قوله الدين) هو وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود الى ما يصلحهم (قوله ألا) هى حرف استفتاح والقصد اعلام السامع بان ما بعده مما ينبغى ان يصغى اليه ويفهمه ويعمل به لعظم موقعه (قوله اللعين) أى الطريد (قوله فى مراصدهم) المرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدو (قوله الهدى) فى الأصل الهدى مصدر كالتقى والسرى فقيل هو الدلالة وقيل هو الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال فى قوله تعالى وانك لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب (قوله باغوائهم) أى اضلالهم كما ذكره الله تعالى فى قوله فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين وقد وصى ابليس بنيه باغوائهم وبان يقعدوا لهم كل مرصد (قوله زاغت) أى مالت (قوله عقائدهم) وهى ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل (قوله اساس) أى أصل (قوله ملة) هى ما أملاه الله على لسان نبيه لعباده من الأحكام (قوله لا ينفعهم عمل الخ) لدخولهم فى عداد الكفار أو المبتدعين الضالين (قوله يلطف) اللطف بالضم من الله

الله

الله تعالى بهداية عبده الى سبيل المسلمين وتوفيقه للتوبة الصحيحة التى من الله بها على المذنبين وأكبر الظلم الشرك الاكبر فان متعاطيه ظالم لنفسه بتعديه مايطلب منه من اخلاص عبوديته لخالقه الذى أوجده من العدم وأظهره سويا من بعد الكتم فاذا أشرك فقد ظلم نفسه بتعديه ماهو واجب عليه ولما كان الظلم لغة وضع الشئ فى غير محله قيل له انه ظالم غير موف للحقوق الواجبة عليه لربه بمعنى انه عامله بما لايليق به سبحانه من اخلاص عبادته وافراده فى معاملته باشراكه معه غيره من خلقه المساوبه فى خلقه اذا علمت هذا وعلمت ان الفتنة الواقعة بعد الأمر باتقائها وتجنبها من أعظم فتنة واقعة فى الدين وقد أخبر الله سبحانه انها لاتخص الظالم يتبين لك ان من والى الظالمين باى نوع من أنواع الموالاة متعرض للبوار وانه هو المقصود بهذا الانذار كما قال سبحانه ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقال سبحانه مافرطنا فى الكتاب من شئ فأتى تبارك وتعالى بهذا الاستفهام الانكارى تعليما لعباده فانه قد بين لنا قواعد الدين وأكملها فقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا والحق هو الثابت الموافق لما فى نفس الأمر من حق الشئ اذا ثبت فاذا كان الله سبحانه قد أكمل لنا الدين بما أنزله فى كتابه العربى المبين وعلى لسان نبيه امام

التوفيق والهداية (قوله للتوبة) هى فى اللغة الرجوع وفى الاصطلاح الندم على ما كان من حيث المعصية مع عدم الرجوع اليها (قوله من) أى أنعم (قوله على المذنبين) فان المذنب يرجى له بعد التوبة الصحيحة ان يكون عند الله من المقبولين (قوله قيل له) أى لمتعاطى الشرك (قوله سبحانه) سبحان مصدر بمعنى التسبيح لازم للنصب والاضافة الى مفرد ظاهر أو مضمر (قوله لاتخص الظالم) بل تعمه وغيره (قوله للبوار) أى الهلاك (قوله ولاتركنوا الخ) أى لاتميلوا أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه مايسمى ظلما فما ظنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ مايتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه (قوله فماذا الخ) أى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فأتى به (قوله مافرطنا) التفريط التقصير (قوله قواعد) جمع قاعدة وهى قضية كلية يتعرف بها أحكام جزئياتها نحو العلم ثابت لله تعالى (قوله أكملت لكم دينكم) أى بالنصر والاظهار على الاديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانينها الاجتهادية (قوله وأتممت عليكم نعمتى) أى بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين (قوله ورضيت لكم الاسلام دينا) من الاديان وهو الدين الاسلامى لاغير قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام (قوله امام) من أمك

المتقين مما بلغ من الأحكام وشرعه لنا من حلال وحرام فمن اتبع غير سبيل المؤمنين فهو الحقيق بالوعيد الثابت فى كلام رب العالمين ويؤيد ذلك قوله سبحانه فى الآية الأخرى ما فرطنا فى الكتاب من شئ والتفريط التقصير فقد نفى سبحانه التقصير فيما شرع عن كتابه العزيز الذى هو متن للسنة فله الحمد تبارك وتعالى والمنة ومن نظر بعين بصيرته وأمعن الفكر فى طريق الاتباع وحقيقته فحاد وابتدع وللهوى والاطماع اتبع كان كحاطب ليل أو متحير يدعو على نفسه بالثبور والويل وقد نهى الله سبحانه عن اتباع غير سبيل المؤمنين وأمر باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم فقال عز من قائل وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فحث سبحانه على اتباع سبيله الذى هو الكتاب والسنة حثا مقرونا بالنهى عن اتباع السبل مبينا بأن ذلك سبب للتفرق ولذلك ترى المسلمين قد لزموا سبيلا واحدا أمروا بسلوكه وقد أرشدهم الله تعالى الى طلب الهداية اليه فى كل صلاة بقوله تبارك وتعالى

أى صار أمامك أى قدامك وهو المقتدى به والمتبع (قوله المتقين) جمع متق وهو الحافظ لحدود الله المؤتمر بأوامره والمنتهى بنواهيه (قوله الاحكام) جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف (قوله من حلال) يتناول الواجب والمندوب والمباح والمكروه وخلاف الاولى (قوله وحرام) يتناول الحرام لذاته كالزنى والحرام لغيره كالصلاة فى الأرض المغصوبة (قوله بالوعيد الخ) كما قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (قوله عن كتابه) فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من الدين مجملا ومفصلا (قوله الفكر) هو حركة النفس فى المعقولات وأما حركتها فى المحسوسات فتسمى تخيلا (قوله فحاد) أى مال (قوله والاطماع) جمع طمع وهو ذل ينشأ عن الحرص على الدنيا (قوله كحاطب ليل) أى كمن يجمع الحطب بالليل فلا يميز بين الرطب واليابس والضار والنافع (قوله متحير) أى متردد (قوله الثبور) أى الهلاك (قوله والويل) أى حلول الشر (قوله وان هذا الخ) الآية فى الانعام والاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة (قوله مستقيما) لاعوج فيه (قوله السبل) أى الاديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (قوله عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (قوله سبيلا) أى طريقا (قوله بسلوكه) بدخوله (قوله أرشدهم) أى هداهم (قوله الهداية) هى الدلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وأما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فعلى التهكم قال القاضى البيضاوى وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه

اهدنا

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم قال بعض السلف أنعم عليهم باتباع السنة وأما أهل البدع والاهواء فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة كل حزب بما لديهم فرحون وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله وقال هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ تتقون وقال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول أي الى الكتاب والسنة فأمر سبحانه برد الأمر حالة النزاع الى كتابه العزيز والى سنة نبيه ففي حالة الوفاق أولى وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فقد جعل سبحانه شرط اتباعنا له محبتنا اياه فان وجدت المحبة وجد الاتباع وان عدمت عدم فالاتباع مترتب على الحب ومشروط به فعلى قدره ضعفا وقوة ووجودا وعدما يتقدر وبغير الحب يتعذر وكيف لا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المبلغ للكتاب

كالقوة العقلية والمصالح الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع ان يكشف عن قلوبهم الستائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياهم عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه انتهى **(قوله الصراط المستقيم)** أي الطريق المستوي والمراد به طريق الخير الموصل الى ملة الاسلام **(قوله حزب)** أي طائفة وقوله بما لديهم أي من الدين وقوله فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق **(قوله شيطان)** فعلان اذا كان من شاط بمعنى احترق أو فيعال اذا كان من شطن بمعنى هلك **(قوله تتقون)** الحديث رواه الدارمي **(قوله في شئ)** أي من أمور الدين **(قوله فردوه)** أي فارجعوا فيه **(قوله قل)** يا محمد وقوله ان كنتم أيها الساجدون للصنم تزعمونه حبا لله وانه الباعث عليه وقيل خطاب لنصارى نجران لما زعموا أنهم يعبدون المسيح حبا لله وقوله فاتبعوني فيما جئت به ومنه سنته وقوله يحببكم أي يرض عنكم ويثبكم وفك الادغام لغة أهل الحجاز وجزم يحببكم لانه جواب الامر وقوله ويغفر الخ زيادة على المحبة والمراد يحصل لكم فوق مطلوبكم كما قيل

ليس الشأن أن تحب * وانما الشأن أن تحب

(قوله يتعذر) ولم يستقم **(قوله المبلغ)** الموصل

الناطق بالحق والصواب كما قال عز من قائل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر فاذا الواجب علينا معاشر المسلمين اتباعه فى جميع أقواله وأفعاله والتأسى به فى سائر أحواله وانقتدى بما كان عليه أصحابه فانهم المبلغون عنه صلى الله عليه وسلم وأحبابه قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما أخبث رجلا ترك سبيل السنة الشارحة للكتاب واستبدل العذب بالعذاب فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ولا تحصل طاعته صلى الله عليه وسلم الا بامتثال أمره حلوه ومره وقبول المأمور لأمره بانشراح صدره قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فمن تأمل فى معانى هذه الآية الشريفة وما تضمنته من التأكيدات والتهديدات المنبئ عنها تكرير النفى لايمانهم ان لم يعملوا بها طأطأ رأسه وحاسب نفسه خاضعا لرب العباد مستعينا بمالك الامر

(قوله الناطق بالحق) أى الذى ينطق به (قوله الا الخ) أى الا وحى يوحيه اليه الله (قوله الى صراط الخ) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (قوله اسوة) أى قدوة (قوله يرجوا الله) أى ثوابه واحسانه وقوله واليوم الآخر لما فيه من رفع الدرجات بحسن العمل فيرجو نعيمه أو يخاف عذابه (قوله والتأسى) الاقتداء (قوله فخذوه) أى فتمسكوا به لان اطاعته من اطاعة ربه وقوله فانتهوا أى عنه (قوله العذب) هو كل مستساغ من الطعام والشراب (قوله بالعذاب) المؤلم أى اتخذه بدلا (قوله يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمره بترك حكمه (قوله أو يصيبهم الخ) أى فى الآخرة (قوله فلا وربك) أى ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك لا يؤمنون ايمانا معتدا به حتى يحكموك أى يجعلوك حكما فيما شجر اختلف بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ضيقا أو شكا مما قضيت عليهم وما مصدرية أو موصول اسمى والعائد ضمير منصوب محذوف أى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك ويسلموا تسليما أى ينقادوا لامر الرسول انقيادا والآية نزلت حين خاصم الزبير رجلا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير فقال الرجل أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أو حين اختصم رجلان يهودى ومنافق فقضى بينهما رسول الله فقال المنافق المقضى عليه ردنا لعمر فلما أتياه قال مكانكما فجاء بالسيف وقتل من لم يرض بحكم الرسول فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أظن ان عمر يجترى على قتل مؤمن فتلا عمر الآية قبل نزولها فنزلت وهذا أحد موافقات عمر رضى الله عنه للقرآن (قوله المنبئ) المخبر (قوله طأطأ رأسه) خفضه (قوله خاضعا) متواضعا (قوله الامر)

في يوم التناد وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فعليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) فقد اشتملت هذه الآية الشريفة على دقائق المعاني منها تكرير الفعل وسره الدلالة على ان ما يامر به رسوله صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه وان لم يكن مامورا به بعينه في القرآن فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بامره سبحانه فهو اذا مستقل بالطاعة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته ياتيه الامر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من شئ اتبعناه ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه ومنها ان قوله تولوا بحذف احدى التاءين أراد به من يقع عليه الخطاب من عباده والمعنى انه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم كما ذكره البخاري في صحيحه عن الزهري فان تطيعوه فهو حظكم وسعادتكم وان لم تطيعوه فقد أدّى ما حمل وما عليه الا البلاغ وحكى الشافعي اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ان من استبانت له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وهو كلام حق لا يستراب فيه وكيف تترك نصوص الشارع ويؤخذ باقوال غيره ممن يجوز عليه الخطأ فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وقد نقل ابن القيم وناهيك بجلالته واتساعه في معرفة علوم الكتاب والسنة عن قتادة قال كلمتان يسئل عنهما الاوّلون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين وفقنا الله للتمسك بحبل الله المتين باتباع سنة نبيه سيد المرسلين والآيات في هذا الباب كثيرة جدا * وأما الاحاديث النبوية في ذلك فنها ما رواه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في مصابيحه الذي قسمه الى صحاح وأراد بها ما رواه الشيخان

أي الشان (قوله يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (قوله فانما عليه) أي على الرسول وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ما حمل من التبليغ وقوله وعليكم ما حملتم من الامتثال الى حكمه وقوله وان تطيعوه أي في حكمه وقوله تهتدوا أي الى الحق وقوله الا البلاغ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقي ما حملتم فان أديتم فلكم وان توليتم فعليكم (قوله يوشك) أي يقرب (قوله أريكته) الاريكة كما في النهاية السرير وقيل هي كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة (قوله حظكم) أي نصيبكم (قوله لا يستراب) لا يشك (قوله وناهيك) في القاموس نهيك من رجل وناهيك منه ونهاك منه بمعنى حسب (قوله ماذا كنتم الخ) كما قال تعالى ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تعبدون وقوله ماذا أجبتم الخ كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فانه تعالى يسأل أوّلا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (قوله سيد المرسلين) فيه استعمال

البخارى ومسلم والى حسان وأراد بها مارواه أبو داود السجستانى وأبو عيسى الترمذى وغيرهما من الائمة الجهابذة النقاد فى صحاحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك ان يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ويوشك بكسر الشين مضارع أوشك من الآفعال التى تفيد مقاربة الفعل والشعف جمع شعفة وهى رأس الجبل ومواقع القطر مواضع وقوع القطر والمراد الصحارى والجبال فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وأفاد ان خير مال المسلم ما يعينه على دينه وان المسلم لا همة له اذا رأى الفتن التى يكون أعظمها فى الدين الا الفرار بدينه حرصا عليه وخوفا من الفتنة فيه وروى البخارى فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه انه قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يارسول الله انا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتى ويهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم

السيد فى غير الله تعالى والصحيح جوازه وفى المقتنى لناصر الدين بن المنير فى ذلك ثلاثة أقوال جواز اطلاقه على الله وعلى غيره وامتناع اطلاقه على الله تعالى وامتناع اطلاقه على غير الله متمسكا بما روى من انه صلى الله عليه وسلم قالوا له ياسيدنا قال السيد هو الله والصحيح هو الأول ويشهد له من الكتاب قوله وسيدا وحصورا وقوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله فى الحديث الآتى فى باب الشفاعة أناسيد الناس يوم القيامة ولكن هذا فى مقام الاخبار عن نفسه برتبته ليعتقد انه كذلك وأما فى ذكره والصلاة عليه فقد علمهم الصلاة لما سألوه عن كيفيتها بقوله قولوا اللهم صل على محمد الخ ولم يذكر لفظ السيد وقوله فى الحسن بن على رضى الله عنهما ان ابنى هذا سيد وقوله قوموا الى سيدكم ونقل النووى فى الأذكار عن النحاس جواز اطلاقه الا ان يعرف بأل ثم قال والأظهر جوازه بالألف واللام لغير الله والسيد قال النووى يطلق على الذى يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم وعلى الحليم الذى لا يستفزه أى يحركه غضبه وعلى الكريم وعلى الملك (قوله الجهابذة) جمع جهبذ بالكسر النقاد الخبير (قوله غنم) خص الغنم بالذكر لضعفها وتواضع صاحبها غالبا (قوله يفر الخ) حال أو استئناف وفيه ندب العزلة عند ظهور الفتن هذا اذا خشى على دينه وأما اذا لم يخش فالمخالطة أولى لحضور الجمعة والجماعة (قوله مضارع أوشك) بفتحها (قوله شعفة) بالتحريك (قوله الصحارى) جمع صحراء الفضاء الواسع لا نبات به (قوله فاعتزل) أى فتنح (قوله باقتفائه) أى باتباعه (قوله والسمت) هو السيرة

اليها

اليها قذفوه فيها قلت يارسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما تامرني ان أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك فيا له من حديث اشتمل على علوم أخبر بها الصادق الأمين وأبان عن فوائد جليلة تفيد العلم اليقين منها حرص الصحابة على تعلم ما يستقيم به دينهم المتين ومنها ان أول خير يقع في أمته فيه كدوره تذهب بصفائه وتغيير يغاير ما أمروا باقتفائه بسبب عدم استنانهم ببعض السنة وهي ماسنه النبي صلى الله عليه وسلم وعدم هديهم بهديه والهدى الطريقة والسمت ولما كان الايمان وفعل الخيرات ثابتا منهم الا أنهم خالفوه ببعض سنته التي أمروا باتباع جميعها كان خيرا وفيه دخن ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم تعرف منهم وتنكر أي ترى منهم المعروف والمنكر ومنها انه يكون بعد ذلك دعاة على أبواب جهنم والدعاة جمع داع وهو من يدعو غيره والمراد انه يظهر جماعة من أهل الضلالة يدعون الناس الى الشر فكان من أجابهم قذفوه في النار والظاهر انهم رؤساء تسمع أقوالهم وتتبع أفعالهم اذا علمت ذلك فليس العجب من قوم جهال متبعين لاهوائهم ماشين في ظلمات جهلهم وضلالهم وانما العجب من قوم يدعون العلم والصلاح ويزعمون انهم على منهج الفلاح وقد صاروا أئمة الضلال للعوام واقتدى بهم الخاص والعام ولقد صدق عليهم قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر من أدرك ذلك الزمان أن يلزم جماعة المسلمين وامامهم وهم الذين اتبعوا سنته ولازموا طريقته فان لم يكن لهم جماعة وكانوا غرباء وذلك عند غربة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا

(قوله قذفوه) أي رموه (قوله أئمة) جمع امام وهو المقتدى به والمتبع (قوله واقتدى بهم الخ) وهم كذابون كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ولقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انهم يتزيون بزي العلماء ويقولون نحن علماء نعلمكم دينكم ونرشدكم الى الحق وهم كذابون يحدثونكم بالأحاديث الكاذبة ويعلمونكم اعتقادات فاسدة ويبتدعون أحكاما في الملة فاحذروا منهم ولا تقربوهم كيلا يضلوكم (قوله اتخذ الهه هواه) بان أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا بل ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده (قوله الآية) وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (قوله كما قال) الحديث رواه الترمذي (قوله بدا الاسلام غريبا) لسبق الكفر عليه وتمكن الكفرة منه

وسيعود غريبا فطوبى للغرباء فالواجب عليهم العزلة عن تلك الفرق كلها ثم حرض على هذا الاعتزال الذى فيه سلامة الدين بقوله على سبيل المبالغة ولو ان تعض باصل شجرة حتى ياتيك الموت وأنت على هذا العمل معرض عن كل ما يفسد عليك دينك الذى هو رأس مالك صابر على تلك المعاطب والمهالك ولولا الاسهاب لوسعت الباب وفيما ذكرت كفاية لذوى الالباب والله الملهم للصواب وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع

(قوله وسيعود غريبا) اى لغلبة الجهالة وكثرة الضلالة (قوله فطوبى للغرباء) وفى رواية مسلم عن أبى هريرة ان الدين بدأ غريبا الحديث فقوله بدأ بالهمزة يعنى الاسلام كان كالغريب فى الزمان الأول ولم يكن يقبله الا القليل أو المراد ان أهل الدين فى الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يخالطوهم وكان حالهم مع أقاربهم أسوأ من حالهم مع الغرباء فسيكون كذلك فى الآخر وطوبى مصدر طاب اسم شجرة فى الجنة يعنى كون أهل الدين غرباء ليس منقصة عليهم بل هو سبب لعزتهم فى الآخرة وقد جاء تفسيرهم فى حديث آخر انهم النزاع من القبائل يعنى انهم الذين كانوا اقليلا فلا يوجد فى قبيلة منهم الا الواحد أو الاثنان بل لا يوجد واحد منهم فى القبائل والبلدان كما كان كذلك فى ابتداء ظهور الاسلام وفى حديث آخر انهم الذين يصلحون اذا فسد الناس يعنى انهم قوم صالحون عاملون بالكتاب والسنة فى زمان فساد الناس (قوله العزلة) بالضم الاعتزال (قوله صابر) غير جازع (قوله المعاطب) الدواهى (قوله والمهالك) جمع مهلكة المفازة (قوله الاسهاب) أى الكلام الكثير يقال أسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب (قوله لذوى الألباب) أى العقول الكاملة (قوله العرباض) بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية بعده موحدة وآخره ضاد معجمة ابن سارية بمهملتين بينهما ألف وبعد الثانية تحتية (قوله موعظة) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب وفيه ينبغى للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم ويخوفهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام والحدود والرسوم وانه ينبغى المبالغة فى الموعظة لترق القلوب فتكون أسرع الى الاجابة (قوله وجلت) بكسر الجيم خافت (قوله وذرفت) بالذال المعجمة وفتح الراء من باب ضرب أى سالت وقوله منها العيون أى دموعها لما تأثر القلب ظهر ذلك فى العين بجرى الدمع (قوله موعظة مودع) كان وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغته صلى الله عليه وسلم فى تخويفهم وتحذيرهم على ما كانوا ايألفونه قبل ذلك اقرب وفاته ومفارقته لهم فان المودع يستقصى بما لا يستقصى غيره فى القول والفعل وفيه جواز تحكيم القرائن والاعتماد عليها فى بعض الأحوال لانهم انما فهموا توديعه

فاوصنا

فاوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على طريقته وحرض على ذلك بقوله عضوا عليها بالنواجذ المراد به المسك بجميع الفم اشارة الى غاية التمسك والنواجذ قيل هي الأضراس وقيل الانياب وقيل هي آخر الاضراس والعض المسك بجميع الفم وأما النهش فانه المسك بمقدم الاسنان فكانه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشئ بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته وروى الطبراني في الكبير باسناد جيد عن شريح الخزاعي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أليس تشهدون أن لا اله الا الله واني رسول الله قالوا بلى قال ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم

اياهم بقرينة ابلاغه في الموعظة أكثر من العادة كما تقرر (قوله فاوصنا) أي وصية جامعة كافية فانهم لما فهموا انه مودع استوصوه وصية تنفعهم ويتمسك بها بعده ويكون فيها كفاية لمن يستمسك بها وسعادة له في الدارين ويؤخذ منه انه ينبغي لتلامذة العالم ان يسألوه في مزيد وعظهم وتخويفهم ونصحهم (قوله بتقوى الله) أي بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله والسمع والطاعة) لولاة الامر في غير معاصي الله تعالى (قوله عبد) بان يكون ولي عملا للامام أو تغلب على الامامة بشوكة فتنعقد بيعته وتنفذ أحكامه (قوله وانه) الضمير للشان (قوله فسيرى اختلافا كثيرا) لانه لا يزداد الامر بعده صلى الله عليه وسلم الا شدة لغلبة الجهل وكثرة الهرج وقوة الضلالة (قوله فعليكم) فالزموا وقوله بسنتي الباء مزيدة في المفعول أو استمسكوا بها فالباء للتعدية (قوله بسنتي) أي طريقتي وسيرتي القويمة التي انا عليها مما أصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرهما (قوله وسنة الخلفاء الخ) أي طريقتهم فهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فالحسن رضي الله عنهم (قوله عضوا) بفتح المهملة (قوله النواجذ) جمع ناجذ بالمعجمة (قوله محدثات الامور) التي لا يشهد لصحتها أصول الشريعة (قوله بدعة) هي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع وسيأتي تحقيقه (قوله ضلالة) لان الحق ما جاء به الشرع فما لا يرجع اليه يكون ضلالة اذ ليس بعد الحق الا الضلال (قوله على طريقته) أي من بعده (قوله فانه المسك بمقدم الاسنان) فهو اما مجاز بليغ اذ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس أو كناية عن شدة التمسك بالشدة والجد في لزومه (قوله ان هذا القرآن) الموجود في الاذهان والمحفوظ في الصدور والمرسوم في السطور والمقروء بالالسنة (قوله بايديكم)

فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا وكذلك رواه الطبراني في الصغير والبزار عن جبير ابن مطعم وروى الطبراني أيضا والبيهقي من رواية الحسن بن قتيبة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر يعني الاسود ويقول اني لأعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك وروى البزار موقوفا ومرفوعا من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده الى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه أو كلمة نحوها زخ في قفاه الى النار وروى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم انه خطب الناس في حجة الوداع قال ان الشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم ولكن رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا اني قد تركت فيكم ماان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه فقوله في الحديث السابق من تركه الى آخرها شك من الراوي في اللفظ وقوله زخ بالزاي والخاء المعجمتين أي دفع وفي كل ماتقدم من الاحاديث الصحيحة حث على اتباع الكتاب والسنة فانهما الامامان اللذان أمرنا بالاقتداء بهما والداعيان الى سبيل الله فاشدد بيديك عليهما ولا تنظر الى ماابتدعه أهل الاهواء فانه من أضر الادواء وستأتيك تفاصيل البدع بانواعها وماورد من النهي عنها في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى والأحاديث في ذلك كثيرة جدا فمن تاملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم ان النبي صلى الله تعالى

لكونه بينكم تتعبدون به تلاوة وامتثالا لاوامره (قوله فتمسكوا به الخ) أي الزموه ودوروا معه كيف دار وعلل ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله فانكم الخ (قوله ولن تهلكوا) بكسر اللام في الافصح هلاكا معنويا أو بالعذاب الاخروي (قوله بعده) أي بعد التمسك بل هو يدفع عنكم العذاب ويجزل لكم الثواب ومن كان الكتاب خصيما عنه فاحت حجته وظهرت محجته (قوله بارضكم) أي أرض العرب وهي المسماة بجزيرة العرب كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يئس ان يعبد في جزيرة العرب وقد اختلف في تحديدها وأحسن ماقيل في ذلك انها فيما بين بحر القلزم وبحر عبادان فمن عبادان الى البحرين خمس عشرة مرحلة ومنه الى عمان ومنه الى مهرة باليمن ومنها الى حضرموت ومنه الى عذيب وهما من اليمن ومنه الى جدة كل ذلك مسافة شهر ومنه الى ساحل الجحفة خمس مراحل ومنها الى حاضرة المدينة ثلاث مراحل ومنه الى ايلة عشرون مرحلة وكذلك منها الى بالس ومنه الى الكوفة ثلاثون مرحلة ومنها الى البصرة اثنتا عشرة مرحلة ومنها الى عبادان مرحلتان فهذا هو الدور المحيط بجزيرة العرب

عليه

عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها الا من مرض قلبه وطاش فى مهاوى الضلال لبه وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاقتداء به فى جميع حالاته سكونه وحركاته عباداته وعاداته وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الاصفى والحظ الوافر الاوفى أذاقنا الله تعالى حلاوة الاتباع ووقانا بفضله شر الفضول والابتداع آمين

﴿الباب الاول فى بيان الدليل على العلم بوجوده سبحانه ووجوب الايمان بوجوده و بتوحيده وعلى توحيده فقط من غير وجوب هل هو العقل أو الشرع وحاصل ماقيل فى ذلك مع بيان الدليل على وجه الاختصار﴾

اعلم ان الدليل على وجوده تعالى باجماع العلماء واطباق العقلاء العقل دون الشرع لان ثبوت الشرع يتوقف على العلم بوجود الله تعالى و بنبوة الرسول فلو توقف العلم بهما أو باحدهما على الشرع لزم الدور المستلزم لفساد الدليل والمدلول ودلالة الشرع على وجوده سبحانه بعد ثبوته بدلالة العقل انما هو للتقوية والتأكيد لان تعاضد العقل والشرع يفيد تأكيد الثبوت الموجب لزيادة الاستئناس وكمال الاطمئنان ومثل ذلك ما اذا دل على الحكم بالكتاب فانه كاف فى افادة الحكم فاذا تعاضدت معه السنة والاجماع والقياس ففى ذلك تمام الثبوت والتأكيد للحكم الشرعى ويكون الدليل المثبت للحكم هو الكتاب والثلاثة الباقية معه لمجرد التقوية والتأكيد من غير ارتياب واختلف فى الدليل على وجوب الايمان بوجوده و بتوحيده فذهبت الاشاعرة الى ان وجوب الايمان بذلك ثابت بالشرع دون العقل والمراد بالشرع ماشرعه الله تعالى لعباده و بينه لهم من الاحكام اما باعلام العباد لهدايتهم بوحى كما حصل للانبياء والمرسلين أو بالهام لهداية الملهم وحده كما فى المحدثين وهم المصيبون فيما حدثوا الموافق حديثهم لما جاءت به الرسل وسموا بذلك لأنهم حدثوا بالامر كما فسره صاحب الكشاف الفائق والمحدث كما قيل نبى نفسه كما كان آدم نبى نفسه قبل خلق حواء وكذلك أصحاب الكهف و بذلك وردت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهذا الالهام الموافق للاصول الشرعية حجة فى حق نفسه وليس بحجة على غيره وأما ورقة بن نوفل على ماتشهد به رواية البخارى فقد تدين بشرع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وآمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومات قبل نزول الشرائع والاحكام واستدلت الاشاعرة على ذلك بقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا

(قوله على المحجة البيضاء ليلها كنهارها) المحجة الطريقة الى رضا الله تعالى التى أمر بها و يثيب عليها والبيضاء النيرة الواضحة لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة ليلها

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ووجه الاستدلال ان هذه الآية دلت بمنطوقها على نفي الحجة
على الله بعد ارسال الرسل و بمفهومها على ثبوت الحجة للناس على الله سبحانه قبل ارسال الرسل
وذلك بان يقولوا ربنا ما نصبت لنا دليلا نهتدي به الى وجوب الايمان و بلازم مفهومها على نفي كون
العقل حجة بوجوب الايمان اذ لو كان العقل حجة ودليلا على وجوبه لما كان لهم أن يقولوا ذلك قبل
ارسال الرسل لكون العقل حجة هادية الى وجوب الايمان فلا حجة لهم بما يعتذرون به و بقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فانها تدل بمنطوقها على نفي وقوع العذاب على ترك الايمان قبل
البعثة فحيث لا عذاب على ترك الايمان قبل البعثة فلا وجوب للايمان بالعقل ونفي العذاب لازم لنفي
الوجوب وبانتفائه ينتفي الملزوم و بقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى فهذه الآية تدل بمنطوقها على نفي الاهلاك
بعذاب قبل البينة اذ الضمير المجرور في قوله تعالى من قبله عائد الى البينة بتأويل الدليل وانما كان
منطوقها ذلك لان لو التي لانتفاء الثاني الذي هو الجزاء لانتفاء الاول الذي هو الشرط فيكون انتفاء
الجزاء المذكور في الآية وهو قوله تعالى لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا لانتفاء الشرط وهو
الاهلاك بالعذاب قبل البينة ومن المعلوم ان انتفاء العذاب على ترك شئ قبل البينة يدل على انتفاء
وجوب ذلك الشئ فيكون وجوب الايمان منتفيا قبل البعثة بناء على عدم لزوم العذاب على تركه
و يلزم من ذلك عدم كون العقل حجة موجبة للايمان و بالجملة فقد ثبت بهذه الآيات المذكورة ان
وجوب الايمان بالشرع لا بالعقل وذهبت المنصورية أصحاب أبي منصور الماتريدي الى ان وجوب
الايمان بذلك بالعقل لا بالشرع وانما يرد الشرع مؤيدا له بعد ثبوته بالعقل قالوا ولو لم يثبت الوجوب
العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان ثبوت الشرع يتوقف على وجوب النظر في معجزات النبي
ليؤدي ذلك الى تصديق النبي وهذا الوجوب لا يمكن ان يكون بالشرع والا لزم الدور فيكون لا محالة
بالعقل اذ لا موجب سواهما فاذا انتفى أحدهما تعين الآخر فبطل بذلك ما يدعيه الاشعرية من انه
لا يجب بالعقل شئ لان الايجاب الجزئي يرفع السلب الكلي الى غير ذلك من دلائلهم وقد ارتضى هذا
الدليل الامام الرازي حيث قال في تفسيره الكبير في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ما نصه

كنهارها ونهارها كليلها (قوله فيكون وجوب الايمان منتفيا الخ) فان انتفاء اللازم يدل على
انتفاء الملزوم (قوله و يلزم من ذلك الخ) والا لما انفك وجوب العذاب عن ترك الايمان لامتناع
انفكاك اللازم عن الملزوم (قوله أصحاب أبي منصور الخ) ويسمون بالماتريدية وهو
الاشهر (قوله بذلك) أي بوجوده و بتوحيده (قوله لا محالة) لابد (قوله هذا الدليل)
الدال على وجوب الايمان بوجوده و بتوحيده بالعقل (قوله الرازي) مع انه من رؤساء الاشاعرة

لايمكن نفى الوجوب العقلى بظواهر الآيات اذلو نفيناه لزمنا نفى الوجوب الشرعى ونفى الوجوب الشرعى باطل فكذا مايستلزمه ثم انه قدعلم من قواعد الشرع ان القاطع العقلى لاسيما المؤيد بالدليل السمعى اذا عارض ظاهر الكتاب والسنة فهو قرينة صارفة عن العمل بالظاهر مانعة عن العمل بموجبه موجبة لحمل الكتاب والسنة الى مايوافق القاطع فحينئذ وجب صرف الآية الاولى النافية بلازم مفهومها كون العقل حجة موجبة للايمان الى مايوافق القاطع بانه حجة موجبة له وذلك انما يكون بصرفها عن الحقيقة الى المجاز امافى لفظ الحجة بان يراد بها الاحتجاج اطلاقا لما به الاحتجاج على نفس الاحتجاج استعمالا للملزوم فى اللازم بمعنى الرديف والتابع على ماهو مصطلح أهل البيان لا بمعنى الممتنع الانفكاك على ماهو مصطلح أهل المنطق ولاخفاء فى ان الاحتجاج تابع ورديف لما به الاحتجاج وحينئذ لايكون ارسال الرسل لافادة أصل الحجة لدلالة القاطع على كون العقل حجة بل لايضاح الحجة بحيث لايبقى لهم مظنة ان يحتجوا لدفع العذاب ويقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا يوقظنا من سنة الغفلة عن الحجة الموجبة للايمان وهو العقل وتنبيها لما يجب الانتباه له وان لم يكن لهم ذلك الاحتجاج فى الحقيقة لثبوت الحجة عليهم وهو العقل الى غير ذلك من الدلائل التى حاصلها

(قوله اذلو نفيناه) أى الوجوب العقلى (قوله وكذا مايستلزمه) قال الرازى وأما الدليل السمعى المؤيد للدليل العقلى الدال على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع فهو قوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم وجه الاستدلال ان الله تعالى خوفهم بنزول العذاب قبل أن ينذروا والعذاب لايكون الا عن ترك الواجب والموجب اما العقل واما الشرع وقد شرع للمنذرين قبل الانذار فتبين ان يكون بالعقل اذ لايحتمل غير ذلك فتكون هذه الآية نصا فى الدلالة على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع (قوله لاسيما) السى بمعنى المثل يقال سيان أى مثلان ومعنى لاسيما لامثل وما زائدة أو موصولة أو موصوفة هذا أصله ثم استعمل بمعنى التخصيص وقد تحذف لا فى اللفظ لكنها مرادة وعده النحاة من أدوات الاستثناء وتحقيقه انه للاستثناء عن الحكم المتقدم ليحكم عليه على وجه أتم بحكم من جنس الحكم السابق ويجوز فى الاسم الذى بعدها الجر والرفع مطلقا والنصب اذا كان نكرة (قوله تابع ورديف الخ) وليس بممتنع الانفكاك عنه (قوله وتنبيها) ايقاظا (قوله لثبوت الحجة عليهم الخ) واما فى عموم ٧ نفى الحجة النكرة الواقعة فى سياق النفى بان يراد منه الخصوص مجازا أى نفى الحجة فيما كان سبيل معرفته الشرع دون العقل كالعبادات والمعاملات لا نفى الحجة مطلقا فمعنى الآية والله اعلم على الوجه الاول لئلا يكون للناس على الله احتجاج فى ترك الايمان الواجب بالعقل بعد الرسل لايتاء الحجة بازالة الغفلة عنها وعلى الوجه الثانى الذى نقلناه لئلا يكون للناس على الله حجة فى ترك العبادات

صرف الآيات عن ظاهرها الى مايوافق القاطع وقد أتى الامام الرازى بتأويلات ملخصها يؤول الى ماذكرناه موافقا لما عليه المنصوريه وان كان من أساطين الاشعريه ولما قالوا ان الموجب للايمان هو العقل ويرد الشرع مؤيدا له قالوا من لم تبلغه الدعوة وصادف زمانا يمكن فيه من الاستدلال ولم يستدل ولم يؤمن فهو كافر يخلد فى النار واستظهروا على ذلك بقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والشفا جانب الشئ مثلت حياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على جانبها مشفين للوقوع فيها لو ماتوا على ما كانوا عليه ثم ان المنصورية اختلفوا فى كيفية المراد من الوجوب العقلى فذهب المتكلمون منهم الى أنه ليس المراد من وجوب الايمان بالعقل الثواب على الاتيان والعقاب على تركه بل نوع ترجيح لان الاعتراف بالصانع أولى من تركه اذ الاعتراف بما يقتضيه العقل يوجب نوع مدحة والامتناع عنه يوجب اللائمة واما فى التوحيد فلا شك انه أحرى من اشراك غيره معه ولما لاح آثار الضعف على هذا الكلام لنفيه الوجوب العقلى المستلزم لنفى الوجوب الشرعى عدل عنه فقهاؤهم فقالوا المراد بوجوب الايمان بالعقل هو استحقاق الثواب على الاتيان بالايمان واستحقاق العقاب على تركه الذى هو الكفر والعصيان والعلم بذلك الاستحقاق فى باب الايمان انما يحصل بالعقل لا بمعنى ان العقل موجب لذلك الوجوب والاستحقاق كما تقوله المعتزلة بل بمعنى ان

بعد الرسل لاتيانهم الحجة الموجبة لها وهو الشرع وعلى الوجهين لا دلالة للآية على وجوب الايمان بالشرع وعلى عدم وجوبه بالعقل واما الآية الثانية فالمراد من قوله فيها معذبين موقعين العذاب مجازا لا موجبين العذاب بطريق ذكر الملزوم وارادة اللازم فان وقوع الشئ رديف وتابع لذلك الشئ وعدم وقوع العذاب قبل البعثة لا ينافى الوجوب اللازم لترك الايمان الواجب بالعقل اذ لا خفاء فى وجوب العذاب لعصاة المؤمنين وقد لا يقع بمحض فضل الله رب العالمين أو بشفاعة الشافعين وكذا يجب صرف الآية الثالثة الى مايوافق القاطع وذلك انما يكون بالتجوز فيها بالحذف كما فى واسأل القرية بان يكون المراد من قبل البينة من قبل ايضاح البينة التى فى العقل بارسال الرسل المنبهين عن سنة الغفلة عنها وقرينة المجاز فى كل منهما عقلية غير انها فى واسأل القرية بديهية وههنا كسبية متوقفة على بيان الدليل العقلى القاطع بان العقل بينة أى حجة موجبة للايمان كما بينا (قوله وقد أتى الامام الرازى الخ) كما نقلنا ذلك عنه (قوله وان كان الخ) فانه وافق الدليل ولم يعبأ بمخالفة جماعته (قوله منها) الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتانيثه لتأنيث ما أضيف اليه أو لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصلها شفو فقلبت الواو ألفا فى المذكر وحذفت فى المؤنث (قوله فيها) أى فى النار (قوله على ما كانوا عليه) من الكفر فانقذهم منها بالاسلام (قوله مدحة) أى مايمدح به (قوله اللائمة) العذل

العقل كاشف عن وجوب الايمان بايجاب الله تعالى كما ان الشرع كاشف عن وجوب عمل الاركان بايجاب الله تعالى ولا استحالة فى اختصاص العقل بالكشف عن وجوب الايمان بالهام الله تعالى اياه بأنه لولم يؤمن به لاستحق العقاب على سبيل الاجمال لا على سبيل التفصيل من انه بالنار أو بالزمهرير وبالحيات والعقارب وغير ذلك مما وردت به السنة فان معرفة تفاصيل العذاب متوقفة على الشرع ولكن وجوب الايمان بالعقل غير متوقف على معرفة لزوم تفاصيل العذاب وانما يتوقف على معرفة لزوم العذاب على الاجمال ومعرفة هذا اللزوم غير متوقفة على الشرع لاستقلال العقل بمعرفته والذى يتفرع على هذا الخلاف هو ان من لم يعرف الصانع ولم يعترف به قبل البعثة فعند الاشاعرة معذور وعند متكلمى المنصورية ان لم يصادف زمن التمكن من الاستدلال ومات فهو معذور وان صادف ولم يستدل ولم يعرف ولم يعترف فهو ملام على ترك التصديق والاعتراف وعند فقهائهم كافر مخلد فى النار هذا ما كان من بيان أقوال الفريقين فى دليل وجوب الايمان بوجوده وتوحيده * وأما الدليل على توحيده من غير وجوب للايمان به فيجوز ان يكون العقل وان يكون الشرع وأيهما كان سابقا فقد ثبت الاستدلال به وأيهما كان لاحقا كان مؤيدا فالسابق المسوق للاستدلال يكون متأيدا واللاحق المسوق للتأكيد يكون مؤيدا ولا يلزم فى ثبوته بدليل الشرع الدور اذ الشرع انما يتوقف على العلم بوجود الله تعالى لا على العلم بوحدانيته وحاصل البحث انه لا خلاف بين العقلاء فى ان الدليل على وجوده تعالى هو العقل دون الشرع وان الشرع يقع مؤيدا ويكون العقل متأيدا فقط وأما الدليل على توحيده تعالى فيجوز ان يكون العقل وان يكون الشرع وأيهما كان متقدما تأيد بما بعده وكان ما بعده مؤيدا له وأما الدليل على وجوب الايمان بوجوده سبحانه وبوحدانيته فقد شرحنا الخلاف فيه وما يتفرع على ذلك من الخلاف وقد تبين لك ما استدل به الفريقان وترامى عليه الجمعان ثم اعلم ان المحدثين المستبصرين فى الدين لما رأوا الآيات وما ورد عن صاحب المعجزات مثل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الدال على نفى التعذيب قبل ارسال الرسل ومثل حكمه سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة على من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحام بالكفر والضلال واخباره صلى الله عليه وسلم عن كثير من أهل الفترة

(قوله بالزمهرير) شدة البرد (قوله معذور) فى ترك الاعمال والايمان (قوله مخلد) باق دائما (قوله مؤيدا) مقويا (قوله لا على العلم بوحدانيته) فلا دور (قوله السوائب الخ) سيأتى الكلام على السائبة والوصيلة والحام (قوله والضلال) هو العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير (قوله الفترة) هى ما بين نبينا صلى الله عليه وسلم ونبى الله عيسى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون سنة

بانهم من أهل النار كما لا يخفى على من سبر أقواله الشريفة وأحواله المنيفة وكما استأذن ربه فى الاستغفار لابويه فلم يأذن له واستأذنه فى زيارة قبر أمه فاذن له وأذن لامته فى زيارة القبور بعد ان حظرها عليهم كما صحت بكل ذلك الروايات وصح من تسميته لهم بالمشركين وجعله اياهم من الضالين وصح أيضا اخباره عن اناس معينين بانهم يبعثون أمة وحدهم كقس بن ساعدة وأمثاله ممن صحت فيهم الرواية بذلك قسموا أهل الفترة ثلاثة أقسام القسم الاول من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده ولم يدرك دعوة نبينا بل بقى على أصل فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغير ولم يبدل فهؤلاء افترقوا فمنهم من بقى على أصل التوحيد وما استفاض من افراد الله تعالى فى عبادته التى تظافرت على الارسال به جميع الرسل ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعيسى بن مريم فحكم هؤلاء ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم من انهم يبعثون أمة وحدهم وأما من غير وبدل فاحل وحرم وسيب السوائب ووصل الوصيلة وابتدع دينا جديدا وأشرك بالله سبحانه فعبد غيره مما يستحسنه من أشجار وأحجار وأنبياء أو ملائكة أو اناس غيرهم ورأوا ان هذه العبادة تقربهم الى الله فهؤلاء هم أهل النار المستحقون لاليم العذاب والبوار فان الشرك قد استقر قبحه فى جميع العقول من العالمين ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين والقسم الثالث من لم يغير ولم يبدل بل بقى على أصل جهالته الا انه لم يعترف بما فطر الله عليه العقول السليمة من الاعتراف بوجوده ووحدانيته فهذا الذى بسطنا فيه الاختلاف الواقع بين الفريقين من

(قوله سبر) اختبر (قوله حظرها) منعها (قوله الروايات) أى الآتية فى باب زيارة القبور (قوله الضالين) الجاهلين بالله تعالى (قوله أمة) قال فى النهاية الامة الرجل المنفرد بدين كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله ويقال لكل جيل من الناس والحيوان أمة (قوله قس) بالضم كما فى القاموس (قوله ابن ساعده) الايادى روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله قسا انى لارجو يوم القيامة ان يبعث أمة وحده (قوله وأمثاله) كزيد بن عمرو بن نفيل فانه قد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده (قوله قسموا) جواب لما فى قوله لما رأوا الآيات (قوله فطرته) خلقته أى بقى على ما فطره الله عليه من معرفته والاقرار به (قوله استفاض) اشتهر (قوله ولم تنسخ) تغير وتزال (قوله السوائب) جمع سائبة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمس أبطن آخرها شقوا أذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة فيجعلها كالبحيرة فى عدم الانتفاع بها واذا ولدت الناقة البطن الثالثة أنثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم واذا ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر (قوله والبوار) أى الهلاك

الاشاعرة والمنصورية والذى عليه أساطين العلماء من المحدثين المستبصرين بنور اليقين الوارثين بعلوم سيد المرسلين انهم آثمون ان تمكنوا من زمان يمكنهم فيه امعان النظر فلم يصرفوه وكيف وكل ذرة من ذرات الوجود تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد هذا ما انتهى اليه المقال فى بيان هذه الأقوال والله الملهم للصواب واليه المرجع والمآب

﴿الباب الثانى فى بيان هل يصح ايمان المقلد وسوق الخلاف الكائن فى جواز التقليد فى أصول الدين و بيان القول المختار فى جميع ذلك﴾

اعلم وفقنا الله واياك ان التقليد لغة وضع الشئ فى العنق محيطا به واصطلاحا أخذ قول الغير من غير حجة وقد اختلف العلماء فى جواز التقليد فى أصول مسائل الدين وهو العلم الذى يبحث فيه عن ذات الله تعالى وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وعن أحوال الممكنات والمبدأ والمعاد على قانون الاسلام وسمى بعلم الكلام لان أول مسألة دارت فيه

(قوله والمنصورية) أصحاب أبى منصور الماتريدى (قوله للصواب) ضد الخطأ (قوله الملهم) الملقن (قوله المآب) المرجع (قوله أخذ قول الغير) خرج أخذ غير القول من الفعل والتقرير عليه فليس بتقليد (قوله من غير حجة) يستند اليها خرج به أخذ القول مع الحجة فهو اجتهاد وافق اجتهاد القائل به (قوله فى أصول مسائل الدين) كحدوث العالم ووجود البارى وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وغير ذلك (قوله من الصفات) أى الثبوتية والسلبية وقوله وعن أحوال الممكنات لعل البحث عن صفاته تعالى وأحوال الممكنات من قبيل البحث عن أحوال اعراض موضوع العلم لان موضوعات مسائل العلم قد يكون موضوع العلم وقد يكون اعراض موضوعه هذا اذا كان البحث عن الممكنات من حيث استنادها اليه تعالى لاندراجه فى البحث عن الاعراض واما على ما قيل من انه قد يبحث فى الكلام عن أحوال الممكنات لا من حيث الاستناد كقولهم الاعراض لا تنتقل ففى التعريف اشكال ويمكن تخصيص الاحوال بالحيثية المذكورة ويكون البحث عن أحوالها لا من تلك الحيثية استطرادا كما فى شرح المقاصد (قوله على قانون الاسلام) احترازعن الهيات الفلاسفة فانها على قانون عقولهم وافق الاسلام أو خالفه كما فى شرح المواقف (قوله وسمى بعلم الكلام الخ) فموضوعه هو ذات الله كما ذهب اليه القاضى الارموى وغيره والمشهور عند المتكلمين ان موضوعه المعلوم من حيث يثبت له ما هو من العقائد الدينية أو وسيلة اليها وذهب جماعة منهم الغزالى الى ان موضوعه هو الموجود من حيث هو هو غير مقيد بشئ ويمتاز عن الالهى المشارك له فى ان موضوعه أيضا هو الموجود مطلقا باعتبار ان

مسئلة الكلام فقال الجمهور بالمنع للاجماع على وجوب المعرفة ولقوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله فامر بالعلم بالوحدانية والتقليد لا يفيد العلم وقد ذم الله التقليد فى الأصول ومدح عليه فى الفروع حاثا عليه فقال فى الاصول انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وحث على السؤال فى الفروع بقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقيل بالجواز لاجماع السلف على قبول كلمتى الشهادة من الناطق من غير استفسار عن معناها ولا قيل له هل نظرت أو تبصرت بدليل ويقاس على الوحدانية غيرها من المعتقدات الاسلامية على القولين السابقين وقيل يجب التقليد وان النظر والبحث فيه حرام والقائلون بهذا افترقوا فرقتين فرقة نفت النظر وقالت المطلوب العلم والنظر لا يفضى اليه فالاشتغال به حرام وفرقة اعترفت به وقالت بحرمته خشية وقوع الناظر فيه بالضلال بسبب الشبه المؤدية الى الارتياب ورر بما يتوهم ان هذا مذهب الشافعى وغيره من السلف لنهيهم عن علم الكلام والاشتغال به وليس كذلك بل هو محمول على من لم يكن ذا قدم صدق فى تحقيق المسالك فيؤديه الى الشك والالتباس والوقوع فى المهالك قال البيهقى فى شعب الايمان وكيف يكون العلم الذى يتوصل به الى معرفة الله وصفاته وما يجب له وما يمتنع عليه وأحوال المعاد

البحث فيه على قانون الاسلام وقد بين فساده فى الكتب الكلامية وأما تعريفه فهو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها (قوله مسئلة الكلام) أى كلام الله تعالى هل هو قديم أو حادث كما هو مشهور بين اهل السنة والمعتزلة ووقعت فتن عظيمة بينهما بسببه اذ قد روى ان بعض الخلفاء العباسية كان على الاعتزال فقتل جماعة من علماء الامة طالبا منهم الاعتراف بحدوث القرآن فغلبت عليه تسمية الشئ باسم أشهر اجزائه أو أنه سمى به لان أبوابه عنونت أولا فى كتب المتقدمين بالكلام فى كذا فبعد تغيير العنوان بقى الاسم بحاله أو انه سمى به ليكون بازاء المنطق للفلاسفة أو انه سمى به لانه يورث قدرة على الكلام فى الشرعيات ومع الخصم (قوله فقال الجمهور) ورجحه الامام الرازى والآمدى (قوله بالمنع) ووجوب النظر (قوله بالوحدانية) ويقاس غير الوحدانية عليها (قوله على أمة) أى ملة (قوله أهل الذكر الخ) اى العلماء ليعلموكم ففيه وجوب المراجعة الى العلماء (قوله وقيل بالجواز) وبه قال العنبرى وغيره ولا يجب النظر (قوله ولا قيل له هل نظرت الخ) لانه صلى الله عليه وسلم كان يكتفى فى الايمان من الاعراب وليسوا أهلا للنظر بالتلفظ بكلمتى الشهادة المنبئ عن العقد الجازم ويقاس غير الايمان عليه (قوله حرام) لانه مظنة الوقوع فى الشبه والضلال لاختلاف الاذهان والانظار (قوله وما يجب له) من الصفات (قوله وما يمتنع عليه) منها (قوله وأحوال المعاد الجسمانى

وغـيره من السمعيات و بيان النبي والتميز بينه و بين المتنبي وغيرذلك ممـا تدعوا الحاجة اليه حراما بل هو من فروض الـكفايات لرد شـبه المبطلين وضلال الملحدين وعلى كل حال فهذه الاقوال مسوقة فى الجواز المقابل بالحرمة لافى الصحة المقابلة بالبطلان فيصح التقليد المذكور الاان المقلد على القول الاول وهو المختار عاص بترك النظر والاستدلال والمراد بالنظر الواجب على المقلد النظر على طريقة العامة لاعلى طريقة أهل النظر من تحرير الادلة وتدقيق العبارات بل يكفيه النظر الجلي والاستدلال الاجـالى ليجزم بعقيدته و يطمئن بطويته وان لم يكن قادرا على ايراده لوطلب منه بعبارته ومثـل ذلك ماأجاب به الاعرابى الاصـمعى عن سؤاله عن معرفة ربه بقوله البعرة تدل على البعـير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألاتدل على اللطيف الخبـير واما الخوض فيما يخوض به المتـكلمون من ايراد الشـبه ودفعها والقاء التمويهات وقلعها فهو جائز بل فرض فى حق المتأهلين الذين اوتوا نظرا فى تحقيق اليقين وأما من يخشى عليه الوقوع فى هوة تيك الاباطيل فلايجوز له الخوض فيه وليرجع الى ما استقر عليه عقد صـدره السـليم وتلافيه وقد سـئل بعض العلماء عن الاشتغال فى علوم الفلاسفة اخوان الشياطين

(قوله وغيرذلك) من قواعد العـقائد الاسـلامية (قوله ممـا تدعوا الحاجة اليه) لدفع شـبه الملحدين والمبتدعين فى أصول الديانات (قوله لرد شـبه المبطلين الخ) ولايحصـل كمال ذلك الا باتقان قواعد علم الـكلام المبنية على الحـكميات والالهيات لـكن لاينبغي ان يتعلمه الاذكى ذودين يكفه عن الدخول فى الزلل الذى ربمـا يوقعه فيـه الدليل صاحب جد وتحروالايخاف عليـه الميل الى المذاهب الباطلة (قوله فيصح التقليد) أى على الأقوال الثـلاثة (قوله تحرير) تهـذيب (قوله و يطمئن) يسكن (قوله بطويتـه) ماانطوى عليـه (قوله ابراج) وهى اماالاثنا عشر شبهت بالقصور لانها ينزلهـا السيارات و يكون فيها الثوابت اومنازل القمر وعظام الـكواكب سميت بذلك لظهورها أوغـيرذلك (قوله فجاج) طرق (قوله اللطيف) المحسـن الى خلقه بايصال المنافع اليهم أو العالم بخفايا الأمور ودقائقها فهو على الاول يرجع الى صفة الفـعل وعلى الثانى الى صـفة العلم على مافى شرح المواقف وفى الشروح الحديثيـة هو الذى لطف وامتنع عن ان يدرك بالـكيفية وهذا الاختلاف مبنى على اختـلافهم فى معنى اللطف (قوله الخبـير) معناه العليم فهو صفة علمية وقيل معناه المخبر فهو صفة كلامية و بمـا سبق ذكره دفع الأولون دليل الثانى بانا لانسلم ان الاعراب ليسوا أهلا للنظر فان المعتبر النظر على طريق العامة كما أجاب الاعرابى الأصـمعى الى آخر ماذكره المؤلف (قوله فى هوة) قال فى القـاموس الهوة كقوة ماانهبط من الأرض أوالوهـدة الغامضة منها (قوله وتلا) من التلاوة (قوله علوم الفلسفة) حد علم الفلسفة علم باصول يعرف

ومن شاكلهم من الكفرة والمعطلة الملحدين لجوز ذلك وجعل الاشتغال به جائز الاعداد العدة للخصوم ولايتم له ذلك الا بالنظر الى هاتيك الرسوم لكن لا مطلقا بل بثلاثة شروط الاول ان يكون ضابطا للكتاب والسنة متضلعا من علومهما فقيها باصول الفقه والحديث النبوى عارفا باقوال السلف والطريق المستقيم السوى والثانى ان يكون واثقا بان لاتهزه رياح الاباطيل ولاتزلزله الشكوك فى قال ولاقيل والثالث ان لايمزج كلامهم الباطل بكلام المسلمين ولايخلط الشك باليقين فيكون كمن أراد أن يرتق ففتق وركب طبقا عن طبق واذا اجتمعت فيه هذه الشروط ساغ له أن ينظر فى أقوالهم لهدم قواعد ضلالاتهم وليكن اشتغاله فى الاهم فالاهم مما يخشى منه سقوط بعض الامة فيكون اذا قد أزال عن بعض اخوانه المسلمين ماهمه وأغمه فمن رأى زماننا هذا وجد الناس قد اشتغلوا فى العلوم الفلسفية وصرفوا أعمارهم فى جمع فنونها واستمسكوا بافنانها وغصونها ونظروا الى العلوم الشرعية بعين الاحتقار وزخرفوا الكلام فى تمهيد قواعدهم الخبيثة فاستحقوا من الله الابعاد والبوار وسنذكر طرفا من قواعدهم فى باب البدع ان شاء الله تعالى قال الشيخ الامام تاج الدين

بها حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح وفائدته العمل بما اقتضاه العقل من حسن وقبح (قوله ومن شاكلهم) شابههم (قوله الملحدين) الضالين المضلين المائلين الزائغين (قوله لاعداد الخ) كان يكون مستعدا لهم (قوله ولايتم الخ) أى اعداد العدة (قوله الرسوم) الرسم ماالاشخص له من آثار المنازل (قوله ضابطا) حافظا (قوله ولاتزلزله) تحركه (قوله لايمزج) أى يخلط (قوله لايخلط) أى يمزج (قوله يرتق) الرتق الضم والالتحام وهو هنا الفتق (قوله ففتق) الفتق الشق (قوله طبقا عن طبق) حالا بعد حال (قوله ساغ) جاز (قوله لهدم) أى نقض (قوله ضلالاتهم) جمع ضلالة وهى ضد الهدى (قوله ماهمه) الهم الحزن أوماهم به فى نفسه (قوله وأغمه) الغم الكرب (قوله اعمارهم) أى مدة حياتهم (قوله فنونها) جمع فن وهو النوع من الشئ (قوله بافنانها) غصونها (قوله الاحتقار) الاذلال (قوله وزخرفوا الكلام) حسنوه بترقيش الكذب (قوله فى تمهيد) بسط (قوله الخبيثة) الغير الطيبة (قوله والبوار) أى الهلاك قال السنوسى وقل ان يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة أو يكون له نور ايمان فى قلبه أولسانه وكيف يفلح من والى من حاد الله ورسوله وخرق حجاب الهيبة ونبذ الشريعة وراء ظهره وقال فى حق مولانا عزوجل وفى حق رسله عليهم الصلاة والسلام ماسولت له نفسه الحمق ودعاه اليه وهمه المختل ولقد خذل بعض الناس فتجده يشرف كلام الفلاسفة الملعونين ويشرف الكتب التى تعرضت لنقل كثير من حماقاتهم لما تمكن فى نفسه الامارة بالسوء من حب الرياسة وحب الاغراب على الناس بما ينبههم على كثير من عبارات واصطلاحات

السبكى فى كتابه معيد النعم مانصه ومنهم طائفة تبعت طريقة أبى نصر الفارابى وأبى على بن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين نشؤا فى هذه الامة واشتغلوا باباطيلهم وجهالاتهم وسموها الحكمة الاسلامية ولقبوا أنفسهم بحكماء الاسلام وهم أحق بان يسموا سفهاء جهلاء اذ هم أعداء أنبياء الله ورسله والمحرفون لكلام الشريعة عن مواضعه عكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الاقوام وسموها الحكمة الاسلامية واستجهلوا من عرى عنها ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمر الله ان هؤلاء لأضر على عوام الناس من اليهود والنصارى لانهم يلبسون لباس المسلمين ويزعمون انهم من علمائهم فيقتدى العامى بهم وهم لايعتقدون شيأ من دين الاسلام بل يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة شعر

ومانتسبوا الى الاسلام الا * لصون دمائهم أن لاتسالا

فيأتون المناكر فى نشاط * ويأتون الصلاة وهم كسالى

فالحذر الحذر منهم وقد أفتى جماعة أئمتنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال فى الفلسفة ثم قال

يوهم ان تحتها علوما دقيقة وهى ليس تحتها الا التخليط والهوس والكفر الذى لايرضى ان يقوله عاقل ورب مايؤثر بعض الحمق هوسهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه فى الدين على طريق السلف الصالح والعمل بذلك ويرى هذا الخبيث لانطماس بصيرته وطرده من باب فضل الله تبارك وتعالى الى باب غضبه ان المشتغلين بالتفقه فى دين الله تعالى العظيم الفوائد دنيا وأخرى بليد والطبع ناقصو الذكاء فما أجهل هذا الخبيث وأقبح سريرته وأعمى قلبه حتى رأى الظلمة نورا والنور ظلمة ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت انتهى حتى ان بعض فرق الضلال كان سبب ضلالهم مطالعة كتب الفلاسفة وهم الواصلية والنظامية والجاحظية والاسماعيلية طالعوا كتب الفلاسفة فصاروا من أشقى الفرق الضالة خصوصا الاسماعيلية فانهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية كذا فى شرح المواقف (قوله نشؤا) أى ربوا وشبوا (قوله والمحرفون) المغيرون (قوله ترهات) أى أباطيل (قوله ولعمر الله) العمر بالفتح وبالضم وبالضمتين الحياة الا انه فى القسم لايستعمل الا فى المفتوح فقط كما هنا (قوله يهدمون) ينقضون (قوله وينقضون) النقض فسخ التركيب ضد الابرام والعروة أخت الزر (قوله لصون) أى لحفظ (قوله المناكر) جمع منكر اسم جامع لما نهى الله عنه (قوله فى نشاط) فى طيب نفس (قوله وهم كسالى) متثاقلون عنها فاترون فيها (قوله فالحذر الحذر) أى احترزوا منهم لايضلونكم (قوله بتحريم الخ) ولقد نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن

ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وما كان ذلك الا فى زماننا وقبله بيسير منذ نشأ نصير الطوسى ومن تبعه لاحياهم الله ثم قال أيضا فمن ترك الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحا نحوه قائلا قال الشيخ ابن سينا وقال خواجه نصير ونحو ذلك ان يضرب بالسياط ويطاف به فى الاسواق وينادى عليه هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بأباطيل المبتدعين ثم قال لم أجد أضر على عصرنا وأفسد لعقائدهم من نظرهم فى الكتب الكلامية التى أنشأها المتأخرون بعد نصير الطوسى انتهى فليتق الله عبد علم ان الله سائله ماذا علم وبماذا عمل ولينظر المشتغل الحريص على ذلك الى قلبه وليتدبر بلبه وليعرض ما اشتغل به على الكتاب فانه متعرض فى يوم الحساب لرد الجواب ولئن اتفق من استجمعت به هذه الشرائط واستحكمت به الروابط فهلا قرأ علوم الرافضة واشتغل بما أودعوه فى كتبهم من أصولهم وفروعهم مع انهم أولى بإعداد العدو وأحق من أولئك بما نستمده من كل برهان وسند وكيف وهم قد وافقونا فى لباسنا وزاحمونا فى أملاكنا ونفثوا بسحرهم فى أسلاكنا وأما أولئك فلم تبق الا كلماتهم الخبيثة مسطورة

قراءة التوراة مع كونها كتابا الهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق (قوله ضرر) هو الحاق المفسدة بالغير (قوله بمزج) خلط (قوله نحا نحوه) قصد طريقه (قوله بالسياط) بالمقارع (قوله بأباطيل) جمع باطل على غير قياس كأنهم جمعوا ابطيلا قاله الجوهرى (قوله ثم قال) أى السبكى (قوله بعد نصير الطوسى) كالكتب الموجودة الآن فى أيدى الناس وذلك لكثرة خلط الفلسفة فيها حتى لا يكاد يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا كلام المتأخرين (قوله الى قلبه) سمى به لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة له على التقلب (قوله بلبه) بخالص عقله (قوله برهان) هو لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس واصطلاحا الدليل سمى به لوضوح دلالته (قوله وسند) هو ما يذكر لتقوية المنع (قوله وزاحمونا) ضايقونا (قوله ونفثوا) النفث النفخ مع الريق (قوله فى اسلاكنا) هى الخيوط فان من جملة أنواع السحر النفث فى الخيوط فان السحرة يعقدون عقدا فى خيوط وينفثون عليها وسيأتى تحقيق السحر والمراد انهم خالطونا مخالطة كلية بحيث لم يتميزوا عنا وموهوا علينا بحيث صرنا معهم كالمسحورين لانعى ما ألقوه علينا من دسائسهم فى محاوراتهم معنا حتى ان كثيرا من يبرأ عن بدعته ظاهرا ويلتزم ما التزمه أهل السنة بحيث يخفى حاله على كل أحد فيتوسل بذلك الى شبه ودسائس يلقيها فى كلامه لاجل تضليل مخاطبه من حيث لا يشعر ومنهم من ألف كتابا فى مناقب الشافعى رحمه الله وأودع فيه من الدسائس الرفضية ما لا تخفى على السنى المتبحر ومنهم من ألف كتبا فى مذاهب المجتهدين وذكر

فى مواطن علوم الشريعة ولها حملة بها قائمون وعليها عاكفون ولم نر أحدا منهم جاء نابحكمته وأسفر عن وجه ضلالته ولكن أبادهم الله تعالى فهم فى النار يسجرون وقد ورد ان عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما افتتح مصر ووجد فيها من كتب اليونان خزائن كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشيره فيما هو فاعل فيها فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يامره باحراقها وقال له حسبنا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عن كل كتاب وسنة فهما دواء كل داء والنور الساطع فى الظلماء قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فلو ظفر هؤلاء بتلك الكتب لاتخذوها معابد وتهافتوا عليها تهافت الفراش ما بين قائم منهم وقاعد هذا ما انتهى اليه المقال من بيان خلاصة الاقوال فى جواز التقليد فى أصول الدين وعدم جوازه وأما القول فى صحة ايمان المقلد فعليه الجمهور الا الشيخ أبا الحسن الاشعرى فعنه انه لا يصح ايمانه وقد شنع عليه كثير من الناس بانه يلزمه تكفير غالب العوام بل كلهم فى هذا الزمان وقد قال الامام القشيرى ان هذا مكذوب عليه والتحقيق ان لفظ التقليد يطلق بمعنيين أحدهما قبول قول الغير والعمل به بغير حجة والثانى الاعتقاد الجازم لا لموجب فهو بالمعنى الأول قد يكون ظنا وقد يكون وهما ولا شك ان هذا لا يكفى وكلام الشيخ وغيره ممن اطلق عدم الصحة فى التقليد وارد على هذا واما بالمعنى الثانى فلم يقل أحد من علماء الاسلام انه لا يكفى فى الايمان الا أبو هاشم من المعتزلة وما قاله أبو الحسن بما حررناه وأفتى به الامام تاج الدين السبكى فى صورة استفتاء استفتى به صحيح باجماع أهل الاسلام اذ لا بد فى الايمان من الاعتقاد الجازم الذى لا يتشكك والدليل على ذلك قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون قال الواحدى فى تفسيرها أجمع أصحابنا على ان شرط الايمان طمأنينة القلب على ما اعتقده بحيث لا يتشكك ولا يضطرب اذا حرك لقوله وهم يعلمون الى آخر كلامه رضى الله عنه وقد أوضح الكلام فى الشقين المولى سعد

فيها ما يخالف مذاهبهم قصدا بذلك الى ترويج مذهبه وابطال مذاهبهم (قوله فى مواطن) أماكن (قوله عاكفون) مقبلون (قوله وأسفر) أى كشف (قوله أبادهم) أهلكهم (قوله يسجرون) يوقدون (قوله حسبنا) كافينا (قوله هدى) تقدم معناه أول الكتاب (قوله وشفاء) من ادواء الكفر والجهالة ولأمراض القلوب والشك والزيغ (قوله بتلك) الكتب (قوله وتهافتوا الخ) أى تساقطوا عليها تساقط الفراش بالفتح دويبة تطير فتتساقط فى النار (قوله فى هذا الزمان) وهم غالب المؤمنين (قوله وقد قال الخ) أى فى دفع التشنيع (قوله والتحقيق) كما ذكره ابن السبكى فى جمع الجوامع (قوله وهما) وقد يكون شكا (قوله لا يكفى) لانه لا ايمان مع أى تردد فيه (قوله بالمعنى الثانى) وهو المعتمد (قوله الا أبو هاشم) فانه قال لا يكفى بل لا بد لصحة الايمان من النظر (قوله تاج الدين السبكى) هو

الدين فقال الحق ان المعرفة بدليل اجمالى يرفع الناظر عن حضيض التقليد فرض عين لا مخرج عنه لأحد من المكلفين و بدليل تفصيلى يتمكن معه من ازاحة الشبه والزام المنكرين وارشاد المسترشدين فرض كفاية واعلم ان وجود الجزم من المكلف ان كان بسبب من ضرورة أو برهان كما يسمى علما يسمى معرفة و يقينا وان كان بغير سبب وموجب بل بتقليد محض يسمى اعتقادا فان طابق الواقع فصحيح والا ففاسد وجهل مركب فالثانى كاعتقاد كافة الكافرين المقلدين لأئمتهم وقد أجمعوا على كفر صاحبه والأول كاعتقاد عامة المؤمنين المقلدين فصاحب هذا الاعتقاد على الصحيح آثم عاص بترك النظر والاستدلال فيبقى فى مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه بما يستحق ثم يدخله الجنة بفضله فالواجب على كل مسلم ان يتعلم دليلا اجماليا ليكون فى دينه على بصيرة ولا يخشى عليه الشك عند عروض الشبهات وكيف ينفعه التصميم بلسانه والقلب الذى هو محل ايمانه يقول

صاحب جمع الجوامع (قوله حضيض) سفل (قوله من ضرورة) كالحكم بان زيدا متحرك ممن شاهده يتحرك (قوله أو برهان) كالحكم بان العالم حادث (قوله كما يسمى علما الخ) قد اختلفوا فى تعريف العلم اختلافا كثيرا والمختار فى تعريفه عند المتكلمين انه صفة توجب لموصوفها تمييزا بين المعانى لا يحتمل النقيض كما ذكره فى المواقف (قوله وموجب) المراد من الموجب ما يعم الدليل القطعى والشبهى والبديهة العقلية والوهمية (قوله بل بتقليد محض يسمى اعتقادا) وان لم يحصل بذلك جزم من المكلف فان كان راجحا على مقابله يسمى ظنا وان كان مرجوحا يسمى وهما وان مساويا يسمى شكا فالايمان ان حصل بهذه الثلاثة التى ذكرناها فالاجماع على بطلانه وان حصل من القسم الأول وهو العلم والمعرفة فالاجماع على صحته وان حصل من القسم الثانى وهو الاعتقاد فان طابق الخ (قوله فصحيح) كاعتقاد المسلمين ان العالم حادث (قوله والا) اى والا يطابق الواقع كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وجهل مركب) الجهل انتفاء العلم بالمقصود أى ما من شأنه ان يقصد ليعلم بان لم يدرك أصلا و يسمى جهلا بسيطا أو أدرك على خلاف هيئته فى الواقع و يسمى جهلا مركبا لانه جهل المدرك بما فى الواقع مع الجهل بانه جاهل به فهذا جهل آخر قد تركبا معا كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وقد أجمعوا على كفر صاحبه) وكونه مخلدا فى النار (قوله فصاحب هذا الاعتقاد) هو الذى عليه محط الخلاف وقوله وعلى الصحيح أى يكون مؤمنا لكنه آثم الخ (قوله بترك النظر الخ) ٧ وبه قال أبو حنيفة وسفيان الثورى ومالك والاوزاعى والشافعى وأحمد وعامة الفقهاء وأهل الحديث بل نقل بعضهم الاجماع على ذلك (قوله على بصيرة) أى نفس بصيرة أى شديدة الابصار و يحتمل انه مصدر بمعنى تبصر (قوله يقول

لأدرى فيكون من الذين قال الله فيهم الذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم وقد قيل ان من النفاق مالايعرفه صاحبه من نفسه وهو نفاق من يولد بين المسلمين فيسمع منهم كلمات الايمان فيقول كما يقولون اتباعا وتقليدا حتى لوولد بين اليهود والنصارى لقال مثل مايقولون من غير ملاحظته وتصميم بقلبه والقائه على ذلك بابه فليحذر جواب الملكين فانه لايمكن ان ينطق الا بما فى قلبه وليخش ان يقول هاه هاه لأدرى سمعت الناس يقولون شيأ فقلته قال سبحانه حكاية عن المنافقين يوم ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وقد دلت الآية على انهم لم يعبدوا أصناما بل كانوا مع المؤمنين ولم يكونوا عارفين بما وجب من معرفته فاذا كان الأمر كذلك فلا يغتر المقلد بقوة تصميمه وكثرة عبادته انه على الحق لتوجه النقض عليه بتصميم اليهود والنصارى على معتقداتهم الفاسدة وعدم رجوعهم عنها ولو نشروا بالمناشير فهذا لايدل على حقية معتقداتهم فللنشأة بين قوم يدينون بشئ والمخالطة تأثير عظيم فى التصميم فلينظر المسلم الى ماانطوت عليه طويته وليتأمل فى خلق الله وماخلق لأجله واذا أشكل عليه شئ وجب عليه ان يسأل فعلى قدر المعرفة تكون الخشية وعلى قدر الخشية تكون الانابة وعلى حسبها احسن العبادة وعلى قدره ترجى الرحمة وفقنا الله سبحانه للعلم والعمل

لأدرى) أى متحيرا (قوله فيكون الخ) أى من جملة المنافقين (قوله ان من النفاق) أى من يعرفه صاحبه من نفسه كنفاق الذين يظهرون الاسلام بين الناس ويضمرون الكفر فى قلوبهم كالذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومن فى معناهم كالزنادقة والملاحدة وان منه مالايعرفه الخ (قوله لأدرى سمعت الناس الخ) فانه اذا أتى الملكان فى القبر ينطق بما عنده من غير زيادة ولا نقصان لان الانسان فى ذلك المحل لايترك كما فى الدنيا يتكلم بماليس فى قلبه بل ان كان عالما بالحق ينطق به وان كان شاكا فيه غير عالم به يقول لأدرى (قوله ألم نكن معكم الخ) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قوله فتنتم أنفسكم) بالنفاق (قوله وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (قوله وارتبتم) أى شككتم فى الدين (قوله وغرتكم الأمانى) كامتداد العمر (قوله حتى جاء أمر الله) وهو الموت (قوله الغرور) الشيطان أو الدنيا (قوله بما وجب) أى عليهم وقوله من معرفته أى حتى جاءهم أمر الله الذى هو الموت فيقال لهم يوم القيامة فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير (قوله على معتقداتهم الفاسدة) وأباطيلهم تقليد الآبائهم الضالين المضلين وأما تصميمهم على كون معتقداتهم حقا وعدم رجوعهم الخ (قوله فهذا لايدل الخ) أى ولا على كونهم فى دينهم على بصيرة (قوله فللنشأة) أى التربية (قوله المخالطة) أى معهم

وجنبنا بفضله الخطأ والخطل آمين فان قلت قد عرفت ما تقول فاذكر لى خلاصة ماعليه أهل الاسلام لاكون على بصيرة فى الدين متبعا سبيل المؤمنين الموحدين فاعلم ان أول الواجبات عليك معرفة الله سبحانه بصفاته وأفعاله ولا يكون ذلك الا بعد معرفتك اياه بوجوب وجوده وللمتكلمين فى اثبات الوجوب دلائل كثيرة وبراهين غزيرة مبنية على بيان ان العالم حادث قالوا ان العالم جميعه أعيان وأعراض وكلها حادثة على ما بين فى الكتب الكلامية واذا ثبت ان العالم بجميع أجزائه محدث كان محتاجا الى محدث

(قوله معرفة الله) فمعرفة الله تعالى واجبة اما شرعا كما ذهب اليه الاشاعرة أو عقلا كما ذهب اليه المعتزلة (قوله أول الواجبات عليك معرفة الخ) وهو ماعليه الأكثر ومنهم الشيخ أبو الحسن الأشعرى اذ معرفة الله تعالى هى أصل المعارف والعقائد الدينية وعليها يتفرع وجوب كل واجب وقيل هو النظر فى معرفة الله واليه ذهب جمهور المتكلمين والمعتزلة والاستاذ أبو اسحق الاسفراينى وقيل هو أول جزء من النظر وقيل هو القصد الى النظر واليه ذهب القاضى الباقلانى واختاره ابن فورك وامام الحرمين قيل النزاع لفظى لانه ان أريد أول الواجبات المقصودة أولا وبالذات فهى المعرفة اتفاقا وان لم يرد ذلك بل أريد أول الواجب مطلقا فالقصد الى النظر والا فان شرطنا كونه مقدورا فالنظر والا فالقصد وقال أبو هاشم أول الواجبات الشك وهو مردود بما ذكر فى الكتب الكلامية قلت واتفق السلف على ان أول مايؤمن به العبد الشهادتان (قوله دلائل كثيرة) قد ذكرنا لك بعضا منها سابقا (قوله العالم) هو بفتح اللام وهو ماسوى الله تعالى من الموجودات يقال عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان فيخرج صفات الله تعالى فانها ليست غير الذات كما انها ليست عينها (قوله حادث) خلافا للفلاسفة فانهم ذهبوا الى قدم العقول والنفوس الفلكية والأجسام الفلكية بموادها وصورها الجسمية وأنواعها واشكالها وأوضاعها والعناصر بموادها ومطلق صورها الجسمية مع أشخاصها وصورها النوعية الى غير ذلك من ضلالاتهم وقد بين المتكلمون فساد كل هذا وبطلانه (قوله جميعه) أى السماء ومافيها والأرض وماعليها (قوله أعيان) الأعيان ماتقوم بنفسها ولا تحتاج الى محل تقوم به كالشجر والحجر وزيد (قوله وأعراض) العرض مايفتقر الى محل كالطعوم والروائح (قوله حادثة) بعد ان لم تكن (قوله محدث) بما ذكروا بغيره من الدلائل القطعية (قوله محتاجا الى محدث) لانه اذا كان حادثا كان مسبوقا بالعدم وماسبقه العدم لم يكن وجوده لذاته ويستوى فى العقل امكان وجوده وعدمه فلا بد له من مخصص يرجح أحد الجائزين على الآخر فعلم ذلك ببداهة العقل كما ان من رأى قصرا مبنيا عرف ان له بانيا قطعا كما قيل لأعرابى بم عرفت ربك قال البعرة

وذلك

وذلك المحدث لابد أن يكون قديما واجب الوجود اذلو لم يكن واجب الوجود لكان جائزه فلم يكن قديما واذا لم يكن قديما بل كان حادثا لاحتاج الى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو وجود حوادث لاأول لها وكلاهما محال فكل ذرة من ذرات العالم من حيث حدوثها وافتقارها الى من يمسك عليها وجودها تنطق بلسان حالها عن هذا القديم الواجب الوجود فلينظر العاقل فى مصنوعات ذى الجلال واول ماينظر الى نفسه من ابتداء خلقه الى حين بلوغه كمال عقله وماانطوى عليه من بديع الصفة وكمال الحكمة ثم ينظر فى جميع هذا العالم سفله وعلوه يجده مسخرا لما يراد منه ويتأمل بما انطوى عليه من الحركات والسكون والطلوع والغروب وغير ذلك من الاجتماع والافتراق والاستواء والميل والوجود والعدم على هذا النهج الغريب والاسلوب العجيب فانه لايشك ان له صانعا قديما واجب الوجود واحدا لاشريك له ولاوزير ولامعين له ولاظهير موصوفا بصفات الكمال من الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات التى أثبتها لنفسه فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم سالكا الطريق المستقيم بين التعطيل والتمثيل فهو موصوف بما وصف به نفسه كما يليق بجلال قدسه على ذلك درج السلف الصالح ذوو العلم الراجح وما اشتبه علينا مما أثبته الله سبحانه لنفسه من اليد والرجل وغير ذلك

تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة يدلان على صانع خبير فدل على ان للعالم صانعا (قوله قديما) لاأول لوجوده (قوله بل كان حادثا) اذلا واسطة بين القدم والحدوث فكل موجود اما قديم أو حادث (قوله قديما) لاأول لوجوده (قوله لاشريك له) والالاختل النظام المشاهد فى العالم كما سيجىء فى الباب الخامس (قوله ولاوزير) عاضد يحمل عنه تفكر التدبير (قوله الحياة) صفة أزلية أبدية تصحح قيام الصفات بموصوفها (قوله والقدرة) صفة أزلية أبدية تؤثر فى الممكن حيث تعلقت الارادة به (قوله والارادة) صفة أزلية أبدية تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه (قوله والعلم) صفة أزلية أبدية ينكشف بها المعلوم عند تعلقها به انكشافا لايحتمل النقيض بوجه (قوله والسمع والبصر) صفتان أزليتان أبديتان ينكشف بهما الموجود عند تعلقهما به (قوله والكلام) صفة أزلية أبدية بها يوجد الأمر والنهى وغيرهما من أقسام الكلام (قوله التعطيل) الذى هو مذهب الجهمية (قوله والتمثيل) الذى هو مذهب المشبهة (قوله وغير ذلك) كالوجه والنفس والعين والاستواء والاتيان والمجىء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وان كنا لاندرك كنهه وحقيقته التى هى تأويله ولاندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين باهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا

نفوض علمه اليه مع تنزيهه تبارك وتعالى عما لا يليق به فى جهر القول وخافيه و بذلك قال الامام أبو الحسن الاشعرى وغيره من الائمة الكرام والعلماء الاعلام فذاته لا تشبه الذوات كما ان صفاته لا تضاهى الصفات ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فصدر الآية يدل على نفى التشبيه وعجزها على نفى التعطيل ونعتقد ان صفاته سبحانه قديمة أبدية كما ان ذاته أزلية أبدية. وتنزهه تبارك وتعالى عن كل ما لا يليق به من صفات الاجسام وحوادث الاعيان والاجرام ونوحده بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وغير ذلك من خواص الالوهية التى لا يملكها الا اله عالمين ان لا معبود بحق فى الوجود سواه فهو الاله الواحد الملتجى فى جميع الامور اليه المتوكل فى كل الشؤن عليه فله الاسماء الحسنى نقتصر منها على ما ورد واليه الامر كله من القبول والرد يستحيل وصفه

(قوله فى جهر القول وخافيه) كما درج على ذلك السلف الصالح (قوله ليس كمثله) اختلف فى الكاف هنا فقيل زائدة وقيل أصلية ومذهب المحققين الثانى واعترض بانها لو كانت أصلية لكان تقديره ليس مثل مثله شئ لان الكاف بمعنى مثل فيلزم اثبات مثل الله تعالى وذلك محال وأجيب بان هذه قضية سالبة وهى تصدق بانتفاء الذات و بانتفاء النسبة فان قلنا ليس زيد فى الدار يصدق ذلك بانتفاء زيد أو انتفاء الدار وانتفاء حصوله فيها وفائدته المبالغة فى التنزيه أ وتقول ان ذلك من باب الكناية كما ذكره السعد فى شرح التلخيص فيكون نفيا للشئ بنفى لازمه لان نفى اللازم يستلزم نفى الملزوم كما يقال ليس لاخى زيد أخ فاخو زيد ملزوم والأخ لازمه لانه لا بد لأخى زيد من أخ هو زيد فكذا نفيت ان يكون لمثل الله مثل والمراد نفى مثله تعالى اذ لو كان له مثل لكان هو مثل مثله اذ التقدير انه موجود (قوله وعجزها على نفى التعطيل) كما قال الامام أبو حنيفة فى الفقه الأكبر لا يشبه شيأ من خلقه ولا يشبهه شئ من خلقه ثم قال بعد ذلك وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا و يرى لا كرؤيتنا انتهى وقال نعيم بن حماد من شبه الله بشئ من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وأقوال السلف فى ذلك كثيرة (قوله قديمة) بالزمان ولا محذور فى تعدد صفات قدماء وانما المحذور فى تعدد ذوات قدماء (قوله أزلية) أى غير مسبوقة بعدم (قوله أبدية) أى لا يلحقها عدم (قوله فله الأسماء الحسنى) تأنيث الأحسن أى لأنها دالة على معانى هى أحسن المعانى (قوله على ما ورد) لأن أسماء الله توقيفية على المذهب المختار أى يتوقف اطلاقها على الاذن فيه وليس النزاع فى أسمائه الاعلام الموضوعة فى اللغات انما النزاع فى الاسماء المأخوذة من الصفات والأفعال فذهب المعتزلة والكرامية انه اذا دل العقل على اتصافه تعالى بصفة وجودية أو سلبية جاز ان يطلق عليه اسم يدل على اتصافه بها سواء ورد بذلك الاطلاق اذن شرعى أو لم يرد وكذا الحال

بالظلم

بالظلم اذهو المالك المقسط العدل ولا يجب عليه شئ بل هو المتفضل على خلقه وله الفضل لا تعلل أفعاله بالاغراض وانما هي حكم ومصالح ولا تجرى عليه الاعراض تعالى عن كل شبيه ومعارض عال على عرشه دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالامور وأنفذ فى خلقه سابق المقدور يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فالخلق عاملون بسابق علمه لا يملكون لانفسهم من الطاعة نفعا ولا يجدون الى صرف المعصية عنها دفعا خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به وخلق جميع أفعالهم وأما الاسباب العادية فقد أجرى الله سبحانه ماقدره فى مقارنتها المسببات فلا تنكر ولا عليها يتكل فهو الخالق للكل فالخلق لم يزالوا يترددون من قدر الى قدر وأمره سبحانه نافذ فيهم فلا ينجيهم حذر قد خلق للجنة خلقا فهم باعمالها بمشيئة الله عاملون و بقدرته وارادته ينفذون وخلق للنار أهلا فهم عن الهدى محجوبون و باعمال أهل النار يعملون والمؤمنون فى الايمان يتفاضلون و بصالح الاعمال متزايدون لا يخرجون

فى الأفعال وقال القاضى أبو بكر كل لفظ دال على معنى ثابت لله تعالى جاز اطلاقه عليه بلا توقيف اذا لم يكن اطلاقه موهما لما لا يليق بكبريائه (قوله بالظلم) كما قال تعالى ولا يظلم ربك أحدا فهذا النفى لكمال ثبوت ضده الذى هو العدل وكذلك كل نفى يأتى فى صفات الله تعالى فى الكتاب انما هو لكمال ثبوت ضده (قوله لا تعلل أفعاله) وهو مذهب السلف والأشاعرة ووافقهم على هذا جهابذة الحكماء وخالفهم فيه المعتزلة فذهبوا الى وجوب تعليلها وقالت الفقهاء لا يجب ذلك لكن أفعاله تابعة لمصالح العباد تفضلا واحسانا النافى اثبات مذهبنا وجهان ببطلان المذهبين معا أعنى وجوب التعليل ووقوعه تفضلا أحدهما لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح غرضا للفاعل الا ماهو أصلح له من عدمه وهو معنى الكمال فاذا يكون الفاعل مستكملا بوجوده وناقصا بدونه ثانيهما ان غرض الفعل أمر خارج عنه يحصل تبعا للفعل و بتوسطه وهو سبحانه وتعالى فاعل لجميع الأشياء ابتداء فلا يكون شئ من الكائنات الا فعلا له صادرا عنه لا غرضا لفعل آخر له مدخل فى وجوده بحيث لا يحصل ذلك الشئ الا به ليصلح ان يكون غرضا لذلك الفعل وليس جعل البعض من أفعاله غرضا أولى من البعض الآخر فجعل بعضها غرضا من بعض آخر دون عكسه تحكم بحت فلا يتصور تعليل فى أفعاله أصلا والبحث مستوفى فى الكتب الكلامية (قوله خلق) أى أوجد وأنشأ والخلق مصدر وهو هنا بمعنى المخلوق (قوله الأسباب) جمع سبب وهى أمر يرتبط به الشئ من حيث الذات وجودا وعدما (قوله للمسببات) فهو خالق الأسباب والمسببات (قوله يعملون الخ) كما روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت توفى صبى من الأنصار فدعى النبى صلى الله عليه وسلم الى جنازته فقلت طوبى عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك ياعائشة ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه

بالذنوب من الايمان ولا يدخلهم فى الكفر كبيرة ولا عصيان ولا نشهد بالجنة الا لمن شهد له النبى صلى الله عليه وسلم المختار ولا نحكم على مسيئهم بالنار والقرآن كلام الله عز وجل فليس بمخلوق وانه سبحانه قريب بالاجابة عند السؤال بعيد بالتعزز لا ينال أرسل رسله الى خلقه مبشرين ومنذرين وبمعجزاته الباهرة مؤيدين ونبينا صلى الله عليه وسلم أفضل المرسلين وامام المتقين وله الشفاعة العظمى فى يوم الدين وكلما أثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث الشفاعة وغيرها وعذاب القبر وسؤال الملكين وأحوال البرزخ وأحوال المعاد والجنة والنار وغير ذلك مما وردت وصحت بها الآثار وجب الايمان به فالخلق بآجالهم ميتون وبعد الضغطة فى القبور مسؤلون وبعد البلاء منشورون ويوم القيامة الى ربهم يحشرون وكما بدأهم له من شقاء وسعادة يومئذ يعودون فاهل الجنة بصنوف اللذات فيها يتنعمون والى ربهم ينظرون لا يمارون فى النظر اليه ولا يشكون وأهل الجحد عن ربهم لمحجوبون وفى النار يسحبون خلا من شاء الله اخراجهم من الموحدين أهل الايمان فانه سبحانه

أهلا الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الانكار والواو فيه للحال يعنى أتعتقدى ماقلت والحق غير الجزم به يعنى لا تجزمى ياعائشة انه من أهل الجنة فان الله تعالى خاق الجنة والنار وخلق لكل منهما أهلا فى الأزل (**قوله** ولا نشهد بالجنة) لجواز أن لا يختم للمشهود له بخير وان كان رجو من فضل الله رجاء قويا لكل من أهل الايمان الجنة وقوله الا لمن شهد له النبى أى لا نشهد بجنة ولا بنار الا لمن علم بالنص لانا لم نعلم حقيقة باطنه ومامات عليه وللسلف فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال أحدها انه لا يشهد لأحد الا للانبياء وهذا القول ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعى الثانى انه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث وهو الذى ذكره المصنف وهو المختار الثالث ان يشهد لمن جاء فيه النص ولمن شهد له المؤمنون مستدلين بما فى الصحيحين انه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم وجبت ومر بأخرى فأثنى عليه بشر فقال وجبت وفى رواية كرر وجبت ثلاث مرات فقال عمر يارسول الله ماوجبت فقال هذا أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض (**قوله** ولا نحكم على مسيئهم بالنار) أى لا يخلد كما هو شأن الكفرة لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسىء (**قوله** بآجالهم) أى لا يموت أحد الا بأجله وهو الوقت الذى كتب الله فى الأزل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره خلافا لكثير من المعتزلة فى المقتول (**قوله** ينظرون) رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة فى العقل لانه تعالى موجود وكل موجود فرؤيته جائزة عقلا وواجبة بالنقل لاخبار الكتاب والسنة بحصولها فى الدار الآخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا الحديث قال بعض العلماء فمن قال ان غير النبى رأى الله فى الدنيا

كما

كما وردينعم عليهم باخراجهم من النيران ونمسك عن تكفير أهل القبلة مالم يبتدعوا فمن فعل من ذلك منهم مايوجب كفرا كان عن سبيل المؤمنين خارجا وفى سبيل الغواية ناهجا وأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فعمر الفاروق فعثمان ذوالنورين فعلى بن أبى طالب ثم باقى العشرة الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ويخص الباقون بالفضل والتفضيل على حسب ما نالهم من مقامهم الجليل ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم فهم خيار أهل الارض ارتضاهم سبحانه لنبيه وجعلهم أنصار دينه فهم أئمة المسلمين وحماة الدين وأما كرامات الأولياء وهى خوارق يجريها الله على أيديهم ليكرمهم بها

بالرؤية البصرية قد اجترأ على الله وانه زنديق يقتل وتوقف فيه غيره (قوله ونمسك عن تكفير الخ) وهو ماعليه السلف وجهور المتكلمين والفقهاء (قوله وفى سبيل) طريق وقوله ناهجا سالكا (قوله الصديق) بكسر أوليه المهملتين بعدهما تحتية لقب به لمبادرته لتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله الفاروق) سمى به لفرقان ظهور الايمان بعد اسلامه بعد ان كانوا من قبل فى غاية الاخفاء له خوفا من الكفرة وقيل لقب به لانه فرق بين الكافر والمؤمن فى قتله للمنافق الذى لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تأييده له قوله فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية (قوله ذوالنورين) لقب به لتزوجه بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقع ذلك لغيره منذ وجد (قوله العشرة) المبشرة بالجنة المجموعة فى قول بعضهم

أبو بكر وسعد مع سعيد * وعثمان على والزبير
وطلحة وابن عوف مع أمين * وفاروق لهم فى الخلد خير

(قوله ونمسك عن الخوض الخ) ولانذكر أحدا منهم الا بخير وأما ماصدر من بعضهم مع بعض مما هو شر فى الصورة فانه اما كان عن اجتهاد أولم يكن على وجه فساد من اصرار وعناد بل كان رجوعهم عنه الى غيره معا بناء على حسن الظن بهم ولقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ولقوله اذا ذكر أصحابى فامسكوا ولذا ذهب جهور العلماء الى ان الصحابة كلهم عدول قبل فتنة عثمان وعلى وكذا بعدها لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم رواه الدارمى وابن عدى وغيرهما وقال ابن دقيق العيد فى عقيدته ومانقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ماهو باطل وكذب فلايلتفت اليه وما كان صحيحا أولناه تأويلا حسنا فان الثناء عليهم من الله سابق ومانقل من اللاحق يحتمل التأويل والمشكوك والموهوم لايبطل المحقق والمعلوم هذا وقال الشافعى تلك دماء طهر الله أيدينا عنها فلانلوث ألسنتنا بها وسئل أحمد بن حنبل عن أمر على وعائشة فقال تلك أمة

فهى ثابتة وتكون من معجزات أنبيائهم وقد ينعم الله على بعض أحبائه والصالحين من عباده فى برازخهم بأنواع التنعيم ويكرمهم كما ثبتت الرواية بما يتفضل به عليهم من مزايا التكريم والنعيم المقيم هذا ما انجر اليه الكلام والتبيين من تحرير خلاصة ما عليه أهل الدين من القول الفصل فى التقليد فى الأصول الكلامية والعقائد الاسلامية وأما التقليد فى الفروع الفقهية فلا يجوز الآن الا تقليد الأئمة الأربعة لانضباط قواعدها بضبط المقلدين ومعرفة أقوالهم المروية عنهم بصحيح نقل الراوين ومع ذلك فقد بذل مقلدوهم الوسع فى دراية استدلالهم وتقرير أقوالهم فوصلت الينا والحمد لله سليمة من التغيير والتحريف بنقل الأئمة الثقات والرواة الاثبات وقد صنفت فيها التصانيف وألفت التآليف وأما غير مذاهبهم من مذاهب الصحابة والتابعين وباقى المجتهدين فقد اندرست باندراس نقلتها وماتت بموت حملتها فلا يتأتى فيها التقليد وانى للمقلد التناوش من مكان بعيد ثم ان ماصح من أقوالهم لا يجوز تقليده أيضا لعدم أمن المقلد من ان تكون مشروطة بشرط لا خبرة له فيه

قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (قوله ثابتة) أى جائزة وواقعة اما جوازها فهو أن وجود الممكنات مستند الى قدرته الشاملة لجميعها فلا يمتنع شئ منها على قدرته ولا يجب غرض فى أفعاله ولا شك ان الكرامة أمر ممكن اذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته واما وقوعها فلقصة مريم حيث حبلت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وجعل هذه الأمور معجزات لزكريا أو ارهاصا لعيسى مما لا يقدم عليه منصف وقصة آصف وهى احضاره عرش بلقيس فى طرفة عين ولم يكن ذلك معجزة لسليمان اذ لم يظهر على يده مقارنا للدعوى (قوله الفقهية) المنسوبة الى الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية (قوله وألفت التآليف) فعز ان يوجد حكم الا وهو منصوص عليه اجمالا أو تفصيلا (قوله المجتهدين) جمع مجتهد وهو البالغ العاقل ذو ملكة يدرك بها العلوم فقيه النفس وان أنكر القياس العارف بالدليل النقلى والتكليف به ذو الدرجة الوسطى لغة وعربية وأصولا وبلاغة ومتعلق الاحكام من كتاب وسنة وان لم يحفظ المتون وقال السبكى هو من له من هذه العلوم ملكة وأحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ويعتبر لايقاع الاجتهاد لا لكونه صفة فيه كونه خبيرا بمواقع الاجماع كى لا يخرقه والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وشرط المتواتر والآحاد والصحيح والضعيف وحال الرواة ولا يشترط علم الكلام ولا تفاريع الفقه ولا الذكورية والحرية وكذا العدالة على الأصح وليبحث عن المعارض وعن اللفظ هل معه قرينة (قوله بموت حملتها) فلا تعرف لها قواعد تتخرج عليها أحكامها (قوله وأنى) من أين (قوله التناوش) التناول

أومقرونة بمانع يمنع عند المجتهد فيلاقيه لكن بقي ههناشيء ذكره بعض الأفاضل مما ينبغي التفطن له وهو ان المسئلة الفقهية اذا نقلت ينبغي ان ينظر فيها فان كان مأخذها مشهورا معلوما من الكتاب والسنة والاجماع فلا نزاع فيها لاحد وان لم يكن مأخذها كذلك بل كانت اجتهادية فان كان ناقلها مجتهدا الزم مقلده اتباعه ولا يلزم المقلد ان يطلب منه دليلا لان كلام المجتهد دليل له وان لم يكن ناقلها مجتهدا بل كان مقلدا فان نقلها ذلك المقلد عن المجتهد وأثبت نقله عنه أو كان ثبتا ثقة صدوقا لزم اتباعه أيضا وان لم ينقلها عن المجتهد بل جاء بها من قبل نفسه أو مقلد آخر أو أطلق فان بين فيها دليلا شرعيا فلا كلام فيها حينئذ وان لم يبين ينظر فان كان كلامه موافقا للاصول والكتب المعتبرة ولم يكن فيها خلاف جاز العمل بها لكن ينبغي للعامل بها ان لا يقف فى مقام تقليده بل يطلب منه دليلا على ما نقل وان كان كلامه مخالفا للاصول والكتب المعتبرة فلا يلتفت اليه أصلا فقد صرح العلماء بان ما لا يعلم صحته لا يصح اتباعه فضلا عما علم بطلانه والله سبحانه أعلم

﴿الباب الثالث فى بيان الايمان والاسلام وتلخيص ما اختاره الفحول من بيان حقيقة الدين﴾

اعلم ان الايمان لغة مطلق التصديق وقد يضمن معنى الاعتراف والاقرار فيعدى بالباء كما يقال آمن بالله ومعنى الاذعان فيعدى باللام ومنه فآمن له لوط وشرعا تصديق خاص لما علم بالضرورة انه من الدين فما لوحظ اجمالا كفى الايمان به اجمالا وما لوحظ تفصيلا اشترط الايمان به كذلك والمراد بالتصديق الاذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا

(قوله فيلاقيه) اذ مع بعد الزمن وعدم التدوين لا يوثق بالمذهب كما أفاده الجلال المحلى فى شرح جمع الجوامع لاحتمال تطرق الاختلال الى شروطه ومعتبراته بنسيان أو سهو نقلته ورواته (قوله الايمان) افعال من الأمن للصيرورة أو التعدية بحسب الأصل كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذبا أو جعله الغير آمنا من التكذيب والمخالفة (قوله مطلق التصديق) قال الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما أنت بمؤمن لنا أى مصدق فيما حدثناك به (قوله يضمن) التضمين اشراب اللفظ معنى آخر وفائدته ان تؤدى كلمة مكان كلمتين (قوله معنى الاعتراف الخ) فالايمان بالله الاعتراف بوجوده وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق به صار ذا أمن (قوله ومعنى) أى وقد يضمن معنى الخ (قوله ومنه فآمن الخ) وقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قوله من الدين) كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء (قوله اجمالا) كالملائكة والكتب والرسل (قوله تفصيلا) كجبريل وموسى والانجيل (قوله كذلك) وعليه الأشاعرة ووافقهم على ذلك الصالحى وابن الراوندى من المعتزلة (قوله الاذعان) أى الانقياد وعدم العصيان (قوله لحكم المخبر الخ) والتكليف بذلك وان كان من الكيفيات

بعد العلم بصدقه لا لمجرد العلم فقط فانه لا يكفي لان كثيرا من اليهود وغيرهم من الكفرة كانوا يعرفون صدقه ولم يكونوا مؤمنين بذلك كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله عز من قائل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون فالايمان على التحقيق وهو ما عليه جماهير المحدثين والفحول من أساطين الدين مغاير للمعرفة وان نشأ عنها اذ هو على ماقررت نسبة الصدق بالقلب أو اللسان الى القائل وهو فعل وهي ليست بفعل بل من قبيل الكيف فهو اذا غير منقول عن معناه اللغوي الذي هو التصديق الا انه اعتبر فيه شرطان أحدهما المعرفة التي هي منشؤه ومصدره والآخر الانقياد والاستسلام الذي هو محققه ومظهره واعتبارهما شرطين لاجراء أحكامه الشرعية أولى من اعتبارهما في مفهومه الشرعي شطرين اذ يلزم الثاني النقل عن المعنى اللغوي وهو لا يصار اليه بلا دليل بل الدليل على خلافه حيث كثر طلبه من العرب ولم يسمع استفسار أحد منهم عنه وما وقع في الاستفسار عنه في الأحاديث كحديث سؤال جبريل الذي أخرجه الشيخان وغيره فانما هو عن متعلقاته ودليل ذلك ما وقع عليه الجواب مطابقا لما انضم اليه الخطاب ثم اعلم ان هذا التصديق الناشئ عن المعرفة والاستسلام لا يشترط ان يكون عن دليل موجب للعلم بمقتضاه بل لو حصل قهرا يكفي على الأصح اذ المقصود من الدليل البلوغ به الى المطلوب والتوصل الى المقصود فاذا حصل تم المطلب وأفاد المآرب وهذا الذي ذكرناه من بيان حقيقة الايمان المفيد للسلوك في سبيل المؤمنين يوم القيامة عند رب

النفسانية دون الافعال الاختيارية بالتكليف باسبابه كالقاء الذهن وصرف الذهن وتوجيه الحواس ورفع الموانع (قوله العلم) أي المعرفة كما ذهب اليه الجهم بن صفوان (قوله آتيناهم) يعني علماءهم (قوله يعرفونه) الضمير للرسول (قوله أبناءهم) أي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لم أشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت (قوله والكيف) هو ما لا يقبل القسمة لذاته وان قبلها بواسطة قسمة موضوعه ولا يتوقف تصوره على تصور غيره (قوله فهو) أي الايمان (قوله شرطان) الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته (قوله واعتبارهما) أي المعرفة والاستسلام وقوله وهو أي خلاف الأصل (قوله كثر) في الكتاب والسنة (قوله كفى) وظاهر كلام شرح المقاصد انه لا يكتفي بذلك العلم القهري بل لا بد من تحصيله بعد بطريق الاستدلال ورد بان حصول الاستسلام الباطن بعد حصول العلم القهري حصول للمقصود مغن عن استحصاله بتعاطي أسبابه فالوجه الاكتفاء بحصول القهري المنضم اليه الاستسلام والتكليف بتعاطي الأسباب انما هو لمن لم يحصل له

العالمين

العالمين هو الذى عليه أغلب المتكلمين فعندهم لو أتى بهذا التصديق على الوجه الذى قررته
و بالطريق الذى حررته ولم يأت بالشهادتين فهو مؤمن فيما بينه و بين الله تعالى لكنه عاص داخل فى
عداد العاصين على انه لو طلبت منه فلم يأت بها فهو من الكافرين واما بالنسبة للاحكام الدنيوية
واجرائها عليه فلا بد له من النطق بهما فان الشارع قد جعل الأحكام الشرعية دائرة عليهما منوطة
بهما وأجابوا عن أحاديث حتى يشهدوا وحتى يقولوا بانه لا يدل على خصوصية ركن القول بل يحتمل
الركنية ويحتمل الشرطية لاجراء أحكام الاسلام و يرجح الثانى انه رتب على القول فيه الكف
عن الدم والمال دون النجاة فى الآخرة التى هى محل النزاع وكثير من المتكلمين والفقهاء بل نقل
الامام النووى فى شرحه لمسلم الاتفاق عليه انه شرط للنجاة أيضا الا انه يحتمل السقوط لعارض
خرس ونحوه واما التصديق بالمعنى السابق فلا يحتمل السقوط ومذهب الخوارج يشترط انضمام اقرار
اللسان وعمل سائر الجوارح اليه فهما ركنان منضمان الى التصديق عندهم فمن أخل بواحد من هذه
الثلاثة فهو كافر ومذهب الكرامية

ذلك العلم القهرى (قوله لكنه عاص) بل لكل من الأئمة الأربعة قول انه مؤمن عاص بترك
التلفظ و به يعترض دعوى الامام النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة والمحدثين والفقهاء
والمتكلمين على ان من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا فى النار (قوله فلا بد من
النطق بهما) وهو أصح الروايتين عن الأشعرى وعليه الماتريدى (قوله منوطة بهما) والحاصل
ان الايمان على طريقة المتكلمين له حيثيتان النجاة فى الآخرة وشرطها التصديق فقط واجراء
احكام الدنيا ومناطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير الله ورمى المصحف بقاذورة وغير ذلك
من الصور التى حكم الفقهاء بانها كفر فالنطق غير داخل فى حقيقة الايمان وانما هو شرط لاجراء
الأحكام الدنيوية (قوله وأجابوا) أى المتكلمون (قوله عن أحاديث) كقوله صلى الله
عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الحديث (قوله
وحتى يقولوا) كما فى رواية (قوله و يرجح الثانى) أى احتمال الشرطية (قوله أنه) صلى الله
عليه وسلم (قوله عن الدم والمال) حيث قال صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم
وأموالهم (قوله دون النجاة فى الآخرة) حيث قال وحسابهم على الله (قوله انه شرط الخ)
ومن جعله شطرا لم يرد انه ركن حقيقى والا لم يسقط عند العجز والاكراه بل انه دال على الحقيقة التى
هى التصديق اذ لا يمكن الاطلاع عليها (قوله ركنان) الركن هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن
عدمه العدم (قوله الكرامية) أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرام قيل هو بكسر الكاف وتخفيف
الراء كما ذكره فى شرح المواقف وهو الصحيح وان كان المشهور تشديد الراء كما ذكره السبكى

هو التلفظ بالشهادتين ثم ان طابقه تصديق القلب فهو ناج والا فهو مخلد فى النار وفى الحقيقة ليس لهم كبير خلاف لانا نطابقهم فى آخر ما أوردوه وفصلوه وعند المعتزلة هما أيضا ركنان معتبران كما تقوله الخوارج الا ان الخوارج أدخلوا من أخل بالاعمال فى عدد الكفار ولم تدخله المعتزلة بل حكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين فليس هو بمؤمن ولا كافر ومع ذلك فهو مخلد فى النار وبينهما فرق آخر من حيث الذنوب فعند المعتزلة هذا الحكم فى الكبائر وعند الخوارج فى الجميع اذ لا صغيرة عندهم وعند جميع المحدثين وهو مذهب الامام مالك والشافعى وأحمد وغيرهم وهو المروى عن التابعين يشترط انضمام عمل سائر الجوارح لا على وجه الركنية بل على وجه التكميل فمن أخل باعماله فلا ينزع منه أصل الايمان الموجب للخلود فى النيران بل ينزع منه كماله الموجب للموالاة من المسلمين والثناء عليه من رب العالمين فحكمه الاثبات مع النفى والنفى مع الاثبات وبذلك سماه الحسن البصرى منافقا لما عمل بخلاف ما كان يقتضيه تصديقه المتين المنبئ عن ضعف اليقين الذى هو من سمات المنافقين والدليل الواضح على تخلخل اليقين الذى هو من أوضح الشعب للدين وقد عقد البخارى أبوابه فى كتاب الايمان من صحيحه على ذلك وعقد بابا بالنقل أقوال السلف انه قول وعمل ويزيد وينقص فههنا شيآن أحدهما كونه قولا وعملا والثانى كونه يزيد وينقص والمراد بالقول ماهو أعم من النطق بالشهادتين والقول القلبى واما العمل فالمراد به أيضا ماهو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات وأرادوا بذلك ان الاعمال

(قوله التلفظ بالشهادتين فقط) فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الايمان لكن يقولون انهم يستحقون الوعيد الذى أوعدهم الله به وقولهم ظاهر الفساد وذهب الجهم بن صفوان الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب وهذا القول أظهر فسادا مما قبله فان لازمه ان فرعون وقومه كانوا مؤمنين فانهم عرفوا صدق موسى وهرون ولم يؤمنوا بهما كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وكذلك أهل الكتاب فانهم كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم بل ابليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الايمان فانه عارف ربه (قوله التابعين) جمع تابعى وهو صاحب الصحابى (قوله على وجه التكميل) فهو عندهم تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان فهذا هو مذهب السلف (قوله فمن أخل) بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر كما تقدم ومن أخل بأعماله الخ (قوله بل ينزع منه كماله الخ) فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة (قوله الاثبات) أى اثبات الايمان مع نفى كمال الايمان (قوله سمات) علامات (قوله كونه) أى الايمان (قوله والمراد بالقول) ليس هو اللفظ فقط بل ماهو أعم الخ (قوله أيضا) كالقول

تشترط فى كماله وهذا الذى شرحناه وعلى جميع الفرق فصلناه انما هو بالنظر الى ما عند الله واما بالنظر الى ما عندنا فالايمان هو الاقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الأحكام فى الدنيا ولم يحكم عليه بكفر الا أن يصدر منه ما يدل على كفره اما باقواله أو بافعاله أو بسوء اعتقاده على ما هو مفصل فى أبواب الردة من كتب الفقه وغيرها فمن ارتكب معصية فليس بكافر بالنظر الى اقراره ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر الى أفعاله وكذلك من نفى عنه الايمان فبالنظر الى الواجب من كماله كما ان من نفى الكفر فبالنظر الى حقيقة حاله وقد نقل هذا القول عن السلف عبد الرزاق فى مصنفه عن سفيان الثورى ومالك بن أنس والأوزاعى وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الأمصار فى عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة عن الامام الشافعى وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبى عبيد وغيرهم ونقل البخارى قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف فى ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبى حاتم فى نقل ذلك بالاسانيد عن كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد انتهى مجمل ما قررته فى كونه قولا وعملا واما كونه يزيد وينقص فالقائلون بذلك يقولون بأن مجرد التصديق من غير نظر لانضمام العمل المأخوذ فى مفهومه قابل لهما وقد حملهم على ذلك الآيات والأحاديث الواردة فى قبوله الزيادة والنقصان مما ذكره البخارى فى صحيحه وغيره من المحدثين والعلماء السالفين قالوا ولا مانع عقلا من قبوله لهما اذ اليقين الأخص من التصديق متفاوت ضعفا وقوة فيهما وأيضا فكل أحد يقطع بأن تصديقنا ليس كتصديق أبى بكر الصديق رضى الله عنه

(قوله ونقل البخارى الخ) كما قال ذلك عنه ابن وضاح ومكى بن خلف (قوله الآيات) كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا الى غير ذلك من الآيات (قوله والأحاديث الخ) منها قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وكقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فانه جعل الانكار بالقلب وحده أضعف من الانكار باللسان أو اليد وكذلك حكم صلى الله عليه وسلم بنقصان دين النساء وعلل ذلك بقوله تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلى الى غير ذلك من الاخبار (قوله فيهما) ألا ترى الى ما بين أجلى البديهيات ككون الواحد نصف الاثنين وأخفى النظريات القطعية ككون العالم حادثا (قوله ليس كتصديق أبى بكر) فان التصديق

والمانعون لهما منعوهما بالنسبة لذات التصديق دون آثاره الخارجة عنه ثم قالوا وتفاوت اليقين ليس تفاوتا فى الشدة والضعف بل فى التقدم والتأخر أو ظهور انكشاف أو غير ذلك من تظافر الادلة فيزيد بذلك فى القلب اشراقه الى غير ذلك ورام بعض المتكلمين التوفيق فقال الصحيح ان نفس التصديق لا يقبلهما وانما يقبلهما الايمان الشرعى بزيادة ثمراته من الاعمال ونقصها والذى عليه المحققون وذكره الكثير من شراح الحديث وغيرهم ان نفس التصديق يزيد بزيادة النظر وتظاهر الادلة وينقص كذلك ولا يشك عاقل فى ان ايمان آحاد فساق المؤمنين ليس كايمان جبريل ومن ثم قال الامام البخارى عن ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبرائيل وميكائيل وفى الباب مسائل كثيرة

من الخفيات النفسانية المتفاوتة قوة وضعفا (قوله والمانعون الخ) وهم أبو حنيفة وأتباعه واختاره من الاشاعرة امام الحرمين (قوله بعض المتكلمين) بل كثير منهم ومعهم الامام الرازى (قوله لا يقبلهما) لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت لا بحسب ذاته لان التفاوت انما هو لاحتمال النقيض واحتماله ولو بابعد وجه ينافى اليقين فلا يجامعه ولا بحسب متعلقه لانه جميع ما علم بالضرورة مجىء الرسول به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه تعدد والا لم يكن جميعا ورد بأن قولهم الواجب هو اليقين والتفاوت لا يكون الا لاحتمال النقيض ممنوع لم لا يجوز ان يكون التفاوت بالقوة والضعف بلا احتمال النقيض ثم ذلك الذى ذكروه يقتضى ان ايمان النبى وآحاد الأمة سواء وهو باطل اجماعا وقولهم لانه جميع ما علم الخ مردود أيضا بأن التصديق التفصيلى فى افراد ما علم مجيئه به جزء من الايمان يثاب عليه ثوابه على تصديقه بالاجمال يعنى ان افراد ما جاء به متعددة وداخلة فى التصديق الاجمالى فاذا علم واحد منها بخصوصه وصدق به كان هذا تصديقا مغايرا لذلك التصديق المجمل وجزأ من الايمان ولا شك ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان (قوله بزيادة ثمراته من الأعمال ونقصها) أى جعل الخلاف لفظيا فرع تفسير الايمان فان فسر الايمان بالتصديق فلا يقبلهما وقد علمت رده وان فسر بالأعمال وحدها أو مع التصديق فيقبلهما وهو ظاهر (قوله المحققون) جمع محقق من التحقيق وهو اثبات المسائل بالدلائل ويطلق على العلم بالاشياء على ما هى عليه وعلى بيان حقيقة الشئ على الوجه الحق (قوله وغيرهم) من المتكلمين وغيرهم (قوله على ايمان جبريل ومكائيل) والآثار فى ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة كقول عمر رضى الله عنه لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح بهم وكان يقول تعالوا بنا نزدد ايمانا وعن على رضى الله عنه انه قال الايمان يبدو لمظة فى القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال الجوهرى اللمظة بالضم كالنكتة من البياض وعنه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان

مما نحن فيه ومما وقع عليه الخلاف كالقول المختار من كون الايمان مخلوقا لكونه فعل العبد وفعله مخلوق ومن جواز تعليقه بالمشيئة على وجه التبرك والجهل بالخاتمة ومن بقاء حكمه الشرعى مع النوم والاغماء والغفلة والجنون نظير بقاء النكاح وغيره من سائر العقود فى هذه الاحوال لاتتحمله مثل هذه العجالة ولكون مسائل الايمان والكفر والنفاق من المسائل الحقيقة بالاهتمام لان الله سبحانه علق عليها السعادة والشقاوة والاختلاف الواقع فى مسمياتها أول اختلاف وقع فى هذه الامة بين الصحابة والخوارج ثم حدث خلاف المعتزلة ثم خلاف المرجئة

لمن لاصبر له وعن حذيفة رضى الله عنه يخرج من النار من كان فى قلبه وزن ذرة صغيرة من الايمان ومن كان فى قلبه وزن حبة خردل من ايمان الى غير ذلك (قوله مما نحن فيه) من الدلالة على زيادة الايمان ونقصانه منها ان الطفل المحكوم بايمانه تبعا لأحد أصوله اذا بلغ عاقلا فاحدث اعتقادا واقرارا كانا منه ايمانا زائدا على ايمانه الأول وكذلك الأخرس اذا اعتقد ثم زال خرسه فاقر وكذلك من آمن بالله ورسوله ثم لما علم وجوب الصلاة عليه قبلها كان ذلك ايمانا منه فاذا علم الزكاة وقبلها فكذلك وهكذا سائر شعب الايمان فجاز ان يكون للايمان امدادات اذا تلاحقت زاد الايمان (قوله وفعله مخلوق) اذ الايمان التصديق بالجنان أو مع الاقرار باللسان وكل منهما فعل العبد وهو مخلوق لله تعالى كما حققناه (قوله والجهل بالخاتمة) واليه ذهب كثير من السلف وهو المحكى عن الشافعية والمالكية والحنابلة والأشاعرة ومنعه بعضهم وعليه أبو حنيفة وأصحابه قالوا وانما يقول أنا مؤمن حقا وفى شرح مسلم عن بعض المتكلمين لايقول أنا مؤمن و يقتصر عليه بل يضم اليه ان شاء الله وعن الاوزاعى وغيره التخيير وهو حسن صحيح اذ من أطلق نظر الى انه جازم فى الحال ومن قال ان شاء الله فاما للتبرك أو للجهل بالخاتمة والكافر فى التقييد بان شاء الله كالمسلم انتهى ملخصا وليس الخلاف فيمن يأتى بان شاء الله شاكا فى ثبوت الايمان له حالا لانه كافر بل فيمن هو جازم به حالا غير ان بقاءه الى الموت عليه غير معلوم (قوله مع النوم الخ) فهو باق حكما وشرعا (قوله والخوارج) وهم سبع فرق المحكمة وهم الذين خرجوا على علىّ عند التحكيم والبيهسية وهم أصحاب بيهس ابن الهيصم بن جابر والازارقة أصحاب نافع بن الازرق والنجدات أصحاب نجدة بن عامر النخعى والصفرية أصحاب زياد بن الاصفر والاباضية أصحاب عبد الله بن اباض والعجاردة أصحاب عبد الرحمن بن عجرد وبيان عقائدهم وافتراق فرقهم مذكور فى الكتب الكلامية (قوله المعتزلة) أصحاب واصل بن عطاء سمى هو وأصحابه معتزلة لما روى انه دخل على الحسن فقال يا امام الدين ظهر فى زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعنى الخوارج وجماعة آخرون يرجؤن أهل الكبائر ويقولون لايضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا ان نعتقد فى ذلك فتفكر الحسن

والمانعون لهما منعوهما بالنسبة
ليس تفاوتا فى الشدة والضعف بل
فيزيد بذلك فى القلب اشراقه الى
نفس التصديق لايقبلهما وانما يقبل
عليه المحققون وذكره الكثير من
وتظاهر الادلة وينقص كذلك ولا
جبريل ومن ثم قال الامام البخارى عن
على نفسه مامنهم أحد يقول انه على ايمان جبريل

من الخفيات النفسانية المتفاوتة قوة وضعفا (قوله
من الاشاعرة امام الحرمين (قوله بعض المتكلمين
لايقبلهما) لان الواجب هو اليقين وانه لايقبل التفاوت
النقيض واحتماله ولو بابعد وجه ينافى اليقين فلا يجامعه
مجىء الرسول به والجميع من حيث هو جميع لايتصور فيه
الواجب هو اليقين والتفاوت لايكون الا احتمال النقيض
والضعف بلا احتمال النقيض ثم ذلك الذى ذكروه يقتضى ان ايمان
اجماعا وقولهم لانه جميع ماعلم الخ مردود أيضا بأن التصديق التفصيلى
الايمان يثاب عليه ثوابه على تصديقه بالاجمال يعنى ان افرادما جاء به
الاجمالى فاذا علم واحدا منها بخصوصه وصدق به كان هذا تصديقا مغايرا
من الايمان ولاشك ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان
من الأعمال ونقصها) أى جعل الخلاف لفظيا فرع تفسير الايمان فان فسر
فلا يقبلهما وقد علمت رده وان فسر بالأعمال وحدها أو مع التصديق فيقبل
(قوله المحققون) جمع محقق من التحقيق وهو اثبات المسائل بالدلائل و يطلق على
على ماهى عليه وعلى بيان حقيقة الشئ على الوجه الحق (قوله وغيرهم) من المت
(قوله على ايمان جبريل وميكائيل) والآثار فى ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة كقول
الله عنه لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح بهم وكان يقول
على رضى الله عنه انه قال الايمان يبدو لمظة فى القلب كلما ازداد الايمان ازداد
اللمظة بالضم كالنكتة من البياض وعنه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس

والاسلام والأظهر الذى قاله بعض المحققين واستصوبه الجم الغفير من الاساطين انهما متلازما المفهوم فلا يعتبر فى الخارج ايمان بلا اسلام ولا عكسه اذ لا ينفك أحدهما عن الآخر ودليل ذلك قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا فان الاسلام يتناول العمل والاعتقاد معا لان العامل الغير المعتقد ليس بذى دين مرضى ولا نصح أعماله بدون صحة الاعتقاد وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولا يكون دين الاسلام مقبولا الا بانضمام التصديق اليه و بما فصلت ...تدل الامام المزنى وأبو الحسين البغوى على تلازمهما فلا يكون المسلم مسلما اسلاما مقبولا الا اذا كان مؤمنا وكذلك لا يكون المؤمن مؤمنا مقبولا حتى يكون مسلما وقد ينفك الاسلام عن الايمان ...يد به الاعمال الظاهرة كما بسطناه فى تحرير المعنيين وصحة الاطلاقين اذا علمت ذلك وتبينته ...ث تقرير الأحاديث التى وردت فى بيان الايمان والاسلام فى حديث سؤال جبريل النبى ...ه وسلم الذى رواه الشيخان فاجابه عن الايمان بمتعلقاته من الايمان بالله وملائكته ...يوم الآخر

---

(١) وجعلوا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان الاسلام شهادة أن لا اله ...أى ان شعائر الاسلام والاصل عدم التقدير مع انهم قالوا ان الايمان هو ...و الايمان شئ واحد فيكون الاسلام هو التصديق وهذا لم يقله أحد ...انقياد (قوله انهما) أى الايمان والاسلام (قوله مسلما) ...نه ولا بد للمسلم من ايمان به يصلح اسلامه (قوله هان) ...د فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى الربوبية ...مما سيأتى وبما مر (قوله وملائكته) جمع ...الالوكة وهى الرسالة ثم خفف بنقل الحركة قيل للمبالغة غلبت فى الاجسام النورانية ...ل بالاشكال المختلفة أى بانهم عباد له ...فراء الله بينه و بين خلقه صادقون ...كتبه) أى بأنها كلام الله تعالى ...بعض أحكامها نسخ و بعضها لم ...ن على شيث وثلاثون على ...الفرقان (قوله ورسله) ...و من الموت الى آخر

القائلين بأنه لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وسموا بذلك لارجائهم الامر كان المتعين على كل أحد الاعتناء بتلك المسائل والنظر بعين الفكر الى تلك المطالب والوسائل وهذا ما انتهى اليه الكلام على وجه الاختصار فى تحقيق حقيقة الايمان وأما الكلام فى الاسلام فالاسلام لغة الطاعة والانقياد وشرعا الانقياد والاستسلام الى الاعمال الظاهرة وبهذا المعنى الشرعى الموافق للمعنى اللغوى يتوافق مع الايمان فهما على هذا المعنى متلازمان وقد يطلق بمعنى آخر شرعى فقط على الأعمال الظاهرة فله حينئذ معنيان شرعيان باعتبار تعلقه بهما لانه يتعلق بالمعنى الاول باعتبار المبدأ والمنشأ و بالمعنى الثانى باعتبار التحقق والمظهر وقد أطلق بعضهم اسم المرادف على الايمان

وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ثم قام الى اسطوانة من اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به من ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل فلذلك سمى هو وأصحابه معتزلة قلت فعلى هذه الرواية يقتضى ان خلاف المرجئة حدث قبل خلاف المعتزلة ويلقبون بالقدرية لاسنادهم أفعال العباد الى قدرتهم وانكارهم القدر فيها وهم عشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا الواصلية أصحاب واصل بن عطاء والعمرية أصحاب عمرو بن عبيد والهذلية أصحاب أبى الهذيل العلاف والنظامية أصحاب النظام والاسكافية أصحاب أبى جعفر الاسكاف والجعفرية أصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر بن حرب والمزدارية أصحاب عيسى المزدار والهشامية أصحاب هشام بن عمر القرطى والصالحية أصحاب الصالحى والحائطية أصحاب أجهر بن حائط والحدبية أصحاب فضل الحدبى والمعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمى والثمامية أصحاب ثمامة ابن أشرس والخياطية أصحاب الحسين الخياط والجاحظية أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ والكعبية أصحاب أبى القاسم الكعبى والجبائية أصحاب أبى على الجبائى والاسدارية أصحاب الاسدارى والبشرية أصحاب بشر بن المعتمر والبهشمية لانفراد أبى هاشم عن أبيه و بيان معتقداتهم مذكور فى الكتب الكلامية (قوله لارجائهم الامر) أى تأخيره لانهم يؤخرون العمل عن النية وعن الاعتقاد من أرجأه أى أخره ومنه ارجه واخاه أى امهله وأخره وفرقهم خمس اليونسية أصحاب يونس النميرى والعبيدية أصحاب عبيد المكذب والغسانية أصحاب غسان الكوفى والثوبانية أصحاب ثوبان المرجى والتومنية أصحاب أبى معاذ التومنى و بيان عقائدهم مذكور فى الكتب الكلامية (قوله متلازمان) يمتنع انفكاك أحدهما عن الآخر (قوله فله) أى الاسلام (قوله والمنشأ) اذ هو ناشئ عن ذلك (قوله والمظهر) اذ لا يتحقق ولا يظهر الا بهما

والاسلام

والاسلام والأظهر الذى قاله بعض المحققين واستصوبه الجم الغفير من الاساطين انهما متلازما المفهوم فلا يعتبر فى الخارج ايمان بلا اسلام ولا عكسه اذ لا ينفك أحدهما عن الآخر ودليل ذلك قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا فان الاسلام يتناول العمل والاعتقاد معا لان العامل الغير المعتقد ليس بذى دين مرضى ولا تصح أعماله بدون صحة الاعتقاد وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولا يكون دين الاسلام مقبولا الا بانضمام التصديق اليه و بما فصلت استدل الامام المزنى وأبو الحسين البغوى على تلازمهما فلا يكون المسلم مسلما اسلاما مقبولا الا اذا كان مؤمنا وكذلك لا يكون المؤمن مؤمنا مقبولا حتى يكون مسلما وقد ينفك الاسلام عن الايمان اذا أريد به الاعمال الظاهرة كما بسطناه فى تحرير المعنيين وصحة الاطلاقين اذا علمت ذلك وتبينته هان عليك تقرير الأحاديث التى وردت فى بيان الايمان والاسلام فى حديث سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه الشيخان فاجابه عن الايمان بمتعلقاته من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(قوله والاسلام) وجعلوا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة الحديث أى ان شعائر الاسلام والاصل عدم التقدير مع انهم قالوا ان الايمان هو التصديق بالقلب ثم قالوا الاسلام والايمان شئ واحد فيكون الاسلام هو التصديق وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة وانما هو الطاعة والانقياد (قوله انهما) أى الايمان والاسلام (قوله مسلما) اذ لابد للمؤمن من اسلام به يتحقق ايمانه ولابد للمسلم من ايمان به يصلح اسلامه (قوله هان) سهل وخف (قوله بالله) أى بأنه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى الربوبية ولا فى الألوهية وهى استحقاق العبادة الى غير ذلك مما سيأتى وبما مر (قوله وملائكته) جمع ملك على غير قياس أو جمع ملأك على مفعل اذ هو من الالوكة وهى الرسالة ثم خفف بنقل الحركة والحذف فصار ملكا وقيل فيه غير ذلك والتاء لتأنيث الجمع وقيل للمبالغة غلبت فى الاجسام النورانية المبرأة عن الكذب كما برأت عن الجسمانية القادرة على التشكل بالاشكال المختلفة أى بانهم عباد له مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و بأنهم سفراء الله بينه و بين خلقه صادقون فيما أخبروا به عنه وانهم بالغون من الكثرة ما لا يعلمه الا الله (قوله وكتبه) أى بأنها كلام الله تعالى و بأنه تعالى أنزلها على بعض رسله و بأن كل ما تضمنته حق وصدق و بعض أحكامها نسخ و بعضها لم ينسخ قال الزمخشرى وغيره وهى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور والفرقان (قوله ورسله) أى بأنه أرسلهم الى الخلق الى غير ذلك مما سيأتى (قوله واليوم الآخر) وهو من الموت الى آخر

و بالقدر خيره وشره وعن الاسلام بالأعمال الظاهرة من النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان وعكس فى الجواب فى حديث عبد القيس الذى رواه الشيخان فاجاب عن الايمان بالأعمال الظاهرة المذكورة الا انه جعل بدل الحج اعطاء الخمس من المغنم وغير ذلك من الأحاديث التى اجتمع فيها ذكر الايمان والاسلام معا أو ذكر أحدهما فقط وكذلك الآيات كقوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقوله عز من قائل قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا الى غير ذلك من الآيات التى ورد فيها الايمان مقرونا بالاسلام أو مفروقا عنه فحيث ورد ما يدل على تغايرهما باقترانهما فهو باعتبار ان المراد بالاسلام معناه الثانى الذى قدمناه وهو الاعمال الظاهرة وحيث ورد ما يدل على اتحادهما بانفراد أحدهما فهو باعتبار تلازم المفهومين على ما حقق أو ترادفهما على ما قيل واطلاق الايمان فى حديث عبد القيس على الأعمال باعتبار انها متعلق مفهوميهما المتلازمين وهما التصديق والانقياد وأما حديث جبريل المذكور فيه الايمان والاسلام معا فالمراد بالاسلام فيه بالمعنى الآخر الذى هو الاعمال الظاهرة فقط المقرونة بالايمان المفسر معه بذكر متعلقاته والآيات المذكورة جارية على هذا الأسلوب من ان المراد بالاسلام فيها الأعمال الظاهرة باقترانه مع الايمان ويؤيده ما ورد

ما يقع يوم القيامة أى بوجوده وما اشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين وغير ذلك مما مر (قوله و بالقدر خيره وشره) أى بأن ما قدره الله من الازل لابد من وقوعه وما لم يقدره مستحيل وقوعه و بأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضائه وقدره وارادته (قوله بالشهادتين) وسيأتى تحقيقهما (قوله والصلاة) وهى لغة الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم غالبا (قوله والزكاة) وهى لغة النماء وشرعا اسم للمخرج من المال (قوله والحج) هو بفتح الحاء وكسرها لغة القصد الى معظم وشرعا زيارة مخصوصة فى زمن مخصوص بفعل مخصوص (قوله وصيام) هو لغة الامساك وشرعا امساك مخصوص (قوله المغنم) وهو ما أخذ من الكفار عنوة والحرب قائمة (قوله من المؤمنين) ممن آمن بلوط والآية فى الذاريات (قوله غير بيت) أى أهل بيت (قوله أو ترادفهما) الترادف هو الاتحاد فى المعنى دون اللفظ كالانسان والبشر (قوله على ما قيل) وقد علمت فساده (قوله واطلاق الايمان) جواب سؤال مقدر تقديره هو ان بتفسير الاسلام بما ذكرت و باطلاقه على ما حققت من المعنيين يستقيم تقرير الاحاديث التى ظاهرها التعارض لكن اطلاق الايمان على الأعمال الظاهرة فى الحديث المذكور لا يستقيم على تفسيرك للايمان فما تقول عنه فأجاب بقوله واطلاق الخ

عن

عن ابن عباس وغيره انهم لم يكونوا منافقين بل كان اسلامهم ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله الى آخرها الدال على ان معهم من الايمان ماتقبل معه أعمالهم وحينئذ يؤخذ منه انه يجوز نفي الايمان عن ناقصه وعليه الأحاديث الواردة بمثل ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وله محامل غير ذلك مما لو استقصيناها لطال المقال واستوسع المجال فأدّى الى الملال لكن نذكر ماقاله ابن القيم فى رسالة له فى بيان الهجرتين الى الله ورسوله عند قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال فرق بين الاسلام والايمان هنا لسر اقتضاه الكلام فان الاخراج هنا عبارة عن النجاة فهو اخراج نجاة من العذاب ولا ريب ان هذا مختص بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهرا و باطنا وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لما كان للموجودين من المخرجين أوقع اسم الاسلام عليهم لان امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت وهى مسلمة فى الظاهر فكانت فى البيت الموجودين لا فى القوم الناجين وقد أخبر الله سبحانه عن خيانة امرأة لوط له وخيانتها انها كانت تدل قومها على أضيافه وقلبها معهم وليست خيانة فاحشة فكانت من أهل بيت المسلمين ظاهرا وليست من المؤمنين الناجين ومن وضع دلالات القرآن وألفاظه مواضعها تبين له من أسراره وحكمه مايبهر العقول ويعلم منه التنزيل من حكيم حميد وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور وهو ان الاسلام أعم من الايمان فكيف استثنى الأعم من الأخص وقاعدة الاستثناء تقتضى العكس ويتبين ان المسلمين مستثنون مما وقع عليه فعل الوجود والمؤمنين غير مستثنى منهم بل هم المخرجون الناجون انتهى ماقاله بحروفه اذا علمت ذلك فاعلم ان لهما أوزانا كثيرة وأمثالا مشهورة غزيرة فنها الفقير والمسكين فانه اذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على مادل عليه الآخر وان قرن بينهما تغايرا فيراد بالفقير حينئذ من كان محتاجا و بالمسكين من أسكنته الحاجه وان كان له مايسدّ مسدّا من حاجته بملك أو كسب حلال لائق ولكنه لا يكفيه الكفاية اللائقة بحاله كمن يحتاج لعشرة وعنده ثمانية الى آخر ماقرروه فى هذا المبحث ومنها البر والتقوى والفسوق والعصيان والمنكر والفاحشة وغير ذلك من الأشباه والنظائر

(قوله ابن عباس وغيره) فى تفسير الآية وهو أصح التفسيرين (قوله الى آخرها) هى لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم والآية فى الحجرات (قوله وهو مؤمن) وفيه قولان أحدهما هذا والثانى لا ينفى عنه اسم الايمان من أصله ولا يطلق عليه لايهامه كمال ايمانه بل يقيد فيقال مؤمن ناقص الايمان وأما اسم الاسلام فلا ينفى بانتفاء ركن من أركانه بل ولا بانتفاء جميعها ماعدا الشهادتين وكان الفرق ان نفيه يتبادر منه اثبات الكفر مبادرة ظاهرة بخلاف نفى الايمان قاله ابن حجر (قوله العكس) أى استثناء الأخص من الأعم (قوله والنظائر) كالاثم والعدوان

وليكن الكلام الآن فى البر والتقوى وهوان حقيقة البر الكمال المطلوب والمنافع التى فى الشئ فالبر كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوبين من العبيد ويقابله الاثم فان الاثم كلمة جامعة للشر والعيوب التى تذم عليها العبيد فيدخل فى مسمى البر الايمان واجزاؤه الظاهرة والباطنة ولاريب ان التقوى جزء هذا المعنى قد دل عليها البر بالدلالة التضمنية لكونها جزء مفهومه وأكثر مايعبر بالبر عن بر القلب وهو وجود طعم الايمان فيه وحلاوته ومايلزم ذلك من طمأنينته وسلامته وانشراحه وقوته وفرحه بالايمان كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فان للايمان فرحة وحلاوة ولذاذة فى القلب فمن لم يجدها فهو فاقد للايمان أو ناقصه وهو من الذين قال الله عز وجل فيهم قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فهؤلاء على أصح القولين مسلمون غير منافقين وليسوا بمؤمنين اذلم يدخل الايمان فى قلوبهم فيباشرها حقيقته وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ايمانا واحتسابا أمرا ونهيا فيفعل ماأمر الله به ايمانا بالأمر وتصديقا بموعده ويترك مانهى الله عنه ايمانا بالنهى وخوفا من وعيده وكل عمل لابد له من مبدأ وغاية فلايكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الايمان ويكون هو الباعث عليه وغايته ابتغاء مرضاة الله وهو الاحتساب وبهذا يقرن بينهما كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا الى آخره وقوله من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا الى غير ذلك من نظائره ولاشك ان البر داخل فى مسمى التقوى الذى هو جامع لجميع أصول الدين وفروعه هذا اذا افترقا وعند اقتران أحدهما بالآخر فالفرق بينهما فرق مابين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها فان البر مطلوب لنفسه اذ هو كمال العبد وصلاحه وأما التقوى فهى الطريق اليه لانها مأخوذة من الوقاية فاصلها وقوى والوقاية وسيلة وفى ذلك غنية لمن تدبر وتأمل حق التأمل واستبصر وبالجملة فجميع

والتوبة والاستغفار وأمثال ذلك (قوله ايمانا) تصديقا بثوابه وقوله واحتسابا اخلاصا وانتصابهما على الحالية أو على انه مفعول له (قوله الى آخره) أى غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله من قام ليلة القدر) أى أحياها (قوله احتسابا) غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله من نظائره) كقوله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله وقوى) قلبت واوها التى هى فاء الكلمة تاء ولزمت فى تصاريف الكلمة كما قلبت فى تجاه فالتقوى فى اللغة فرط الصيانة وأما معناها الشرعى فينقسم الى قسمين قسم عام لانواعها وهو الصيانة والاجتناب عن كل مضر يخاف فى الآخرة وهو التقوى المرادة من قوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقسم خاص ببعض أنواعها وهو المتعارف فى الشرع المراد عند الاطلاق وعدم القرينة وهو صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل للمعصية أو ترك للطاعة فاجتناب الكبائر لازم فى هذا المعنى الحاضر

مايذكر فى الآيات والأحاديث من بيان متعلقات الايمان وشرائع الاسلام الباطنة والظاهر فهو بيان لجمل يشملها اسم الدين وهو دين الاسلام المرضى عند رب العالمين والدين يطلق بوجه الاشتراك لغة على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والحال والجزاء ومنه مالك يوم الدين والسياسة والرأى ودان عصى وأطاع وعز وذل فهو من الأضداد وشرعا اسم لما شرعه لنا أو وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى مايصلحهم فى معاشهم ومعادهم وهو والملة والشريعة ألفاظ متساوية تختلف مفاهيمها وتتحد ماصدقاتها فهو من حيث انه يدان أى يخضع ويطاع له يسمى دينا ومن حيث انه يجتمع على أحكامه يسمى ملة ومن حيث انه يقصد لانقاذ النفوس من المهلكات يسمى شريعة وهو دين الاسلام الذى لا يرضى الله سبحانه بغيره قال تبارك وتعالى ان الدين عند الله الاسلام وهو الدين الخالص من كل مايشوبه من كفر أو شرك أو نفاق ففيها وان حصل دين أى طاعة الا أنها لم تخلص لرب الأرباب وخالق المسببات والاسباب كما قال تعالى فاعبده مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وما أعظم هذا الدين وأحلاه فى القلوب وما جزاء من أخلصه فخالطت بشاشته فؤاده عند علام الغيوب ولقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر من ان يقول فى دعائه اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فانظر الى سيد الشفعاء

باتفاق لدخوله تحت الترك المعتبر فى حقيقته وأما الصغائر فقيل لا يعتبر لتحقيقه تركها لانها مكفرة عن مجتنب الكبائر كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فلا يستحق بها العقوبة وقيل نعم يستحقها لوجود صورة الذنب وأما الكبائر المذكورة فى الآية فقد حملها بعض المفسرين على أنواع الشرك لاجل مقابل الصغائر ويؤيده ماصرح به العلماء ان العقاب من الله تعالى على الصغيرة جائز عقلا وشرعا ولو مع اجتناب الكبائر هذا هو مذهب أهل السنة (قوله لغة) على أمور كثيرة كما فى القاموس منها اطلاقه على العادة الخ (قوله يوم الدين) وكما تدين تدان (قوله وتتحد ماصدقاتها) فهم متحدون بالذات ومختلفون بالاعتبار (قوله شريعة) تشبيها لها بشريعة الماء من حيث انها تقصد لانقاذ النفوس من العطب والجهة الجامعة ان فى الشريعة حياة الأشباح وفى الدين حياة الارواح بل فيه حياة الارواح والاشباح وعليه تكون الجهة الجامعة القصد للانقاذ (قوله ان الدين عند الله الاسلام) لا يقال ان هذا مناف لما هو المختار من ان الدين اسم جامع للايمان والاسلام لانا نقول ان الدين كما يطلق على ذلك المجموع يطلق على هذا الفرد اما بالاشتراك أو الحقيقة والمجاز أو التواطئ أو غير ذلك (قوله مخلصا له الدين) من الشرك والرياء (قوله ألا لله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر (قوله مخلصين له الدين) لا يشركون به

وأفضل الأنبياء صلى الله عليه وسلم كيف كان يدعو ويطلب تثبيت قلبه الشريف عليه فأنت أيها المسكين حري بمعرفته ومعرفة أضداده لتتميز عندك الأشياء وتنال العلياء وستأتيك تفاصيله بتفصيل البعض من شرائعه وبيان جوامعه وقواطعه فايقظ لها فكرك واجمع لها ذكرك وفقنا الله سبحانه لنيل حقائق التصديق وأذاقنا بمنه حلاوة الايمان المقرون بعلم التحقيق آمين

﴿الباب الرابع في تحقيق معنى كلمة الاخلاص شهادة أن لا اله الا الله و بيان اعرابها وغير ذلك﴾

اعلم ان هذه الكلمة الطيبة هي التي أرسل الله بها جميع رسله الى عباده وطلب منهم التحقيق بمعنى ما دلت عليه من توحيده سبحانه بالوهيته وافراده في عبادته فوعد من تحقق بها النعيم المقيم وتوعد من لم يعمل بمقتضاها بالعذاب الأليم فهي العروة الوثقى لمن بها تمسك والقبلة الهادية لمن تعبد وتنسك وتسمى بكلمة الاخلاص لما أفادته من الخلوص في معناها وهو موافقة الحال للمقال ولما كان الموحد الآتي بها قد قصر الألوهية على الله تبارك وتعالى في جميع أحواله وأظهر ذلك بمقاله سميت بكلمة التوحيد لما أفادته من التجريد والتفريد وتسمى بالكلمة الطيبة أيضا لانها طيبة في نفسها وعند ربها ذات طيب بلسان قائلها ولذاذة في قلب الموحد بها وقد مثلها سبحانه وتعالى بالشجرة الطيبة التي طاب أصلها وزكى فرعها فاتت أكلها لذة للآكلين شهيا للناظرين فقال عز من قائل ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها وضد هذه الكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة وهي كل كلمة تضمنت شركا أو كفرا وقد مثلها سبحانه بالشجرة المجتثة من فوق الارض فلا قرار لاصلها فتثبت ولا ارتفاع لفرعها فتزكو فقال تعالى ومثل

(قوله حري) حقيق (قوله الكلمة الطيبة) وهي كلمة الشهادة (قوله الى عباده) كما سيأتي ذلك في الباب الخامس (قوله العروة الوثقى) من الحبل الوثيق (قوله تمسك) وهو مستعار لمتمسك الحق (قوله والقبلة) وهي القبلة الخ (قوله وتنسك) عطف تفسير على تعبد (قوله موافقة الحال للمقال) وانما سميت بذلك لانها لا تكون سببا للخلاص الا اذا كانت مقرونة بالاخلاص (قوله والتفريد) لله سبحانه عن الاشباه والامثال وسيأتي تحقيق ذلك (قوله وعند ربها) وطيبة عند ربها (قوله ذات) هي ذات (قوله بالشجرة الطيبة) وقد فسرت بالنخلة وروى ذلك مرفوعا (قوله ثابت) في الأرض بعروقه فيها (قوله وفرعها) أعلاها (قوله تؤتي اكلها) تعطي ثمرها (قوله كل حين) أقته الله لاثمارها (قوله باذن ربها) أي بارادة خالقها وتكوينه (قوله أو كفرا) أو دعوة الى الكفر أو تكذيبا بالحق (قوله بالشجرة) الخبيثة وقد فسرت بالحنظل

كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فلا بد من العلم بمعناها ليتحقق القائل بمعناها ولا ينال الاستعداد المؤدى الى بلوغ المراد الا بمعرفة الامثال والاضداد و بذلك تنال الرتبة القعساء و بضدها تتبين الاشياء فالتوحيد يضاده الشرك فهما ضدان أو يقابله تقابل العدم والملكة فهما متقابلان ومثل ذلك الكفر والايمان وكذلك الغفلة تناقض الذكر والهوى يناقض الاخلاص وهذه الاربعة حجب كثيفة تحجب العبد عما يراد به من توحيده واخلاصه وذكره لربه وايمانه بلبه فاعلم ذلك وتيقن ان ليس المراد من أمر الله لك بها التلفظ فقط بل العلم والتحقق بما دات عليه هذه الكلمة الشريفة فقد أمر الله سبحانه أشرف خلقه بالعلم بها فقال فاعلم أنه لا اله الا هو وخاطبه تعريضا للغير ناهيا عن ضدها بقوله عز من قائل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين واعلم ان حاصل القول الفصل فى هذا ان من تكلم بهذه الكلمة الطيبة مع قرينتها من الشهادة برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم حكمنا عليه بالاسلام وفوضنا حكمه الى العليم العلام لكن لا بد فى قبوله عند الله سبحانه ان يكون معتقدا لما يقول ولا يكون ذلك الا بعد العلم المقبول ثم لا بد فى العمل بمقتضى عقيدته ان لا يأتى بالمنافى فاذا يكون قد أتى بالامر التام الكافى ولما كانت هذه

(قوله اجتثت) استؤصلت وأخذت (قوله من فوق الأرض) لان عروقها قريبة منه (قوله من قرار) أى استقرار (قوله و بذلك) أى بمعرفة الأمثال والأضداد (قوله القعساء) الرفيعة (قوله ضدان) فالضدان هما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالسواد والبياض والمراد بغاية الخلاف التنافى بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما (قوله تقابل العدم والملكة) والعدم والملكة هما ثبوت أمر ونفيه عما من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى مثلا فالبصر وجودى وهو الملكة والعمى نفيه عما من شأنه أن يتصف به ولهذا لا يقال فى الحائط أعمى (قوله الاربعة) أى الشرك والكفر والغفلة والهوى وقوله حجب جمع حجاب الستر (قوله كثيفة) أى لا يدرك الشئ مما وراءها (قوله تحجب) تستر (قوله بلبه) بعقله (قوله ذلك) أى الذى ذكرناه (قوله بل) المراد العلم الخ (قوله بما دلت عليه الخ) فان النطق بهما من غير فهم معناهما لا يكفى عند الله تعالى (قوله أشرف خلقه) محمد صلى الله عليه وسلم (قوله تعريضا للغير) لان الخطاب له صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته (قوله عن ضدها) أى ضد هذه الكلمة الطيبة وهى الكلمة الخبيثة المتقدمة (قوله لئن أشركت ليحبطن عملك) أو هذا على سبيل الفرض والمراد به اقناط الكفرة والاشعار على حكم أمته (قوله ولتكونن من الخاسرين) وعطف الخسران على الحبوط من عطف المسبب على السبب (قوله بعد العلم) بمعناها .

الكلمة الطيبة أساس كل ملة وعليها نصبت القبلة اعتبرت لها هذه الامور على الوجه المذكور وأما الاذكار من غيرها فلا بد من معرفة معناها وقصده ليحصل الثواب للذاكر فى شكره وحمده وظاهر كلام القاضى عياض وغيره ان مجرد الذكر باللسان لا ثواب فيه بمنزلة أصوات مالا يعقل قال الجلال البلقينى انه حق لا شك فيه وقال ابن حجر الهيتمى فى شرح العباب وفى الفتاوى الحديثية بعد ان نقل قول النووى فى الاذكار الذكر يكون بالقلب و باللسان والافضل ما كان بهما فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل الدال على ان مجرد الذكر باللسان يحصل فيه الثواب ولك ان تقول ان أريد الثواب من حيث اللفظ فالحق عدمه لانه غير متعبد بلفظه أو من حيث المعنى وتعلق القلب به فالحق الثواب والثانى أفضل فكلامه صريح فى انه اذا كان للذكر حيثيتان حيثية من جهة لفظه وحيثية من جهة المعنى واشتغال القلب به فالحيثية الثانية أفضل وللاولى فضل لكونها مؤدية للثانية ووسيلة اليها وأما اذا لم تكن له الا الحيثية الاولى كان عاريا عن الثواب والله أعلم ثم انه لا بد فى حصول الاسلام من التلفظ بلا اله الا الله محمد رسول الله وهل يكفى ابدال كل كلمة بمرادفها مثل لا معبود الا الرزاق مثلا وأحمد رسول الفتاح فى ذلك اختلاف كبير ونقل كثير وأغلب العلماء على ان الشارع لما تعبدنا بهذه الالفاظ بأعيانها وجب علينا الاتيان بها حتى ان كثيرا من العلماء أوجب لفظ أشهد ولم يكتف بما يرادفها من أعلم أو اعترف أو غير ذلك قالوا وهو الاحوط للدخول فى باب الاسلام

(قوله أساس) أصل (قوله المذكور) ثم استطرد وقال وأما الخ (قوله وغيره) من الأئمة (قوله مالا يعقل) فيكون بالهذيان أشبه (قوله وقال) أحمد بن حجر الخ (قوله بالقلب) وهو التفكر فى جلال الله وصفاته وآياته فى أرضه وسمواته وفى معانى الكتب والأحاديث واعتباراته وهذا النوع أرفع الاذكار كما ذكره القاضى عياض (قوله أفضل) لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (قوله الدال) أى قول النووى (قوله باللسان) من غير ملاحظة القلب (قوله ان تقول) هذا مقول قول ابن حجر (قوله فكلامه) أى كلام ابن حجر (قوله به) أى بالمعنى (قوله وللاولى) التى هى من جهة اللفظ (قوله مثلا الخ) ولك ان تمنع التوازن لان مفاهيم هذه الألفاظ متغايرة كما لا يخفى (قوله اختلاف كبير الخ) فالروياني والماوردى على انه لا يجوز الايمان بغير كلمة لا اله الا الله وهو ما نقل عن أغلب العلماء و بعضهم جوز بما يؤدى معناه ومنهم الحليمى (قوله لفظ أشهد) ويوافقه رواية أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الحديث وهو ما اعتمده بعض المتأخرين من الشافعية (قوله من اعلم) أى فى افادة مطلق العلم لا مطلقا لما سيذكر ان الشهادة أخص من العلم و بذلك يجمع بين كلاميه

والخروج عما به يلام بقى حكم قائل ذلك عندنا فى الظاهر لندخله فى عداد المسلمين وتجرى عليه أحكام المؤمنين فظاهر كلام الروضة عدم الاشتراط ومعنى أشهد أقر بلسانى وأذعن فى قلبى عالما بذلك علما خاصا كما ورد فى بعض الاحاديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه فى بعض الحوادث اذا علمت ذلك مثل الشمس فاشهد واذا كانت الشهادة أخص من العلم لكونها عبارة عن النطق الصادر من صميم الفؤاد الصادق فى دعوى الاتحاد كانت حاملة لقائل كلمة التوحيد على العمل بمقتضاها والقول بموجبها وأما الاله فانه من أسماء الأجناس يقع بأصل وضعه على كل معبود بحق أو باطل لكنه خصص بالاطلاق على المعبود بالحق وهو الله سبحانه وتعالى والمرجح انه اسم جنس غير صفة لانك تصفه فتقول اله واحد صمد ولا يوصف به فلا تقول شئ اله وهو فى أصل وضعه واشتقاقه قيل مشتق من أله على وزن علم بمعنى تحير لان الفطن تدهش فى معرفة المعبود فيكون الاله المألوه فيه وقيل من أله على وزن ضرب بمعنى عبد فيكون الاله بمعنى المألوه أى المعبود الا انه جعل من الموحدين

(قوله بقى) أى لكن بقى (قوله عندنا) أى الشافعية (قوله كلام الروضة) فى الايمان (قوله عدم الاشتراط) ويؤيده اكتفاؤهم فى حق من لم يدن بشئ بآمنت وكذا أؤمن بالله بأن لم يرد به الوعد أو أسلمت لله أو الله خالقى أو ربى ثم يأتى بالشهادة الأخرى فاذا اكتفوا بنحو الله خالقى مع انه لاشئ فيه من الوارد نظرا للمعنى دون اللفظ فالأولى الاكتفاء بلا اله الا الله كما هو واضح لانه وجد فيه اللفظ الوارد نظرا لرواية حتى يقولوا (قوله ومعنى أشهد أقر) قلت فعلى هذا يكون معنى الشهادة فى أشهد أن لا اله الا الله اقرار باللسان وتصديق بالجنان ويشهد لذلك قول المفسرين ان شهد فى قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بمعنى بين فى حق الله تعالى وبمعنى أقر فى حق الملائكة وبمعنى أقر واحتج فى حق أولى العلم من الثقلين فان قلت فهى على هذا المعنى حقيقة أم مجاز قلت ذكروا انها مجاز لغوى وحقيقة شرعية حيث شبه الاقرار والتصديق بشهادة الشاهد فى البيان والكشف فأطلق على ذلك الشهادة فيكون من قسم الاستعارة وان قلت الأصل ان يكون اللفظ حقيقة فالصارف عنه ههنا قلت الصارف عنه ههنا عدم استقامة المعنى اللغوى فى هذا المقام اذ الشهادة فى اللغة تجىء بمعنى الاخبار بصحة الشئ عن مشاهدة وعيان كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وتجىء بمعنى الحضور كما يقال شهد شهودا اذا حضره وتجىء بمعنى القسم كما تقول أشهد بكذا بمعنى أحلف به وتجىء بمعنى تحمل الشهادة اذا حملها عليك وتحملتها كما تقول فلان أشهد على الحادثة والواقف مثلا وكل هذا غير مستقيم كما لا يخفى (قوله أخص من العلم) فكل شهادة علم ولا عكس (قوله كانت) جواب اذا وقوله حاملة أى باعثة (قوله جنس) وهو ما وضع للماهية من حيث هى

للمعبود بحق فاله فعال بمعنى مألوه أى معبود فهو صفة مشبهة ككتاب بمعنى مكتوب نقله شهاب عن البيضاوى فى حاشيته عليه و بما صحح من اسميته يكون قد نقل من الوصفية الى الاسمية كما فى كتاب صيغة ونقلا ودليلا وقال المبرد هو مشتق من ألهت الى فلان أى سكنت اليه ومنه قول الشاعر
* ألهت اليها والحوادث جمة * فالخلق يسكنون و يطمئنون بذكره وقال الضحاك انما سمى الها لان الخلق يتألهون اليه فى حوائجهم أى يتضرعون اليه وقيل هو مشتق من اللاه وكل مرتفع فهو لاه تقول العرب طلعت اللاهة تعنى الشمس وقيل من لاه بمعنى احتجب وقيل من الوله وأصل اله ولاه أبدلت الواو همزة كما فى وشاح واشاح لان الخلق يفزعون اليه و يلجؤن اليه كما يأله الطفل الى أمه قاله محيي السنة فى معالمه وقال ابن الأثير فى نهايته مانصه قال الله تعالى قالوا نعبد الهك يعنى الذى تلجأ اليه وتستغيث به وسميت أصنام المشركين آلهة لانهم كانوا يلجؤن اليها قال الله تعالى أءله مع الله أى أيؤله الى غيره وقوله و يذرك والاهتك أى عبادتك ومن قرأ وآلهتك أراد أصنامك وقالوا للشمس الهة لانهم عبدوها قال الشاعر * وأعجلنا الالهة ان تؤبا * وقال أبو الهيثم لا اله الا الله أى لا معبود الا الله والتأله التعبد وفى حديث وهيب اذا وقع العبد فى الهانية الرب لم يجد أحدا يأخذ بقلبه انتهى وحاصل ما تقدم ان الاله اسم جنس يطلق على من تتأله القلوب بخواص الالوهية التى اجتمعت بالاله الحق سبحانه وتعالى فهو الاله الحقيق ومتأله بخواص الألوهية التى أوجبت له افراده بالعبادة هو الموحد وكلما ادعى هذه الخواص أو بعضها أو ادعى له فهو اله باطل والمدعى له هو المشرك المعطل وسيأتيك مزيد بحث لذلك و بيان للخواص الالهية وما قالته الأئمة الأعلام وما يتفرع على ذلك من الأحكام فى الأبواب الآتية وفقنا الله لاتمامها بمنه وفضله آمين والله علم لذات الواجب تعالى المستحق للعبودية لا يطلق على غيره أصلا وصرح امام

أى من غير اعتبار تغيرها فى الخارج أو الذهن (قوله معبود) بحق (قوله شهاب) أى الخفاجى (قوله كما فى كتاب) أى كما فعل ذلك فى كتاب المماثل له (قوله من ألهت) على وزن علمت (قوله ومنه قول الشاعر) هو محمد بن يزيد (قوله يسكنون) أى اليه (قوله من اللاه) وهو الارتفاع (قوله من لاه) يليه (قوله احتجب) اذ لا تدركه الأبصار (قوله أبدلت الواو همزة) لاستثقال الكسرة عليها (قوله محيي السنة) أى البغوى (قوله تؤبا) أى ترجع (قوله فى الهانية) فعلانية بضم (قوله لم يجد أحدا يأخذ بقلبه) أى اذا وقع العبد فى عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفاته تعالى وصرف همه اليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه الى أحد (قوله والله علم لذات الواجب تعالى) الى آخره لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد من اسم تجرى عليه صفاته ولا ينصلح له مما يطلق عليه سواه (قوله لا يطلق على غيره أصلا) وهو علم مرتجل من

النحاة

النحاة الخليل بن أحمد ان الله علم خاص لذاته تعالى كما نقل عنه محيي السنة فى تفسيره وعليه الغزالى ومن زعم انه اسم لمفهوم الواجب لذاته وانه كلى انحصر فى فرد كالشمس الاان الشمس يمكن غيرها من الافراد بخلاف أفراد الله فقد سها سهوا فاحشا لان لااله الا الله كلمة توحيد فلو كان اسما لمفهوم وقد انحصر فى فرد لم يفد التوحيد لان المفهوم من حيث هو يحتمل الكثرة واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان لا نافية للجنس واله اسمها مبنى معها على الفتح والا حرف لايجاب النفى وابطاله ولا تسمى استثنائية قال ابن هبيرة الاهنا موجبة وليست استثنائية فان الله سبحانه لا يستثنى من شئ اذ ليس كذاته شئ لان المثاية يطرقها الاشتباه ولا يعرف الا بأن لا يشبهه شئ فكيف يستثنى بل هو واجب الوجود واسم

غير اعتبار أصل أخذ منه كما عليه الأكثرون ومنهم أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعى والخليل والزجاج وابن كيسان والحليمى وامام الحرمين والغزالى والخطابى وغيرهم وهو المختار وقيل انه مشتق واختلفوا فى اشتقاقه على عشرين قولا كما فى القاموس (قوله ان الله علم خاص لذاته تعالى) بشهادة افادة التوحيد فلو لم يكن علما لما أفاده كما ذكر لا يقال فيلزم من هذا دور لتوقف كل من العلمية والافادة على الآخر لانا نقول لا نسلم لزوم ذلك فان وصف العلمية موقوف على الافادة والافادة على الجلالة نفسها الاعلى وصف العلمية فلا يلزم لاختلاف الجهة وهذا تصوير المنقول بصورة المعقول لتقوية اثبات المطلوب على الوجه المقبول لا لاثبات اللغة بالاستدلال حتى يقال انه غير جائز على المذهب الحق على انا نقول ان الاعلام ليست من اللغة (قوله وعليه الغزالى) قال الغزالى فى المقصد الاسنى انه اسم للمنفرد بالوجود الحقيقى الجامع لصفات الالهية والاشبه انه جار فى الدلالة على هذا المعنى مجرى الاعلام وكل ماذكر فى اشتقاقه تعسف وتكلف وهو أعظم أسمائه لانه دال على الذات مستجمع لجميع الصفات وغيره لا يدل الا على آحاد المعانى كالقدرة والعلم ولانه أخص الأسماء به لانه لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا ولانه لا يتصف به العبد البتة بخلاف البواقى ولانه يوصف بسائر الاسماء فيقال الرحمن الرحيم من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الرحمن الرحيم لانه دال على كنه الحقيقة فاستغنى عن تعريفه بغيره وغيره يعرف به (قوله لا نافية للجنس) وتسمى لا التبرئة لانها تدل على نفى الجنس كما انها تدل على البراءة منه لانها للتنصيص على كل فرد من أفراد الجنس وعملت عمل ان من نصب الاسم ورفع الخبر لمشابهتها لها فى التوكيد ولزوم الصدر والدخول على الجمل الاسمية (قوله على الفتح) قيل لتضمنه معنى من الاستغراقية وقيل لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ومحله النصب هذا عند الاخفش والمبرد وعند الزجاج ان حركة اسمها اعرابية فيكون منصوبا لفظا وعدم التنوين لا ينافيها فانه ليس من لوازم الاسم والاعراب فيجوز انفكاكه عنه وعند البعض انها لا تعمل فيه أصلا وهو وحده مرفوع المحل على انه مبتدأ وأما خبرها فمحذوف بالاتفاق

الله مرتفع بعد الا بأنه له الألوهية وهذه الكلمة الطيبة قد اشتملت على الكفر بالطاغوت والايمان بالله وحده لانك نفيت الآلهة فكفرت بالطاغوت وأثبت الألوهية لله وحده فآمنت به فقوله ان الله لا يستثنى من شئ يريد ان الله بدل من اسم لا أى من محله فانه مبتدأ فى الأصل ويتعذر البدل على اللفظ فتعين الحمل على المحل وتعذره على اللفظ بسبب ان البدل على نية تكرار العامل ولا هذه لا تعمل فى المعارف وأيضا لما انتقض النفى بالا بطل عملها فيما بعدها وأيضا لما فتح اسمها على تضمن من الموجب لكونها نصا فى العموم وكان النفى منتقضا كما سلف كان فى ذلك زيادة من فى الاثبات وليس ذلك بجائز عند جمهور البصريين وهذا من ابن هبيرة مبالغة فى التجرد والا فشرط الاستثناء التصادق وهو مع الآلهة متصادقان وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع على انه بدل بعض من محل اسم لا لكنه يخالف الابدال من حيث انه يناقضه فى حكمه وليس فيه ضمير يرجع الى المبدل مع انه بدل بعض من كل فهذا من خواص بدل البعض

(قوله بالطاغوت) بالشيطان والأصنام وكل ماعبد من دون الله أو صدعن عبادة الله (قوله فى الأصل) قبل دخول لا (قوله بسبب ان البدل على نية تكرار العامل) لان الغرض منه ان يذكر الاسم مقصودا بالنسبة بعد التوطئة لذكره بالتصريح بتلك النسبة الى ماقبله لافادة توكيد الحكم وتقريره (قوله ولا هذه) التى لنفى الجنس وقوله لا تعمل فى المعارف بل اعمالها خاص بالنكرات المتصلة (قوله على تضمن من الخ) هذا على قول من قال علة البناء تضمن معنى من الاستغراقية وأما على القول الآخر من انها علة التركيب فلا يتأتى ماذكره (قوله وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع الخ) فان قلت هل يجوز نصبه قلت على مقتضى قواعد العربية انه لا شك فى جوازه لكن السهيلى منعه فى اماليه حيث قال لا يجوز فى نحو لا اله الا الله من نصب المستثنى ماجاز فى نحو مافعلوه الا قليل منهم كما لم يجز فى ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الا الرفع وذلك لنكتة بديعة لم ينبه عليها من حذاق النحويين الا قليل وهو ان النصب انما حقه الايجاب فاذا دخل النفى على كلام قائم بنفسه جاز لك من النصب ماجاز قبل دخول النافى واذا دخل على كلام لا يستقيم تقديره عريا عنه تعين اعتبار حكم النفى وامتنع اعتبار حكم الايجاب انتهى (قوله لكنه يخالف الابدال الخ) والأقرب ان يكون البدل من الضمير المستتر فى الخبر المقدر لان الابدال من الأقرب وهو الضمير أولى من الأبعد ولأنه لا داعية الى الاتباع باعتبار المحل مع امكان الاتباع باعتبار اللفظ ثم البدل ان كان من الضمير المستكن فى الخبر كان نظير البدل فى نحو ماقام أحد الا زيد لانه فيهما باعتبار اللفظ وان كان من الاسم كما ذكر كان نظير البدل فى نحو لا أحد فيها الا زيد لان البدل فيهما باعتبار المحل (قوله فى حكمه) أى ان حكمه مخالف لحكم المبدل منه ايجابا وسلبا (قوله مع انه بدل بعض من كل) كما صرحوا به لانه ليس عين

الواقع بعد الا وقال الكوفيون فى ذلك الاحرف عطف عطفت اسم الله سبحانه على اله وهى عندهم بمنزلة لا العاطفة فى ان ما بعدها يخالف ما قبلها والفرق بينهما ان لا لنفى الايجاب والالايجاب النفى وأما خبر لا فيقدر من الأفعال العامة كموجود والمعنى حينئذ لا مستحق للعبودية فى الوجود أو موجود الا الله أى الفرد الذى هو خالق جميع الكائنات ولا يجوز ان يكون مستثنى مفرغا من ضمير موجود الذى هو الخبر وان كان الضمير يرجع الى اله لانه يفيد حينئذ اثبات وجود الله تعالى لا وحدانيته وليس ذلك بمراد اذ لم ينكر أحد وجوده وانما اشرك به المشركون مع اقرارهم بأنه الخالق الرازق المدبر للعالم بأن عبدوا معه غيره للتقريب اليه قال تعالى حاكيا عنهم ومانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى وقوله سبحانه واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكان اخلاصهم الدين بأن تركوا الشرك معه فالقصد من هذه الكلمة الطيبة انما هو اثبات الوحدانية له تعالى وتفرده بالألوهية وهذا تسمى كلمة التوحيد لا كلمة اثبات وجوده تعالى ولا خفاء ان التوحيد مرتبة أخرى بعد الوجود لانه اذا ثبت الشئ فى الخارج يسأل عنه أهو واحد أوله شريك فالمراد به حينئذ ما يقطع عرق الشركة الشاملة للشركة فى الوجود

المبدل ولا مشتملا عليه ولا يمكن وقوع بدل الغلط فى كلام الله تعالى فتعين بدل البعض اذ لا خامس فان قلت هل يمكن اعرابه بغير البدلية من سائر التوابع قلت لا يمكن ان يكون عطف نسق لعدم توسط الحرف ولا صفة لعدم الاشتقاق ولو تقديرا ولا عطف بيان لعدم الايضاح ولا تأكيدا لفظيا لعدم اتحاد اللفظين فى مادة الحروف وهيآتها ولا تأكيدا معنويا لعدم الألفاظ المخصوصة فتعين ان يكون بدلا كما يقتضيه السبر والتقسيم وخص البدل بالبعض لعدم استقامة غيره كما ذكرناه (قوله الواقع بعد الا) كما قال ابن الضائع بالضاد والعين لو قيل ان البدل فى الاستثناء قسم على حدة ليس من تلك الابدال التى تبينت من غير الاستثناء لكان وجها وهو الحق انتهى (قوله عطف) وذلك عندهم فى باب الاستثناء خاصة قاله أبو حيان ورد ماعندهم بقولهم ماقام الازيد وليس شئ من أحرف العطف يلى العامل وأجيب بأنه ليس تاليها فى التقدير اذ الأصل ماقام أحد الازيد (قوله كموجود) فان قلت فلم لم يقدر الخبر المحذوف ممكنا كما قدره بعض أهل الاستدلال مع ان نفى الامكان يستلزم نفى الوجود من غير عكس فيكون أبلغ فى الرد قلت أجيب عن ذلك بأن عدم تقدير الامكان لعدم قرينة دالة عليه ولأن التوحيد هو بيان وجوده ونفى اله غيره لا بيان الامكان وعدم امكان غيره على ان هذا القول رد لخطأ المشركين فى اعتقاد تعدد الآلهة فى الوجود فيكون الامكان مسكوتا عنه بحسب دلالة القول ومقتضى المقام فتقدير الخبر المحذوف ممكنا ونحوه غير صحيح لفظا وان كان صحيحا عقلا والواجب على المتكلم رعاية المقام واعطاء كل مقام حقه (قوله بأن تركوا الشرك معه) حيث لا يذكرون الا الله

وفى عبادة المعبود قال الباذلى والأولى ان يقدر الخبر مؤخرا بعد الالئلا يظن انه استثناء مفرغ وقد صرح التفتازانى فى تلويحه أيضا بأنه لايجوز ان يكون الاستثناء مفرغا وههنا كلام لصاحب المنتخب والامام تاج الدين السبكى وغيرهما مشتمل على أولوية عدم تقدير الخبر وفيه من المناقشات الباردة ممالیس لديه عائدة أعرضت عنه خوف حصول السئام وعروض الملل وحاصله ان صاحب المنتخب لايجعل اله مبتدأ بل كلمة مفردة لامعربة ولامبينة فلا يثبت له خبرا فقد تابع بذلك بنى تميم فانهم لايثبتون له خبرا وفيما فات من جعل الاله بمعنى المعبود بالحق والله علم على الذات المقدسة يستقيم مقصود الكلام من غير خصام قال الفاضل الباذلى فان قلت اذا قدرت الخبر فلم تقدره مفردا ولم تقدره جمعا مثل موجودون اذ لابد من التعدد فى المبدل منه عند من قال بالبدلية واذا كان مفردا كيف يدخل المستثنى فيه حتى يخرج فلا يصلح للاستثناء عند القائل بالاستثنائية وأقول لايجوز جمعه فى مثل هذا التركيب لان الجمع مجموع ومعنى العام جميع والمفرد فى سياق النفى عام فى افراده لاجمع

ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لايكشف الشدائد الاهو (قوله استثناء مفرغ) وهو ما اذا فقد التمام من الكلام المنفى بأن لم يصرح فيه بالمستثنى منه وسمى مفرغا لان ماقبل الا تفرغ للعمل فيما بعدها (قوله بأنه لايجوز أن يكون الاستثنا مفرغا) واقعا موقع الخبر لان المعنى على نفى الوجود عن آلهة سوى الله تعالى لا على نفى مغايرة الله عن كل اله وعدم جواز كون الاستثناء مفرغا هو ماعليه النحاة بل ما بعد الا مرفوع على البدلية كما تقدم (قوله وههنا كلام لصاحب المنتخب) حيث اعترض على النحاة فى تقدير الخبر فى كلمة الشهادة فقال يلزم من قولهم فى لا اله الا الله التقدير لا اله فى الوجود الا الله ان يكون ذلك نفيا لوجود الاله ومعلوم ان نفى الماهية أقوى فى التوحيد الصرف من نفى الوجود فكان اجراء الكلام على ظاهره والاعراض عن هذا الاضمار أولى وأجاب أبو عبد الله محمد بن أبى الفضيل المرسى عن ذلك فى رى الظمآن فقال هذا كلام من لايعرف لسان العرب فان اله فى موضع المبتدا على قول سيبويه وعند غيره اسم لا وعلى التقديرين فلا بد من تقدير الخبر وماقاله من الاستغناء عن الاضمار فاسد وأما قوله اذا لم يضمر يكون نفيا للماهية فليس بشئ لان نفى الماهية هو نفى الوجود اذ لا تتصور الماهية الا مع الوجود فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة فانهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود انتهى فاذا عرفت ذلك تبين عندك ان عدم تقدير الخبر فاسد من جهة اللفظ والمعنى (قوله فقد تابع بذلك بنى تميم) أى تابعهم فى عدم الاثبات فقط والا فهم يقدرون لجعلهم الاسم مبتدا يحتاج الى خبر مقدر غير جائز اثباته عندهم (قوله ومعنى العام جميع) لان مدلوله من حيث الحكم عليه كلية أى محكوم فيه على كل فرد مطابقة اثباتا أو سلبا (قوله عام فى أفراده) أى وضعا لما ذكرنا من ان الحكم العام على كل فرد مطابقة

فكيف

فكيف يجمع والاستثناء يقتضى التعدد لا الجمعية بدليل جواز الاستثناء من العدد وكذلك البدل البعض فانه يقتضى التعدد فى المبدل منه انتهى محصل ما قاله وهذه الكلمة الطيبة قد اشتملت على قضيتين احداهما سالبة كلية مشتملة على موضوع وهو اله ومحمول منوى وهو موجود ونسبة بينهما وحكم هو الانتزاع و بعد هذه القضية قضية موجبة شخصية فانه أوقع على موضوعها وهو الله الحكم كما انتزع عن الاله فههنا قضيتان سالبة وهى لا مستحق للالوهية فى الوجود وموجبة وهى الله هو المستحق للالوهية فهو مثل المركبات من الموجهات لكن العبرة عند المناطقة بالقضية الأولى فى اطلاق اسم السلب والايجاب وقدم السلب مبالغة فى تنزيهه سبحانه عن الشريك وهذه خلاصة ما قيل فى هذه الكلمة الطيبة من بيان المفردات والاعراب على أحد الوجوه و بقيت وجوه أخر صحيحة

(قوله من العدد) نحو أخذت عشرة الا أربعة الا اثنين (قوله على قضيتين) القضية قول يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب فيه (قوله سالبة) وهى ما اذا كان الحكم فيها بالانتزاع وقوله كلية وهى ما اذا كان موضوعها كليا بين فيه كمية الافراد وكان الحكم فيها على كل الافراد واللفظ الدال على كمية الافراد يسمى سورا وقوله على موضوع وهو المحكوم عليه وسمى موضوعا لأنه وضع ليحكم عليه وقوله ومحمول وهو المحكوم به وسمى به لحمله على الموضوع وقوله منوى أى مقدر وقوله ونسبة بينهما بها يرتبط المحمول بالموضوع وتسمى نسبة حكمية وقوله وحكم هو اسناد أمر الى آخر ايجابا أو سلبا والايجاب هو ايقاع النسبة والسلب هو الانتزاع أى انتزاع النسبة (قوله قضية موجبة) وهى ما اذا كان الحكم فيها بالايقاع وقوله شخصية وهى ما اذا كان موضوعها جزئيا وسميت شخصية لان موضوعها شخص معين (قوله فهو مثل المركبات من الموجهات) فمنطوقه نفى الألوهية عن غير الله ومفهومه اثبات الألوهية لله تعالى وحده قال الجلال المحلى فى لا أعلم الا زيد منطوقه نفى العلم عن غير زيد ومفهومه اثباته لزيد (قوله و بقيت وجوه أخر صحيحة) منها ما ينسب الى الزمخشرى أن لا اله فى موضع الخبر والا الله فى موضع المبتدا ولا يخفى ضعفه لأنه يلزم منه أن يكون الخبر مبنيا مع لا وهى لا يبنى معها الا المبتدا ومنها ان الاسم المعظم مرفوع بلا كما يرفع الاسم بالضم وذلك بأن يكون اله بمعنى مألوه فيكون الاسم المعظم مرفوعا على انه نائب الفاعل ساد امسد الخبر كما فى قولنا ما مضروب العمران ولا يخفى أيضا ضعفه لان الهاليس بوصف فلا يستحق عملا ومنها ان الا بمعنى غير والاسم المعظم صفة لاسم لا باعتبار المحل ذكر ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجانى عن بعضهم والتقدير لا اله غير الله فى الوجود ولا شك بأن الا فى هذا التركيب وان كان لا مانع له من جهة الصناعة النحوية لكن المعنى يمنعه وذلك لان المقصود من كلمة التوحيد أمران نفى الألوهية عن غير الله واثباتها له تعالى ولا يفيده هذا التركيب فان قيل يستفاد ذلك بالمفهوم قيل أين دلالة المفهوم من دلالة المنطوق ثم هذا

لكن المذكور هو المشهور بين المعربين ومشى عليه ابن مالك وغيره من النحاة وأجابوا عن وجوه مخالفته للابدال بأجوبة لاتفى هذه العجالة يبسطها ولكن نذكر وجها آخر صحيحا اختاره ناظر الجيش فى شرح التسهيل وغيره من ان المجموع من لا مع اسمها فى موضع رفع بالابتداء والخبر المقدر لهذا المبتدا ولم تعمل فيه لا عند سيبويه واذا كان النفى قد أبطل بالا كان الاخبار عن الاله بأنه الله والمعنى المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له وقد أسلفت البيان لمعنى الاله وانه الذى تتألهه القلوب بتخصيصه بما يختص بالوهيته فهو اذا المستحق للعبادة والمنفرد بملك الولاية والسيادة وقد ارتضى

المفهوم ان كان مفهوم لقب فلا عبرة اذلم يقل به الا الدقاق و بعض الحنابلة وان كان مفهوم صفة فقد عرف فى أصول الفقه انه غير مجمع على ثبوته فقد تبين ضعف هذا القول لا محالة (قوله لكن المذكور) من القول بالبدلية (قوله ومشى عليه ابن مالك وغيره الخ) فان ابن مالك لما تكلم على حذف خبر لا العاملة عمل ان وأكثر ما يحذفه الحجازيون مع الا نحو لا اله الا الله وهذا الكلام منه يدل على ان رفع الاسم المعظم ليس على الخبرية وحينئذ يتعين رفعه على البدلية وصرح كثير من النحاة بالرفع على البدلية (قوله اختاره القاضى ناظر الجيش الخ) قال ناظر الجيش وأما القول بالخبرية فقد قال به جماعة والذى يظهر لى انه أرجح من القول بالبدلية وقد ضعف القول بالخبرية بثلاثة أمور وهى انه يلزم من القول بذلك كون خبر لا معرفة ولا لا تعمل فى المعارف وان الاسم المعظم مستثنى والمستثنى لا يصح أن يكون عين المستثنى منه لانه لم يذكر الا ليبين به ما قصد بالمستثنى منه وان اسم لا عام والاسم المعظم خاص والخاص لا يكون خبرا عن العام لا يقال الحيوان انسان * والجواب عنها اما الأول فانك قد عرفت ان مذهب سيبويه ان حال الاسم المعظم مع لا لا عمل لها فى الخبر وانه حينئذ مرفوع بما كان مرفوعا به قبل لا وقد علل ذلك بأن شبهها بأن ضعفها حين ركبت وصارت كجزء كلمة وجزء الكلمة لا يعمل ومقتضى هذا ان يبطل عملها فى الاسم لكن أبقوا عملها فى أقرب المعمولين وجعلت هى مع معمولها بمنزلة مبتدأ والخبر بعدها على ما كان عليه مع التجرد واذا كان كذلك لم يثبت عمل لا فى المعرفة وأما الثانى فلا نسلم ان اسم لا هو المستثنى منه وذلك ان الاسم المعظم اذا كان خبرا كان الاستثناء فيه مفرغا والمفرغ هو الذى لا يكون المستثنى منه مذكورا نعم الاستثناء فيه انما هو من شئ مقدر لصحة المعنى ولا اعتداد بذلك المقدر لفظا ولا خلاف يعلم فى نحو ماز يد الا قائم ان قائما خبر عن زيد ولا شك ان زيدا فاعل فى قوله ما قام الا زيد معنى مستثنى عن مقدر فى المعنى التقدير ما قام أحد الا زيد فعلى هذا لا منافاة بين كون الاسم المعظم خبرا عن اسم قبله و بين كونه مستثنى من مقدر اذ جعله خبرا منظور فيه الى جانب اللفظ وجعله مستثنى منظور فيه الى جانب المعنى وأما الثالث فهو انه يقال ان قولك بأن الخاص لا يكون خبرا عن العام مسلم لكن فى

الامام السنوسى تفسير الاله بالغنى المطلق عن كل ماسواه المفتقر اليه جميع من عداه وهذان الوصفان يوجبان له التعزز بجميع صفاته العليا وأسمائه الحسنى ويوجبان له عز شأنه التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع فليس للخلق ولى من دونه ولا شفيع الا من بعد اذنه وكلهم داخلون تحت ظلال أمره والمتقدمون من المشركين الأوّلين وان كانوا يعلمون ان ذلك خاص بالله وحده فلذلك كانوا يسمونه سبحانه وتعالى اله الآلهة زاعمين ان الله تبارك وتعالى لا يسع الخلق كلهم وانهم قد جعلوا اشياء من صور وتماثيل يسمونها آلهة ولا يعتقدون حقيقة الالوهية فيها بل يرون انها وسائل تقربهم الى الله وتشفع لهم عند الله ولذا أنكروا على النبى صلى الله عليه وسلم أمره لهم بكلمة التوحيد وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا والدليل على ذلك قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الى غير ذلك من الآيات التى تفيد اقرارهم بملكه

لا اله الا الله لم يخبر بخاص عن عام لان العموم منفى والكلام انما سيق لنفى العموم وتخصيص الخبر المذكور بواحد من افراد مادل عليه اللفظ العام (قوله بالغنى المطلق الخ) فيكون معنى كلمة التوحيد لا مستغن عن جميع ماسواه ولا مفتقر اليه جميع من عداه الا الله (قوله وهذان الوصفان) أعنى استغناءه عن كل ماسواه وافتقار من عداه اليه وقوله يوجبان له التعزز بجميع صفاته الخ أما استغناؤه عن جميع ماسواه فيوجب له الوجود والعدم والبقاء اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا الى محدث لان انتفاء شئ من هذه الصفات يستلزم الحدوث وكل حادث مفتقر الى محدث وكذا يوجب له التنزه عن النقائص ويدخل فى التنزه عنها وجوب السمع والبصر والكلام اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان متصفا بالنقائص ومحتاجا الى من يدفع عنه تلك النقائص وكذا يوجب له تعالى التنزه عن الأغراض فى أفعاله وأحكامه اذ لو لم يجب له تعالى التنزه عن الأغراض لكان محتاجا الى مايحصل به غرضه وكذا يوجب له تعالى أن لا يجب عليه فعل شئ من الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه فعل شئ منهما لكان محتاجا الى ذلك الشئ ليتكمل به اذ لا يجب له تعالى الا ماهو كمال وأما افتقار جميع ماعداه اليه فيوجب له تعالى القدرة والارادة والعلم والحياة اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان عاجزا عن ايجاد شئ من الكائنات وكذا يوجب له تعالى الوحدانية اذ لو لم تجب له بل كان معه ثان فى الألوهية لم يفتقر اليه شئ من الكائنات ويؤخذ من افتقار جميع ماعداه اليه تعالى حدوث العالم بأسره اذ لو كان شئ منه قديما لكان مستغنيا عنه غير محتاج اليه (قوله ويوجبان له التفرد بملك الضر والنفع الخ) اذ لو كان فى شئ من المخلوقات تأثير فى أثر ما لكان ذلك الأثر مستغنيا عنه تعالى غير مفتقر اليه (قوله أجعل الآلهة الها واحدا) بأن جعل الألوهية التى كانت لهم لواحد (قوله فأنى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك

الحقيق لهذه الأمور الجسام والأحكام العظام وقوله سبحانه واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يدل دلالة لامحيد عنها على انهم كانوا لايعتقدون استقلال آلهتهم بالنفع والضر وغيرهما وكذلك مارواه أحمد فى مسنده والترمذى فى جامعه من حديث حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ياحصين كم تعبد قال سبعة ستة فى الارض وواحد فى السماء قال فمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء الى آخر الحديث يدل دلالة ظاهرة على انهم يفردونه بتلك الأمور وانهم كانوا يقولون فى تلبيتهم لاشريك لك الاشريك تملكه وماملك فجميع ذلك يدل على انهم لايسمونهم آلهة بالمعنى الذى ذكره الامام السنوسى وانما يعبدونهم ليقربوهم الى الله زلفى وان أطلقوا عليهم اسم الآلهة وبه صرح المحقق الشريف فى شرحه للمواقف واذا لم يكن ذلك بمراد من هذه الكلمة الطيبة فالاولى تفسير الاله بما تقدم وهو المناسب لوجوه الاستعمال والقاطع لمواد الفساد الجامع لما من الموحد يراد لكن مراده رحمه الله تعالى انه اذا قال الموحد وتأمل فى معنى هذه الكلمة التى هى كلمة التقوى فوصف الله تعالى بالغنى الذاتى عن كل ماسواه وافتقار جميع من عداه اليه فهو سيده ومولاه فبزغت أنوار التوحيد من آفاق فؤاده وأخلص سره عن شوب الشرك والحاده تيقن ان ذلك الموصوف العظيم والمهيمن

(قوله وقوله سبحانه) مبتدا خبره يدل الآتى (قوله واتل عليهم) أى على مشركى العرب (قوله ماذا تعبدون) سألهم ليريهم ان مايعبدونه لايستحق العبادة وقوله فنظل نظل هنا بمعنى ندوم (قوله هل يسمعونكم) أى يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون وقوله اذ تدعون أى عليه (قوله أو ينفعونكم) على عبادتكم لها وقوله أو يضرون من أعرض عنها (قوله بل وجدنا آباءنا الخ) أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم نفع أو ضر والتجؤا الى التقليد (قوله يدل) خبر المبتدا (قوله زلفى) قربى أو منزلة (قوله وافتقار) احتياج (قوله فبزغت) أشرقت (قوله آفاق) جمع أفق الناحية (قوله شوب) خلط (قوله العظيم) فسر صاحب المواقف العظيم بقوله أى انتفت عنه صفات النقص فمرجعه صفة سلبية وقيل معنى العظيم انتفى عنه جميع صفات النقص وحصل له جميع صفات الكمال فيرجع الى الصفات السلبية والثبوتية معا (قوله المهيمن) أصله مؤيمن من الأمن قلبت همزته هاء ومعناه الشاهد وفسر كونه شاهدا تارة بالعلم فيرجع الى صفة العلم وأخرى بالتصديق بالقول فيرجع الى صفة الكلام وقيل معنى المهيمن الأمين أى الصادق فى قوله وقيل هو بمعنى الحفيظ وقال البيضاوى المهيمن الرقيب الحفيظ لكل شئ

الكريم هو المختص للموحد بافراد العبادة من العابدين المطلوب فى قضاء الحوائج لجميع العالمين فاذا
قال لا اله الا الله أقر وأذعن اذعانا وافيا واعترف اعترافا صحيحا كافيا أن لا مستحق للالوهية وهى
استحقاق العبادة الا الله وحده فبرئ عن عبادة كل معبود ونفى ان يكون اله غيره بهذا الوصف موجود
وأثبت الألوهية لمستحقها ووضعها فى موضعها فكان أحق بها وأهلها فلا بد للمسلم ان يعرف ما تعبده
الله به من أنواع العبادات و يميزها عما التبست به من سيئ العادات ليخصها بالاله الحق خالق الأرض
والسموات ومن نظر بعين البصيرة فى الآيات القرآنية والسير النبوية علم كيف يكون المدخل والمخرج
فازداد تبصرا ونورا قائلا رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا وهذه الكلمة الطيبة هى مبنى العقائد الدينية وأساس المقاصد الاسلامية قد فطر الله عليه
جميع الناس وأطلع بدرها فى غياهب الالتباس و بالتحقق بما تؤديه أمر العباد ولاجلها جردت
سيوف الجهاد فليس لاحد غيره فيما رضيه واختاره مما هو مختص بجلاله وعظمته من صنوف العبادات
نصيب بل هى مختصة بالمالك الصمد القريب المجيب فاشهد الله سبحانه وليشهد كل انى أعلم وأعمل
بمقتضى ما أعلم أن لا معبود بحق فى الوجود الا الله وحده لا شريك له فمن عبد من دونه أو معه فعبادته

(قوله الكريم) ذو الجود وقيل المقتدر على الجود ومرجعهما الفعل والقدرة وقيل معناه
العلى الرتبة فيرجع الى صفة اضافية وقيل الذى يغفر الذنوب وفى بعض شروح الحديث
الكريم هو الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالى كم
أعطى ولمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع
من لاذبه والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو
الكريم المطلق وذلك له تعالى فقط (قوله وأذعن اذعانا) انقاد انقيادا (قوله فى الآيات) جمع
آية وهى طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها (قوله القرآنية) المنسوبة الى القرآن
وهو اسم لكتاب الله تعالى وقد اختلفوا فى وجه تسميته بالقرآن والصحيح ما روى عن الامام
الشافعى وهو ما قال به جماعة من أهل العلم انه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى مثل التوراة
والانجيل (قوله والسير) جمع سيرة وهى السنة والطريق (قوله النبوية) المنسوبة الى النبى
صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) ادخالا مرضيا (قوله مخرج صدق) اخراجا ملقى
بالكرامة (قوله سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى بها على من خالفنى (قوله الدينية) المنسوبة الى
دين محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وأساس) أصل (قوله فطر) خلق (قوله بدرها) البدر
القمر اذا كمل (قوله غياهب الالتباس) ظلمة الاشتباه (قوله بالمالك) المتصرف فى مخلوقاته
كيف يشاء (قوله الصمد) المصمود اليه أى المقصود فى جميع الحوائج (قوله المجيب) لادعية

زور و بهتان وأنا برىء من عبادة غيره مستعيذ بالله من غوائل الشيطان فلا أعبد الا اياه و به أستعين في ملابسة ما يحبه و يرضاه ولا حول لي عن المعصية ولا قوة لي على الطاعة ومنها هذا التحول الا بالله وحاصل القول الفصل ما قاله الفاضل ابن القيم في شرح منازل السائرين الى رب العالمين عند ايراده مقامات الكمل من الصالحين وتعبيرهم عنها بالبقاء والفناء وغير ذلك ما نصه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا اله الا الله علما ومعرفة وعملا وحالا وقصدا وحقيقة هذا النفي والاثبات الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء فيفنى عن تأله ما سواه علما واقرارا وتعبدا ويبقى بتألهه وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه المرسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليقة وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة واسس عليه الخلق والأمر وحقيقته أيضا البراء والولاء البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما قال تعالى لقد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

عباده (قوله زور و بهتان) كذب وشرك و باطل (قوله مستعيذ) ملتجأ (قوله غوائل) دواهي (قوله ولا حول لي عن المعصية) أي لا تحويل ولا انصراف لي عن معصية الله الا بعصمة الله أي بحفظه (قوله على الطاعة) أي طاعة الله أي عبادته (قوله الا بالله) أي بمعونته (قوله والفناء) وهو الذي يسميه الصوفية بتوحيد خاصة الخاصة حيث أنهم قسموا التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة وتحقيق ذلك مذكور في كتب الصوفية قال شارح العقيدة الطحاوية وهو أي توحيد خاصة الخاصة الذي ينتهي الى الفناء ورب حظر يفضي الى الاتحاد انظر الى ما أنشده شيخ الاسلام أبو اسمعيل الأنصاري رحمه الله حيث يقول

ما وحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد
توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

وان كان قائله رحمه الله لم يرد الاتحاد لكن ذكر لفظا مجملا جذبه به الاتحادي اليه وأقسم بالله جهد أيمانه انه معه ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا اجمال فيها كان أحق مع ان المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوبا منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس و بينه فان على الرسول البلاغ المبين فأين قال الرسول هذا توحيد العامة وهذا توحيد الخاصة وهذا توحيد خاصة الخاصة الى آخر ما قال (قوله سوق) جمع ساق (قوله أسوة) قدوة اسم لما يأتسي به (قوله برآء) جمع برىء (قوله بكم) أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه (قوله حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة

وقوله تعالى واذقال ابراهيم لأبيه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وقال أيضا ياقوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون الى آخر السورة وهذه براءة منهم ومن معبودهم وسماها براءة من الشرك وهى حقيقة المحو والاثبات فيمحو الهية ماسوى الله من قلبه علما وقصدا وعبادة كما هى ممحوة من الوجود ويثبت فيه الهيته سبحانه وحده وهى حقيقة الجمع والفرق فيفرق بين الاله الحق ومن ادعيت اليه الالهية بالباطل ويجمع تألهه وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستغاثته على الهه الحق الذى لا اله سواه وهى حقيقة التجريد والتفريد فيتجرد عن عبادة ماسواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد نفى والتفريد اثبات ومجموعهما هو التوحيد فهذا كله متعلق بتوحيد الالهية وهو النافع المثمر المنجى الذى به تنال السعادة والفلاح وأما تعلقه بتوحيد الربوبية الذى أقر به المشركون عباد الأصنام فغايته فناء فى تحقيق توحيد مشترك بين المؤمنين والكفار وأولياء الله وأعدائه لايصير به وحده الرجل مسلما فضلا عن كونه عارفا محققا وهذا الموضع مما غلط فيه أكابر من الشيوخ والمعصوم من عصمه الله والله المستعان انتهى وقال أيضا فى مكان آخر من هذا الشرح فالفكرة فى التوحيد استحضار أدلته وشواهده الدال على بطلان الشرك واستحالته وان الالهية يستحيل ثبوتها لاثنين كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين فكذلك باطل عبادة اثنين والتوكل على اثنين بل لا تصلح العبادة الا للاله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار هذا كلامه فى الموضعين فليتأمل فيه ذوعينين وفيما ذكرناه مع مانقلناه كفاية للمستبصرين وذكرى للناظرين اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

(قوله واذقال ابراهيم) واذكروقت قوله هذا (قوله براء مما تعبدون) برىء من عبادتكم أومعبودكم (قوله الا الذى فطرنى) استثناء منقطع (قوله سيهدين) أى سيثبتنى على الهداية أوسيهدين الى وراء ماهدانى اليه (قوله وقال) أى ابراهيم (قوله مما تشركون) يعنى الأصنام (قوله حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق (قوله الا للاله الحق الخ) أى المتحقق وجوده أى الثابت فأحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى قال فى شرح المواقف معناه العدل وقيل الواجب لذاته أى لايفتقر فى وجوده الى غيره وقيل معناه المحق أى الصادق فى القول وقيل مظهر الحق (قوله الواحد) هو الذى لايتجزأ ولايتصور فيه التجزؤ فالواحد هو الذى لاجزء له (قوله القهار) هو الغالب الذى لايغلب فهو صفة فعلية وسلبية (قوله أنعمت عليهم) وهم الأنبياء (قوله غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب عليه (قوله ولا الضالين)

﴿الباب الخامس فى بيان توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته واستحقاق عبادته وبيان معنى العبادة وأنواعها وما يلزم المكلف من افراد معاملته تعالى بما يختص بالاهيته﴾

اعلم أن التوحيد فعل للموحد وهو وصف الله تعالى بالوحدانية وذلك نوعان توحيد فى ربوبيته وهو الذى يسميه أهل الكلام توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات وتوحيد فى ألوهيته ولها خواص قد اختص الله سبحانه بجميعها فهو الاله الحق المختص بأن يعامل بها ولا بد لكل موحد ان يفرده بالمعاملة بكل واحدة منها فلو عامل غيره ولو بواحدة من هذه الخواص فقد عطل معاملة الهه الحق الذى يجب عليه افراده بهذه المعاملة ويكون حينئذ ذلك الغير الها باطلا له قد تأله بمعاملته العاطلة التى هى من خواص الاله الحق وهذا هو الشرك فى الألوهية ولما كان من أجلى خواص الألوهية استحقاق العبادة والتفرد بجميع أنواعها وكانت العبادة نسبة بين عابد ومعبود اقتضى الحال بيان العبادة بانواعها بعد بيان توحيد الربوبية والألوهية وبيان خواص الألوهية مما يلزم المكلف من افراد معاملة الهه الحق بكل فرد فرد منها فنقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق توحيد الربوبية هو الذى أقرت به الكفار جميعهم ولم يخالف أحد منهم فى هذا الأصل الا الثنوية وبعض المجوس وسيأتى الكلام على ما قالوه فى بيان الشرك الأكبر أعاذنا الله منه وأما

وهم النصارى لقوله تعالى فقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا (قوله توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات) وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم بل القلوب مفطورة على الاقرار به أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون وكان مستيقنا فى الباطن كما قال له موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وقال تعالى عنه وعن قومه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا حتى ان الثنوية من المجوس والمانوية القائلين بالأصلين النور والظلمة وان العالم صدر منهما متفقون على ان النور خير من الظلمة وهو الاله المحمود وان الظلمة شريرة مذمومة وهم متنازعون فى الظلمة هل هى قديمة أو محدثة فلم يثبتوا ربين متماثلين ولكن النزاع انما هو فى توحيد الألوهية (قوله بعد بيان توحيد الربوبية) وبيان ان الله خالق كل شئ (قوله والألوهية) وهو استحقاقه سبحانه وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له (قوله التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد (قوله أزمة) جمع زمام (قوله الا الثنوية وبعض المجوس الخ) وأما النصارى القائلون

غيرهما

غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على ان خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجيرهم واحد لارب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره كما قال سبحانه وتعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ولا يستقيم التوحيد للربوبية فضلا عن توحيد الألوهية الا بتوحيد الصفات المترتب على توحيد الذات لان صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد مر ان أهل الكلام يسمون هذا النوع من التوحيد توحيد الأفعال لما ذكره بعض المحققين ان صفة الربوبية تستلزم جميع صفات الفعل وصفة الألوهية تستلزم جميع أوصاف الكمال والاجلال الى آخر ما قال وأما توحيد الألوهية فهو افراد العبادة لله الواحد الصمد لان الاله من يقصد للعبادة ويعامل بما يجب على المكلفين من افراد الاله الحق به من سائر وجوه المعاملات التى هى من العبادات المختصة باله الأرض والسموات كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه والقرآن طافح من أمثال ذلك

بالتثليث فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض بل هم متفقون على ان صانع العالم واحد بل الرب عندهم هو واحد بالذات ثلاثة بالاقنوم والاقانيم يفسرونها تارة بالخواص وتارة بالصفات وتارة بالاشخاص وفساد ذلك مبين فى محله (قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قوله ولئن سألتهم من خلقهم) أى العابدين أو المعبودين (قوله أم من يملك السمع والابصار) أى أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شئ (قوله ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (قوله ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك وهو تعميم بعد تخصيص (قوله الا ليعبدون) أى الا لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عبادا لى (قوله أن اعبدوا الله الخ) أى يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت (قوله وقضى ربك) أى أمر أمرا مقطوعا به (قوله أن لا تعبدوا الا اياه) لان غاية التعظيم لا تجوز الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام (قوله من أمثال ذلك) بل غالب سور القرآن وآياته متضمنة لنوعى التوحيد وبيانهما وتحقيق شأنهما فان القرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمى الخبرى واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وقلع ما يعبد من دونه

ولاشك ان من عبد معه غيره سبحانه وتعالى فقد جعل ذلك الغير شريكا لالهه الحق فى الهيته سواء سماه الها أم لم يسمه فان هذا الفعل الصادر منه جعل واتخاذ والله تعالى قد عبر عن شركهم هذا بالجعل والاتخاذ فقال عز من قائل واتخذوا وجعلوا ويجعلون الى غير ذلك من صدور الآيات البينات التى رد الله عليهم بها اذا علمت هذا تبين لك ان المعركة بين أهل التوحيد والمشركين فى الألوهية فقط وان أهل التوحيد يفردونه سبحانه بحقوقها والمشركون يجعلون بعضها لمن تألهوه من متخذاتهم ففرقوا دينهم وقد أمروا بجعلهم الجميع له كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ألا لله الدين الخالص أى من شوائب الشرك وجميع الرسل من أولهم الى آخرهم دعوا الى توحيد الله وعبادته فقال نوح لقومه ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وبذلك يكون التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد المفيدة افادة صريحة ان العبادة مقصورة عليه ومخصوصة به واليه فهى الغاية القصوى والوسيلة الوثقى وقد

فهو التوحيد الادارى الطلبى واما أمر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرامه لاهل توحيده وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى العقبى فهو جزاء توحيده واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحصل بهم فى العقبى من العذاب والسلاسل والاغلال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله فى التوحيد وحقوق أهله وجزائهم وفى شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم (قوله اتخذوا) قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون وقال لا تتخذوا الهين اثنين (قوله وجعلوا) قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وقال وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقال ولا تجعل مع الله الها آخر (قوله ويجعلون) قال تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم أى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد (قوله المعركة) موضع العراك (قوله حتى لا تكون فتنة) أى لا يوجد فيهم شرك (قوله ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم الاديان الباطلة (قوله اعبدوا الله) أى وحده (قوله وكذلك قال هود وصالح وشعيب) أى قال كل منهم لقومه ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (قوله وابراهيم) كما قال تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (قوله وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه الخ) وقال ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (قوله القصوى) أى البعيدة (قوله ونقل عن علقمة الخ) أخرجه الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل والبزار فى مسنده من طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن

جعل الله سبحانه العبودية وصف أكمل الخليقة وأقربهم اليه وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم بها فى أسنى مقاماته وأضاف خواص المؤمنين بوصف العبودية اليه فى مخاطباته يعلم ذلك من تأمل فى آى القرآن العزيز فلذا جعل صلى الله عليه وسلم احسان العبادة أعلى مراتب الدين وفى مرتبة عين اليقين هذا وقد رد الله سبحانه على من خالف هذا الأصل وحكم على الوصل بحكم الفصل وهم المشركون الذين وحدوه بالربوبية وأشركوا به فى الألوهية توحيدهم فأقام حجة بالغة وسلطانا مبينا قامعا للشرك فى الألوهية موجبا الافراده فيها أيضا وانه ينبغى أن لا يعبد غيره كما انه لا خالق غيره ولا رب سواه * اعلم ان العبادة لغة الذل والانقياد واصطلاحا اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالتوحيد فانه عبادة فى نفسه والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان والوضوء وصلة الأرحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وغير ذلك مما يرضيه وأحبه فأمر به وتعبد الناس فيه قال العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسى فى كشفه على الكشاف للزمخشرى عند تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم وهو خطاب لمشركى أهل مكة ونقل عن علقمة ان كل خطاب بيا أيها الناس فهو مكى وبيا أيها الذين آمنوا فهو مدنى ما لفظه تحرير الكلام فيه ان العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح بشرط قصد القربة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وهى على هذا غير الايمان بمعنى التصديق والنية والاخلاص بل مشروطة بها وقد تطلق على التحقق بالعبدية بارتسام ما أمر السيد جل وعلا أو نهى وعلى هذا اتتناول الأعمال والعقائد القلبية أيضا فيدخل فيها الايمان وهو عبادة فى نفسه وشرط لسائر العبادات انتهى وقال ابن القيم فى شرح منازل السائرين ما نصه فالعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد أى مذلل والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا ثم قال فى مكان آخر من شرحه هذا مراتب العبودية

عبد الله قال ابن عطية وغيره هو فى يا أيها الذين آمنوا صحيح وأما فى يا أيها الناس فقد يأتى فى المدنى وقال ابن الحصار قد اعتنى المتشاغلون بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه وقد اتفق الناس على ان النساء مدنية وأولها يا أيها الناس وعلى ان الحج مكية وفيها يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا قلت فعلى هذا يكون الخطاب بيا أيها الناس مكى وبيا أيها الذين آمنوا مدنى انما هو فى الاكثر كما قال مكى أو يحمل على انه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة أو المدينة كما قال غيره والبحث مستوفى فى الاتقان للامام السيوطى (قوله طريق معبد أى مذلل) وثوب ذو عبدة اذا كان فى

وأحكامها الكل واحد من القلب واللسان والجوارح فواجب القلب منه متفق على وجوبه ومختلف فيه فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والمحبة والصبر والانابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية للعبادة وهذه قدر زائد على الاخلاص فان الاخلاص افراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان أحدهما تمييز العبادة عن العادة والثانية تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض والأقسام الثلاثة واجبة وكذلك الصدق والفرق بينه وبين الاخلاص ان للعبد مطلوبا وطلبا فالاخلاص توحيد مطلوبه والصدق توحيد الطلب فالاخلاص أن لا يكون المطلوب منقسما والصدق أن لا يكون الطلب منقسما فالصدق بذل الجهد والاخلاص افراد المطلوب واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة وكذلك النصح فى العبودية ومدار الدين عليه وهو بذل الجهد فى ايقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضى به وأصل هذا واجب وكماله مرتبة المقربين وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين وكمال مستحب وهو مرتبة المقربين انتهى بعض ماقاله فى بعض عبودية القلب وعقبه بعبودية اللسان الواجب منها والمستحب وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب أيضا ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها وتبيينها والله الهادى الى سواء السبيل وبالجملة فكل عبادة فهى مقصورة على الاله الواحد من أعمال القلوب والجوارح فكما لو صلى لغير الله أو صام على وجه التقرب اليه كان كافرا مشركا عند جميع الناس فكذلك من تقرب اليه بالأعمال القلبية المذكورة من التوكل والانابة والخوف والرجاء وغير ذلك لكن لما كانت هذه الأمور القلبية من التأله وكان الأولون يتألهون بها ويسمون من تؤله بها الها وكان مرجع كل ذلك الى القلب وأعماله التى هى منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع اليه فى الشك واليقين ومع ذلك فهى الفارقة بين الاله الحق الذى اختص بها على الدوام والاله الباطل الذى لا يحوم الموحد حوله بهذا المقام كان ذلك هو الداعى للتخصيص والموجب للتنصيص وأيضا فالكلام مع من حصل منه الشرك بما تأله فى قلبه ورسخ بفؤاده ولبه من الأعمال الغير المختصة بالمسلمين وأما هذه الأعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلا يتعاطاها أحد لمن سواه ولم نرها تعمل الا لله ولم يعبدوا بها الا اياه فهذا هو الذى أوجب تخصيصهم لهذه الأعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وحلق الرأس عبودية والا فجميع العبادات قلبيها وقوليها وبدنيها مختصة به سبحانه وتعالى لا تصلح الا له قال المحقق السعد التفتازانى فى شرحه للمقاصد مانصه اعلم ان حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك فى الألوهية وخواصها ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خالق الأجسام ومدبر العالم واستحقاق العبادة من الخواص ثم قال فى آخر

غاية الصفاقة (قوله الجهد) الطاقة (قوله هان) سهل (قوله ورسخ) ثبت

هذا

هذا المبحث و بالجملة فان التوحيد فى الألوهية واجب شرعا وعقلا وفى استحقاق العبادة شرعا وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى وحيث اتسع الكلام بحسب المقام تنقل ماقاله الفاضل ابن القيم فى كتابه الجواب الكافى عن الدواء الشافى مانصه ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع الغير التشبيه بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ندله وذلك أقبح التشبيه وأبطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الأصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به فى خالص حقه وهذا من المحال ان تجىء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر فى كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واغتالتهم عنها ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله تعالى الحسنى فأرسل اليهم رسله صلى الله عليهم وسلم وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب الى غيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا له فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبهه به انتهى ماقاله والمقصود من ذلك كله القيام بالقسط الذى هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه وأصل الدين ومحكمه وذلك بأن يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة فى لفظها ومعناها شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وروح هذه الكلمة افراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

(قوله بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط **(قوله وأقيموا وجوهكم)** أى توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها **(قوله عند كل مسجد)** أى فى وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة أو فى أى مسجد حضرتكم الصلاة **(قوله وادعوه)** أى اعبدوه **(قوله مخلصين له الدين)** فان اليه مصيركم **(قوله من رسلنا)** أى رسل أممهم وعلماء دينهم **(قوله أجعلنا الخ)** هل حكمنا بعبادة الاوثان أو هل جاء فى ملة من مللهم والمراد به الاشتهار

ولا اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكلما يحب غيره فانما يحبه تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يعمل عملا قد تعبد الناس به الا أفرده به ولا يشرك غيره معه فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولا وعملا واعتقادا وتحقق بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون وبهذه الحقوق التي هي حق الله تعالى على جميع عباده وحكمه الذي أوجبه على سائر مخلوقه تميز المسلمون واستسلم اليه المسلمون ولما كان الدعاء لا يصدر في الغالب الا ممن قام بقلبه كمال الذل والافتقار لا سيما في حالة الانكسار والاضطرار كان كما ورد في الحديث مخ العبادة ومن وفق له فقد أوتي الحسنى وزيادة وهذا الذي ذكرته ملخص ما أشار اليه المحققون مجردا عن اللجاج عريا عن الاحتجاج. وقد احتج المتكلمون على نفي تعددا لآلهة ببرهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وتقريره انه لو أمكن الهان لأمكن بينهما التمانع بأن يريد أحدهما حركة جسم في وقت معين والآخر سكونه في ذلك الوقت والتالي وهو امكان التمانع باطل فالملزوم مثله اما بيان الملازمة فلان الحركة والسكون كل منهما أمر ممكن في نفسه وكذا تعلق الارادة بكل منهما أمر ممكن اذ لا تضاد بين الارادتين بل بين المرادين وهو ظاهر واما بطلان التالي فلان التمانع باطل لانه حينئذ اما أن يحصل

باجماع الانبياء على التوحيد (قوله مخلصين له الدين) من الشرك (قوله ولو كره المشركون) ذلك الاخلاص وشق عليهم (قوله ببرهان التمانع) من المنع وانما سمي هذا البرهان به لان ارادة كل منهما تمنع صاحبه عن تنفيذ ارادته وقدرته (قوله لو كان فيهما آلهة الخ) اعلم ان لو في هذه الآية ليست لانتفاء الثاني في الماضي بسبب انتفاء الاول كما هو أصل اللغة بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان اه وقد ظن طوائف من أهل الكلام ان هذه الآية دليل على توحيد الربوبية وغفلوا عن مضمونها فانه سبحانه أخبر انه لو كان فيهما آلهة غيره ولم يقل أرباب وأيضا فان هذا انما هو بعد وجودهما وانه لو كان فيهما وهما موجودتان اله سواه لفسدتا وهذا افساد بعد الوجود ولم يقل لم يوجدا ودلت الآية على انه لا يجوز ان يكون فيهما آلهة متعددة بل لا يكون الاله الا واحدا وعلى انه لا يجوز ان يكون هذا الاله الواحد الا الله سبحانه وتعالى وان فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ومن كون الاله الواحد غير الله وانه لا صلاح لهما الا بأن يكون الاله فيهما هو الله وحده لا غيره فلو كان للعالم الهان معبودان لفسد نظامه كله فان بقاءه انما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض وأظلم الظلم على الاطلاق الشرك وأعدل العدل التوحيد وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس (قوله في وقت واحد)

مرادهما فيجتمع الضدان ويكون العالم موجودا معدوما واما الا يحصل مراد كل منهما وهو محال لان الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون مع انه يلزم أيضا عجزهما حينئذ وأيضا يكون العالم لا موجودا ولا معدوما واما ان يحصل مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز الآخر فاذا كان التمانع باطلا كان امكانه باطلا أيضا لان امكان المحال محال أيضا وقد خص بعض الأفاضل الدليل على غير هذا الوجه فقال امانفى الألوهية عما سواه فان طريق الشرع فى ذلك هى الطريقة التى نص الله عليها فى كتابه العزيز وذلك فى ثلاث آيات احداها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثانية قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون والثالثة قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا فاما الآية الأولى فدلالتها فطرية مغروزة بالطبع وذلك ان من المعلوم انه اذا كان ملكان كل واحد منهما فعله فعل صاحبه ليس يمكن ان يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة لانه لا يكون عن فاعلين فعل واحد من نوع واحد فيجب ضرورة ان فعلا معا ان تفسد المدينة الواحدة الا أن يكون أحدهما يفعل ويبقى الآخر عطلا وذلك منتف فى صفة الآلهة فانه متى اجتمع فعلان من نوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة أو تمانع الفعل فان الفعل الواحد لا يصدر الا عن واحد فهذا معنى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وأما قوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق فهو رد على من

وفى حالة واحدة (قوله فيجتمع الضدان) قيل يلزم أيضا عجزهما حيث عجز كل منهما عن دفع مراد الآخر وفيه بحث لان مريد أحد الضدين ساكت عن الضد الآخر لا مريد لعدمه لكن يلزم من عدمه ثبوت ضده فاذا فرض ثبوت الضدين لزم العدم فلا يلزم العجز أيضا وانما يلزم فى الفرض الآخر كما سيذكره (قوله مع انه يلزم أيضا عجزهما) فيرتفع الضدان (قوله فيلزم عجز الآخر) وهو أمارة الحدوث وأيضا العاجز لا يصلح ان يكون الها قال تعالى أيشركون ما لا يخلقون شيا وهم يخلقون وقال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (قوله لان امكان المحال محال أيضا) وبما ذكر يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفقا من غير تمانع وأما قول العلامة التفتازانى الآية حجة اقناعية أى يظن فى أول الأمر انه حجة ويزول ذلك عند تحقق المعرفة والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم فالمحققون كالغزالى والبيضاوى وابن الهمام وغيرهم ما قنعوا بالاقناعية وجعلوها من الحقائق القطعية والمسئلة مستوفاة فى الكتب الكلامية قلت كأن السعد ظن ان هذه الآية مخصوصة للاشارة الى الدليل الذى ذكره فقال ما قال وليس كذلك بل هى تنزل على أى دليل أقيم من دلائل التوحيد فان مدارها على لزوم كون الواجب ممكنا على تقدير التعدد (قوله بعض الأفاضل) وهو صاحب مناهج الأدلة

يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال وذلك انه يلزم فى الآلهة المختلفة الافعال التى لا يكون بعضها مطيعا لبعض أن لا يكون عنها موجود واحد بل موجودات كثيرة فيكون العالم أكثر من واحد وهو معنى قوله تعالى لذهب كل اله بما خلق ولما كان العالم واحدا وجب ان لا يكون موجودا عن آلهة كثيرة متقنة الأفعال وأما قوله تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا فهى كالآية الأولى أعنى انه برهان على امتناع الهين فعلهما واحد ومعنى هذه الآية انه لو كان فيهما آلهة قادرة على ايجاد العالم وخلقه غير الاله الموجود حتى تكون نسبتها من هذا العالم نسبة الخالق له لوجب ان يكونوا مستوين على العرش معه فكان يوجد موجودان متماثلان ينسبان الى محل واحد نسبة واحدة والمثلان لا ينسبان الى محل نسبة واحدة لانه اذا اتحدت النسبة اتحد المنسوب والمراد انهما لا يجتمعان فى النسبة الى محل واحد كما لا يحلان فى محل واحد اذا كانا مما شأنهما ان يكونا بمحل وان كان الأمر فى نسبة الاله الحق الى العرش ضد هذه النسبة أعنى ان العرش يقوم به لا انه يقوم بالعرش ولذلك قال تعالى وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما فهذا هو الدليل الموافق للطبع والشرع فى معرفة الوحدانية انتهى وهو تلخيص حسن قد أجراه على غير الطريقة الأولى كما ترى وقد فصل ابن القيم ذلك فى كتابه الدواء النافع فقال كل حى له ارادة ومحبة وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة ولا صلاح للموجودات الا بأن تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وباريها وحده كما لا وجود لها الا بابداعه وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولكانتا معدومتين اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن أن يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا بأن يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان للعالم الهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل اله كان يطلب مغالبة الآخر والعلو عليه وتفرده دونه بالألوهية اذ الشرك نقص ينافى كمال الالهية والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها ناقصا فان قهر أحدهما الآخر كان هو الاله وحده والمقهور ليس باله وان لم يقهر أحدهما الآخر لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الالهية فيجب ان يكون فوقهما اله قاهر لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الآخر وفى ذلك فساد أمر السموات والأرض ومن فيهما كما هو المعهود من فساد البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وأصل فساد العالم انما هو من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع أعداء الاسلام فيه فى زمن من الأزمنة الا فى زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح

(قوله ولكانتا معدومتين) أى ولا قال لعدمنا (قوله وطلب بعضهم العلو على بعض) فلا بد من ثلاثة أمور اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه واما أن يعلو بعضهم على بعض واما أن يكونوا تحت قهر ملك

السموات

السموات والأرض واستقامتهما وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام من أظهر الأدلة على انه لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل الا وجهه الأعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا فقيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله تعالى فى الآية الأخرى ولعلا بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف يعبدونهم من دونه وهم لو كانوا آلهة كما تقولون لكانوا عبيدا له قال ويدل على هذا وجوه منها قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه أى هؤلاء الذين تعبدونهم من دونى هم عبادى

واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الاله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه وانتظام أمر العالم كله واحكام أمره من أدل دليل على ان مدبره اله واحد ومالك واحد ورب واحد لا اله للخلق غيره ولا رب لهم سواه كما قد دل دليل التمانع على ان خالق العالم واحد لا رب غيره فلا اله سواه فذلك تمانع فى الفعل والايجاد وهذا تمانع فى العبادة والالهية فكما يستحيل ان يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل ان يكون لهم الهان معبودان فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر فى الفطن معلوم بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل الهية اثنين فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر فى الفطر من توحيد الربوبية دالة مثبتة ملزمة لتوحيد الالهية (قوله من ولد) لتقدسه عن مماثلة أحد (قوله من اله) شابهه فى الألوهية (قوله عما يصفون) من الولد والشريك (قوله والشهادة) قال البيضاوى وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى أنه المنفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء (قوله من الأرض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (قوله هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم (قوله لا يسئل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية (قوله وهم يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد (قوله بالتقرب اليه وطاعته) وهو المنقول عن السلف كقتادة وغيره وهو الذى ذكره

يرجون رحمتي و يخافون عذابي فلماذا تعبدونهم دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لا بتغوا عليه سبيلا
بل قال لا بتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وأما في المغالبة فانما يستعمل بعلى كقوله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث
انهم لم يقولوا ان آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه وهو سبحانه قد قال لو كان معه آلهة كما يقولون وهم
انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبغي التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه فقال تعالى لو كان الأمر كما يقولون
لكانت تلك الآلهة عبيد اله فلماذا تعبدون عبيده من دونه انتهى وقد رأيت في رسالة لا أول لها
أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين بن تيمية وأظنها التي سماها المسودة وفيها تضعيف الطريق الذي
ذهب اليه المتكلمون في حل هذا الدليل الذي أسلفناه وتأييد ما به عقبناه من كلام ابن القيم وماقبله
بان قال ماملخصه وأما ما يتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية فليس
يجري مجرى الأدلة الطبيعية ولا الشرعية ووجه الضعف فيه انه كما يجوز العقل اختلافهما قياسا على
الشاهد كذلك يجوز اتفاقهما وهو أليق بالآلهة من الاختلاف واذا اتفقا على صناعة العالم كانا مثل
الصانعين اتفقا على صنع مّا واذا كان هكذا فلا بد ان يقال ان أفعالهم أو لو اتفقا كانت تتعاوق
بورودها على محل واحد فلو قال قائل فلعل هذا يفعل بعضا والآخر بعضا أو لعلهما يفعلان على المداولة
قلنا له ان الذي يقدر على اختراع البعض يقدر على اختراع الكل فيعود الأمر الى قدرتهما على كل
شئ فاما أن يتفقا واما أن يختلفا وكيفما كان تعاوق الفعل واما التداول فهو نقص في حق كل واحد
منهما واعلم ان المحال الذي أفضى اليه دليلهم غير المحال الذي أفضى اليه الدليل المذكور في الآية
وذلك ان المحال الذي أفضى اليه الدليل الذي زعموه انه دليل الآية أكثر من محال واحد لانهم قسموا
الامر الى ثلاثة أقسام وليس في الآية تقسيم فدليلهم الذي استعملوه هو الذي يعرفه أهل المنطق

ابن جرير ولم يذكر غيره (قوله أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين الخ) قلت هذه الرسالة تبينت
بعد ذلك انها مناهج الأدلة لابن رشد (قوله من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية) وهو
الذي يسمونه دليل التمانع وتقدم تقريره في أوّل البحث (قوله كذلك يجوز اتفاقهما) لكن
يرد عليه مايقال لو توافقا فاما أن يتوافقا مع العجز من الممانعة فيلزم العجز أو مع القدرة فيصير كل
منهما مقدور الآخر والمقدور لا يصلح الها أو يقال لو توافقا فاما أن يوجد الموجود منهما على طريق
التعاون فيلزم عجزهما واحتياج كل منهما الى معين وان كان أحدهما معينا دون الآخر لم يصلح الآخر
للالهية فان انفرد كل واحد منهما بالفعل فهو محال (قوله على صنع مّا) أي مصنوع (قوله الى
ثلاثة أقسام) كما تقدم تقسيم ذلك في أوّل الدليل (قوله وليس في الآية تقسيم) بل هي انما
سيقت للاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة كما لا يخفى

بالقياس الشرطى المنفصل ويعرفونه هم فى صناعتهم بدليل السبر والتقسيم والدليل الذى فى الآيه هو الذى يعرف فى صناعة المنطق بالشرطى المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر فى تلك الصناعة تبين له الفرق بين الدليلين وأيضا فان المحالات التى أفضى اليها دليلهم غير المحال الذى أفضى اليه دليل الكتاب وذلك ان المحال الذى أفضى اليه دليلهم هو ان يكون العالم امالا موجودا واما لا معدوما واما أن يكون موجودا معدوما واما أن يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذه مستحيلات دائمة الاستحالة والمحال الذى أفضى اليه دليل الكتاب ليس مستحيلا على الدوام وانما علقت الاستحالة فيه فى وقت مخصوص وهو ان يوجد العالم فاسدا فى وقت الوجود فكانه قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لوجد العالم فاسدا فى الآن ثم استثنى انه غير فاسد فوجب أن لا يكون هنالك اله الا واحدا انتهى ماقاله وقد ذكرت هذه الادلة اذ لاتخلو من فائدة لمن أمعن فيها النظر والله أعلم وقد تقدم الدليل النقلى فى اثبات التوحيد بمعونة ان العلم بصحة الدلائل النقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحتها متوقف على العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فافهم وتبصر فى دلائل توحيدك واعمل به بعد عقد طويتك عليه واصرف فؤادك فى جميع أحوالك اليه وتحقق بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فهى الآية التى قسمها الله بينه و بين عباده كما ورد فى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه فافراد العبادة حق الله الواجب عليك فاستعن به فى اسبال نعمه التى أعظمها الهداية الى دينه ثبتنا الله سبحانه وتعالى على دينه الحق القويم وهدانا بفضله ومنه الصراط المستقيم آمين

(**قوله** بالقياس الشرطى المنفصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموضوعة فيه منفصلة فان كانت حقيقية فاستثناء عين أحد الجزئين ينتج نقيض الآخر واستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر وان كانت مانعة الجمع فاستثناء عين كل جزء ينتج نقيض الآخر لا غير وان كانت مانعة الخلو فاستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر لا غير (**قوله** ويسمونه بدليل السبر والتقسيم) الذى هو طريق من الطرق التى ذكرت فى أصول الفقه لاثبات العلة المشتركة و بيان عليتها للحكم وهو ايراد أوصاف الأصل وابطال بعضها ليتعين الباقى للعلية كما يقال علة الحدوث فى الشئ اما التأليف أو الامكان والثانى باطل بالتخلف لان صفاته تعالى ممكنة وليست بحادثة فتعين الأول وكما يقال علة كون السواد مرئيا اما وجوده أو كونه عرضا أو محدثا أو لونا أو كونه سوادا والكل باطل سوى الوجود والله موجود فتصح رؤيته (**قوله** بالشرطى المتصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموجودة فيه متصلة فاستثناء عين المقدم ينتج عين التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم (**قوله** تبين له الفرق بين الدليلين) فيجد أحدهما مقابلا للآخر لا يمكن ان يطلق على الآخر كما لا يخفى على من له أدنى المام فى علم المنطق (**قوله** انتهى ماقاله) أى ابن رشد

﴿الباب السادس فى بيان الخلاف الواقع فى جواز الاستشفاع والاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم و بغيره من الانبياء والصالحين والمنع عن ذلك وان من منع هل يحكم على فاعله بالكفر لكونه عنده من خواص الالوهية أم بالحرمة فقط و بيان ما احتج به الفريقان مع تقويم بيان الشفاعة وما فيها من المباحث وغير ذلك﴾

اعلم ألهمنى واياك الرشد والهداية وجنبنا بمنه الضلال والغواية ان الشفاعة فى الاصل صفة تقوم بمن يستوهب لغيره شيأ و يطلب له حاجة مأخوذة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردا فصار الشفيع له شفعا أى زوجا فكانه شاركه وشفعه فى حاجته وهذا المعنى هو المقصود منها حيث أطلقت وقد تعتبر الشفاعة باعتبار كون الشفيع شافعا المسؤل منه قضاء الحاجة بكونها قضيت بسبب شفاعته فكانه الحامل على قضائها و بذلك شفع المسؤل منه وشاركه بانفاذ المطلوب بوجه السببية وهذا المعنى غير مراد ولا معروف بل هو مخالف ومناقض لما جاء به التوحيد الواجب على العبيد لان الله سبحانه وتر لا يشفعه شئ أبدا ولا يرتاب فى ان الشفاعة نسبة بين شافع وهو من تلبس بها ومشفوع له وهو المطلوب لاجله الحاجة و يقال له أيضا مشفوع لاجله كما يقال للشافع شفيع وكذا يقال له بعد حصول البغية وانجاح الطلبة مشفع واما المسؤل منه قضاؤها فانه يقال له مشفوع اليه وعنده فاذا الشفاعة تكون نوع اعانة لطالب الحاجة بدعاء ومنه الاستغفار وسؤال وفعل وغير ذلك مما يفيد الاعانة فى المطلوب لقضاء ماهو مرغوب وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم وكذا لجميع اخوانه من الانبياء والمرسلين وللملائكة والصالحين ولافراط المؤمنين وكذلك لم يخالف فى ثبوت أصلها الثابت بالاحاديث الصحيحة أحد من المسلمين فنها ما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبى دعوة مستجابة وانى خبأت دعوتى شفاعة لامتى وهى نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ وروى حديث الشفاعة بطوله أنس بن مالك رضى الله عنه وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها

(قوله ولافراط المؤمنين) والعلماء والشهداء والفقراء (قوله لكل نبى دعوة) أى مرة من الدعاء (قوله وانى خبأت دعوتى) متيقنا اجابتها وقد صرفها كل نبى الى شئ فى هذه الدار كسليمان عليه السلام سأل الملك ونوح عليه السلام سأل اهلاك أهل الدنيا فان قلت اختباء الشئ يقتضى حصوله وتلك الدعوة انما تحصل له يوم القيامة فكيف تكون مدخرة قلت أجيب عن ذلك بأنه يجوز ان يخير الله النبى عليه السلام بين ان يدعو تلك الدعوة المستجابة فى الدنيا و بين ان يدعو فى الآخرة فاختار الدعوة فى الآخرة فسمى ذلك الاختيار اختباء (قوله وروى حديث الشفاعة الخ)

نهشة

نهشة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى و ينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون ثم ساق الحديث وهو طويل جدا وقد وردت فى الشفاعة أحاديث كثيرة كادت تبلغ مبلغ التواتر فلذا لم ينكر أصلها أحد من جميع الفرق الاسلامية وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة منها الشفاعة العظمى لفصل القضاء التى هى من خصائصه والمرادة من المقام المحمود فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقد أجمع المفسرون على ان المراد بالمقام الذى وعد به وأمر أمته بسؤاله قبل كل صلاة ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم ولما فيه من الاشارة الى ان الكامل لا يستغنى عن الكمال هو الشفاعة العظمى التى يغبطه بها الأولون والآخرون ومنها الشفاعة لمن يدخل من أمته بغير حساب وهذه أيضا كالأولى من خصائصه و يشارك فى البواقى على الأصح فى البعض ووفاقا فى الباقى ومنها الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار فلم يدخلوها وفى قوم حبستهم الأوزار عن دخول الجنة ولبعض أهل الجنة فى رفع درجاتهم ولمن مات فى المدينة ولمن زاره فى قبره صلى الله عليه

أخرجه الشيخان (قوله يوم القيامة) سمى به لان الناس يقومون فيه من قبورهم أو لقيامهم الى الحساب (قوله المفسرون) منهم ابن عباس رضى الله عنهما قال فى تفسيره أى مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف على جميع الخلائق فتسأل فتعطى وتشفع فتشفع (قوله وعد به) أى فى الآية المذكورة (قوله ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم) كما روى البخارى عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى (قوله هو الشفاعة العظمى) لما روى أبو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى ولاشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه منه وماذاك الا مقام الشفاعة (قوله يغبطه بها الأولون والآخرون) بفتح حرف المضارعة وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة و يجوز الفتح من الغبطة وهى ان تمنى مثل حال المغبوط من غير ان تريد زوالها عنه وهى جائزة شرعا بخلاف الحسد وهو تمنى زوال نعمة الغير فانه حرام من الكبائر والأولون أى من تقدمه من الانبياء وغيرهم والآخرون بكسر الخاء وهم من بعده صلى الله عليه وسلم (قوله بغير حساب) و يحسن ان يستشهد لهذه الشفاعة بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج فى الصحيحين (قوله لقوم استحقوا دخول النار الخ) قال النووى و يجوز ان يشركه فى هذه الأنبياء والعلماء والأولياء (قوله فى رفع درجاتهم) فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم

وسلم ان صح الحديث بذلك ولفتح باب الجنة كما رواه مسلم ولمن أجاب المؤذن ولقوم كفار لهم سابق
خدمة له صلى الله عليه وسلم فى تخفيف عذابهم ولمن سأل له الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة وقد
أنكرت المعتزلة الشفاعة فى درء العقاب وأثبتتها فى ترتب الثواب لرفع الدرجات وأنكرت حديث
الدخول بغير حساب واستدلت بالآيات النافية للشفاعات مثل قوله تعالى من قبل أن يأتى يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة وغير ذلك من الآيات النافيات وبنوا ذلك على ما أصلوه من ان مرتكب الكبيرة
ان لم يتب عنها ومات فهو فى منزلة بين الكفر والايمان مخلد فى النار مستحق للبوار داخل فى الظالمين
ذوى الأوزار الكبار قال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فأخبر سبحانه أن ليس للظالمين
أحد يواليهم ولا تقبل شفاعة من يشفع لهم وانه لا تجزى كل نفس عن كل نفس أى شئ كان ولا يحصل
لها نفع بشفاعة أبدا ويدل على ذلك وقوع النفس النكرة فى سياق النفى فيكون عاما فالضمير
العائد اليها يكون عبارة عن النفس المبهمة فيعم أيضا لوقوعه فى سياق النفى أيضا كما اذا قلت لم أسمع
رجلا دخل الدار ولم أره والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا اختار المحققون من المتكلمين
الجواب عنه بتخصيص ذلك بالكفار جمعا بين الأدلة فانه قد ثبت بالأحاديث الصحيحة وقوع

(قوله فى تخفيف عذابهم) فان قيل فقد قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفعه
فى الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها (قوله وهى أعلى درجة
فى الجنة) كما روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فان من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا
ثم اسألوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو
فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة ومن الشفاعة شفاعته فى أقوام قد تساوت حسناتهم
وسيئاتهم فيشفع فيهم فيدخلون الجنة (قوله من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أى
من قبل أن يأتى يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فتحصلون
ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم أو يسامحونكم
ولا شفاعة (قوله واتقوا يوما) أى ما فيه من الحساب والعذاب (قوله ولا يقبل منها
عدل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الأولى (قوله من حميم) أى قريب مشفق
(قوله لهم) لظلمهم (قوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فلا يرد على المعتزلة ما قيل فى
الجواب عن الآية بأنه لا عموم له فى الاعيان لان الضمير لقوم معينين هم اليهود فلا تنفع الشفاعة لهم
ولا عموم له فى الازمان أيضا لانه لوقت مخصوص وهو اليوم المذكور فيه فلا يلزم عدم نفيها فى غير ذلك

الشفاعة لأهل الكبائر من أمته قال الحليمي احتج المخالف بأن الوعيد كالوعد في امتناع الخلف فيه لاستحالة الكذب على الله تعالى و بأن صاحب الكبيرة فاسق غير مؤمن اذ الفسق منزلة بين الايمان والكفر والجنة دار المؤمنين فلا يدخلها غير المؤمن ولا يصح القول بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لأصحاب الكبائر لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون أي لخشيته لا تشفع الملائكة الا لمن ارتضى فيدل ذلك على ان الشفاعة لأصحاب الكبائر مخالفة لخشية الله تعالى فلا يجوز وجودها من النبي عليه الصلاة والسلام ولان الله تعالى وصف يوم الدين بأنه يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيأ ولو حصلت الشفاعة لأصحاب الكبائر ونفعتهم لملكت نفس الشافع أعظم الأشياء وهو الخلاص من النار ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله تعالى فاني لا أغني عنكم من الله شيأ وخص غير واحد منهم فقال يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من الله تعالى فاني لا أغني عنك من الله شيأ وأيضا لو جاز وجود الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكبائر لما جاز أن يخبر بها أمته ولكان اخفاء خبرها عنهم أولى من اخفاء ليلة القدر لئلا يتكلوا عليها فيجترئ الفساق على الانهماك في ضروب الفسق ويكون النبي صلى الله عليه وسلم كانه قال لهم لا بأس عليكم فاني أشفع لكم وهذا غير جائز والجواب عن قياس الوعيد على الوعد ان تقدير استثناء المشيئة في آيات الوعيد على ما مر يمنع الخلف فيها ويؤيد ذلك التقدير ان الله تعالى خاطب عباده بما هو من عاداتهم في مخاطباتهم ومن المعهود في مخاطبات الناس غالبا ان يكون وعدهم باتا ووعيدهم معلقا لما في مخالفة الوعد من ترك الفضل الى

الوقت كما ذكر ذلك في شرح المواقف ثم قال والامام الرازي بعدما أورد شبهات المعتزلة في اثبات ما ادعوه قال والجواب عنها اجمالا ان يقال ان دلائلكم في نفي الشفاعة لا بد ان تكون عامة في الاشخاص والاوقات ودلائلنا في اثباتها لا بد ان تكون خاصة فيهما لانا لا نثبت الشفاعة في حق كل شخص ولا في جميع الاوقات والخاص مقدم على العام فالترجيح معنا وأما الاجوبة المفصلة فمذكورة في التفسير الكبير انتهى (قوله في انتفاء الخلف لاستحالة الكذب على الله تعالى) وفيه نظر لان ما ذكر يدل على وقوع العذاب ولا يدل على وجوبه وهو المتنازع فيه كذا في شرح المواقف والجواب الحاسم ما ذكره الدواني وهو تخصيص المذنب المغفور عن عمومات الوعيد بالنصوص الدالة على وقوع مغفرة جميع ذنوب بعض المؤمنين وهو الذي سيذكره الحليمي (قوله الاقربين) أي الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم (قوله فاني لا أغني عنك من الله شيأ) قال شراح هذا الحديث أي لا أقدر على دفع مكروه عنكم في الآخرة ان أراد الله ان يعذبكم فانما أشفع لمن أذن الله لي فيه وانما يأذن لي اذا لم يرد تعذيبه وانما قال عليه السلام في حقهم هكذا الترغيبهم على

مالاافضل فيه وفى مخالفة الوعيد من ترك مالاافضل فيه بل فيه الأذى والعقوبة الى مايقابله فاللائق بأهل الفضل بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة والشفاعة وماجرى مجراهما لايقال فينبغى أن لايحنث من حلف ليضربن عبده اليوم فلم يضربه عملا بمقتضى التعليق المقدر لانا نقول انما يحمل الوعيد على التعليق المذكور اذا كان مطلقا فاما اذا أكد باليمين التى يحترز بها فى العادة عن الخلف فالبت أولى بظاهره من التعليق مالم يعارضه معارض أرجح منه وقولهم صاحب الكبيرة فاسق غير مؤمن مردود بأنه لو خرج بالفسق من الايمان لم يعد اليه بمجرد التوبة من فسقه بل احتاج الى تجديد الاقرار ولا يحتاج اليه باجماع الأمة وقوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يبطل القول بقسم ثالث واذا لم يكن الفاسق كافرا وجب كونه مؤمنا وكما ان حسنات الكافر لاتخرجه من الكفر لان الايمان لم يحركه عليها بل طلب الذكر وما أشبهه وجب أن لايخرج المؤمن سيآته من الايمان لانه لم يحركه الكفر عليها بل اتباع الهوى كيف ولم يقصد بها مضادة أصل الايمان ثم ان الايمان أكبر الطاعات وكل ذنب دون الكفر ليس بأكبر المعاصى فلا يجوز ان يحبط

الايمان والعمل لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا **(قوله بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة والشفاعة الخ)** على ان بعض العلماء ذهب الى ان الخلف فى الوعيد جائز على الله تعالى ومنهم الواحدى فانه صرح به فى تفسيره الوسيط فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية حيث قال والأصل فى هذا ان الله يجوز ان يخلف الوعيد وان كان لايجوز ان يخلف الوعد وبهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن محمد الأصفهانى حدثنا عبد الله بن محمد الأصفهانى وزكريا بن يحيى الساجى وأبو حفص السلمى وأبو يعلى الموصلى قالوا حدثنا هدية بن خالد بن سهل بن أبى حزم حدثنا ابن السائب البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزله ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن حمزة حدثنا أحمد بن خليل حدثنا الأصمعى قال جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو بن العلاء قال يا أبا عمرو يخلف الله ماوعده قال لا قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا أيخلف الله وعيده فيه فقال أبو عمرو من العجمة أتيت يا أبا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لاتعد عيبا ولا خلفا ان تعده شرا ثم لاتفعله بل ترى ذلك فضلا وكرما وانما الخلف ان تعد خيرا ثم لاتفعله قال فأوجد لى هذا قال نعم أما سمعت قول الشاعر

وانى اذا أوعدته أووعدته ✻ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

والذى قاله أبو عمرو مذهب الكرام ومستحسن عند كل أحد خلف الوعيد كما قال السرى الموصلى شعرا اذا وعد السراء أنجز وعده ✻ وان أوعد الضراء فالعفو مانعه

الأصغر الأكبر وأما الشفاعة فقد وردت فيها أخبار كثيرة نحو قوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وقوله لكل نبي دعوة مستجابة واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وورد انه يشفع لامته فيخرجون من النار وقد صاروا حمما واستفاضت الاخبار بذلك بحيث قاربت التواتر فلا عذر في الذهاب عنها وقوله تعالى ولا يشفعون الالمن ارتضى معناه الالمن ارتضى ان يشفعوا له كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا بد من تقييد الارتضاء بذلك لان المرتضين عند الله لا يحتاجون الى الشفاعة ولا يصح ان يقال ان الله لا يرتضي ان يشفع لصاحب الكبيرة لان المذنب هو الذي يحتاج الى الشفاعة وكلما كان ذنبه أكبر كانت حاجته اليها أشد فكيف يجعل اشتداد حاجته حائلا بينه وبين الشفاعة وامتناع الشفاعة للكافر ليس لعظم ذنبه ليرد على هذا بل لجحده الشافع والمشفوع عنده أو لاخبار الله تعالى بأنه لا يشفع فيه أحد وقد انتفى ذلك في صاحب الكبيرة واذا كانت الشفاعة بعد الاذن لم تكن مخالفة لخشية الله وأما قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيأ فلا تدفع الشفاعة لان المراد بالملك الدفع والذب بالقوة كما يكون في الدنيا من ذب الاقوياء عن أنفسهم وعن غيرهم بالشوكة والشفاعة ليست كذلك لانها تذلل من الشافع للمشفوع عنده وقوله عليه الصلاة والسلام يا بني عبد مناف الى آخره قد يخرج على نهيهم عن التقصير في حقوق الله تعالى اتكالا على قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى انهم لا يسألون لذلك عما يعملون فأخبرهم ان اتصالهم به لا يسقط عنهم تبعات أعمالهم وانهم يحاسبون كغيرهم وليست الشفاعة اغناء عنهم من الله شيأ لانها فيما بيننا ليست بموجبة فكيف يتوهم كونها عند الله موجبة وأما اخبار أمته صلى الله عليه وسلم بشفاعته فهو كاخبارهم بأن التوبة تجب ماقبلها من الاوزار وان عظمت وطالت مدتها فكما جاز ذلك اتفاقا فليجز هذا فان قيل لا يجزيه في ذلك اذ لا يعلم الخاطئ ان التوبة تتفق له أم لا قلنا وكذلك لا يعلم ان الشفاعة تناله أم لا انتهى ويجوز العفو عن الكبائر بدون التوبة عند أهل السنة اما بمحض فضل الله تعالى أو بشفاعة الشافعين لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به

ولقد أحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله اذا ضمن لهم انهم اذا فعلوا ذلك ان يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد اذا قال لا تفعلوا كذا فاني أعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء آخذ لانه حقه وأولاهما العفو والكرم لانه غفور رحيم انتهى (قوله شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم (قوله حمما) جمع حممة وهي الفحمة (قوله قلنا وكذلك لا يعلم ان الشفاعة تناله أم لا) وهو جواب حسن (قوله ويجوز العفو الخ) والمراد بالعفو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة (قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به) لان ذنبه لا يمحى عنه

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وتقييده بالتوبة تحكم بحت وأما الشرك الاكبر الذى هو المراد عند الاطلاق فليس بمغفور ولاتجرى فيه شفاعة ولنا فى اثبات الشفاعة لأهل الكبائر من الكتاب قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة فى الجملة والالما كان لنفى نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق يأسهم معنى لان مثل هذا المقام يقتضى ان يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم قاله السعد التفتازانى ولما رأت المعتزلة أصل العفو والشفاعة ثابتا بالدلائل القطعية من الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة قالت بالعفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة و بالشفاعة لزيادة الثواب هذا واعلم انه لما تعارضت النصوص من الكتاب والسنة باثبات الشفاعة تارة ونفيها أخرى وكان سبحانه وتعالى قد قيد الشفاعة المثبتة بشرطين أحدهما رضاه عن المشفوع له والآخر اذنه للشافع فمتى لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة قال الله تعالى مامن شفيع الامن بعد اذنه وقال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الالمن ارتضى وقال سبحانه يومئذ لاتنفع الشفاعة الالمن أذن له الرحمن ورضى له قولا وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون

(قوله ويغفر مادون ذلك) أى مادون الشرك صغيرا كان أوكبيرا (قوله لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا (قوله وتقييده بالتوبة تحكم) كما ذكر ذلك المعتزلة حيث علقوا الفعلين على معنى ان الله لايغفر أن يشرك به لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادونه لمن يشاء وهو من تاب وقوله بحت اذ هو تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الأمر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذلك شرك وان صاحبه مخلد فى النار (قوله وللمؤمنين) أى ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة السابقة وهى ذكر الذنب فيهم الكبائر (قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (قوله قال السعد الخ) أى فى شرح المقاصد (قوله الامن بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله وفيه رد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عنده وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن لهم (قوله الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه (قوله الالمن ارتضى) أن يشفع له (قوله الالمن أذن له) أى الاشفاعة من اذن أو الامن اذن فى ان يشفع (قوله ورضى له قولا) أى رضى لأجله قول الشافع بشأنه (قوله قل) أى للمشركين (قوله زعمتم من دون الله) أى زعمتموهم آلهة والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلبة نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم

مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقوله تعالى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى فقد أخبر سبحانه انه مامن شفيع الا من بعد اذنه وأنكر ان يشفع أحد الا باذنه وأخبر سبحانه انهم لا يشفعون الا لمن ارتضاهم وهم الموحدون وجب حمل الآيات النافية على الشفاعة المطلقة التى كان المشركون يستعملونها مع آلهتهم ليقربوهم الى الله زلفى وكانوا يقولون كما أخبر الله سبحانه عنهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وان الله يرضى لهم بهذا الفعل لكونهم قد أرادوا التقرب بشفاعتهم اليه لينالوا ما لديه فأنكر الله سبحانه ذلك عليهم وانهم فعلوا ذلك بالتقليد المحض والتشريك فهذه الشفاعة المنفية هى الشفاعة الشركية وأما الشفاعة المثبتة التى أثبتها الكتاب والسنة فهى الشفاعة للمؤمنين الموحدين وهم الذين شاءهم الله للشفاعة وحدّهم للشفاعين كما ورد فى حديث الشفاعة الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم حين يفتح عليه بالدعاء فيحمد الله بمحامد يفتحها الله عليه يقال له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وقد قال سيد الشفعاء فى آخر هذا الحديث الشريف و يحدّ لى حدّ الا أتجاوزه قال الشراح من المحدثين يعنى يقال له اشفع فى الموصوفين بكذا أو كذا أو كذا من أوصاف الكبائر الموجبة للعقاب وقد ارتضاهم سبحانه بما أفردوه به من العبادة التى لا تليق بالعبيد وتختص بالخالق المالك الحميد وأما المشركون فلا نصيب لهم فى هذه الشفاعة لهضمهم حق ألوهيته وسعيهم بالمعنى فى تمزيق ربوبيته فهذه الشفاعة المستثناة هى الشفاعة المثبتة وتلك الشفاعة المطلقة المحمولة على المقيدة هى الشفاعة المنفية و بهذا الاطلاق المخصوص بهذا التقييد يستقيم الامر على الوجه السديد وعلى ذلك مشى كثير من المحققين معرضين عما فيه ضعف وتوهين و بالجملة فالتقييد لا بد منه فى كلا الشفاعتين الا انه يقيد كل من الشفاعتين بقيد يناسبه فالمراد من الشفاعة المثبتة الشفاعة بعد الاذن والرضا عن

اشعارا بتعيين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون الخ (قوله مثقال ذرة) أى من خير أو شر (قوله وما لهم) فى أمر ما وذكرهما للعموم العرفى أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب و بعضها أرضية كالأصنام (قوله من شرك) لا خلقا ولا ملكا (قوله من ظهير) يعينه على تدبير أمرهما (قوله عنده) أى فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله وقوله الا لمن أذن له أن يشفع (قوله وكم من ملك) أى كثير من الملائكة (قوله لا تغنى الخ) ولا تنفع (قوله الا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (قوله لمن يشاء) من الملائكة أو من غيرهم (قوله و يرضى) و يراه أهلا لذلك (قوله وأنكر ان يشفع أحد الا باذنه) فكيف يشفع الأصنام لعبدتهم (قوله الصحيح) الذى رواه أنس رضى الله عنه

المشفوع له ومن الشفاعة المنفيه الشفاعة قبل الاذن و بغير رضاه عن المشفوع له فكلا الشفاعتين المطلقتين مقيدتان الا انه اعتبر تقييد المنفية منهما بعكس ماقيدت به المثبتة وقد أطلت فى ذلك المقال لكونه مقتضى الحال قال المحقق الفارسى فى الكشف عند قول صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون فعلم انها أى الشفاعة لاتقبل فى العصاة ما نصه استدل بالآية على عدم قبول الشفاعة للعصاة لانه نفى أولا ان تقضى نفس عن نفس حقا من الحقوق ثم نفى ان تقبل الشفاعة فى ذلك بطريق العموم وأجاب القاضى رحمه الله بأن النصرة منع مع قوة فلا يلزم من نفى النصرة نفى من تنفعهم بطريق آخر وفيه ان الاستدلال بقوله ولا يقبل منها شفاعة لا بقوله ولا هم ينصرون وأما تخصيص الخطاب بالكفار فليس بشئ لانه وصف اليوم بالعام ليتناولهم تناولا أوليا بل الجواب انه عام مخصوص بالاتفاق لانهم خصوا شيأ بحق أخات فيه و بنوا عليه تخصيص الشفاعة فى ذلك ولا يلزم من العطف على الخاص الخصوص لانه يبقى قبولها فى زيادة الفضل وهم قائلون بالقبول والعام المخصوص حجة فيها شبهة فجاز ان تخصه الأحاديث الواردة فى القبول لعصاة الأمة بالاتفاق على انه اذا وجب التخصيص فهو بما خصه تعالى فى مواضع أحق وهو بما قبل الاذن لقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ونظائره وسيجىء فى بيان النظم مايؤيده واما تخصيصهم فتخصيص من غير دليل انتهى فقد علمت كيف حمل المطلق على المقيد وسلك سبيل الأمثال والاشباه فالمراد حينئذ من الشفاعة المنفية الشفاعة قبل الاذن و بلا رضاه على المشفوع له وذلك منفى بلا اشتباه وأما الشفاعة المثبتة فهى المقيدة ببعد الاذن والرضا فههنا شفاعتان احداهما قد نفاها الله تعالى وهى الشفاعة قبل الاذن منه سبحانه و بغير رضاه على المشفوع لهم وهى الشفاعة الشركية اتخذوا فيها آلهتهم وسائط بينهم و بين ربهم ليشفعوا لهم عنده وتعلقوا عليهم فنحروا لهم النحائر واستنصروا بهم ودعوهم عند كربهم وطلبوا منهم شفاء مرضاهم الى غير ذلك من جهالاتهم وغواياتهم وسموهم آلهة وقد نزل القرآن الحكيم بالرد عليهم وتسفيه أحلامهم وتضليل آرائهم ونفى تلك الشفاعة التى قد جعلوها محجة لهم وطريقا الى شركهم وفساد قياسهم حيث يقولون ان الملوك والسلاطين لا بد ان يكون بينهم و بين الرعية وسائل وشفعاء يستشفع بهم الرعية اليهم فكيف بمن هو ملك الملوك وسلطان السلاطين ومنهم من يقول انا مدمنون بالخطايا مدنسون بالذنوب فليس لنا قابلية القرب اليه فلذا نجعل بيننا و بينه شفعاء أولى جاه عريض لا يرد الله عليهم مسؤلهم ولا يخيب رجاءهم فهم شفعاؤنا فى جميع مهامنا عندهم ومنهم من يصرح بكلمة كفره

(قوله فيها شبهة) لوقوع الخلاف فى حجيته كما ذكر فى كتب الأصول (قوله ملك الملوك) يعز من يشاء و يذل من يشاء (قوله وسلطان) السلطان من السلاطة وهى الحدة والقهر

و بطهر

ويظهر بذلك لشافعه كال فقره فيقول نطلب منهم وهم يطلبون من ربهم فشبهوا الخالق بالمخلوق والمالك بالمملوك وذلك من مفاسد هذا القياس وارتباك ذاك الالتباس فان السلاطين جاهلون لأحوال الخلق الا بمنبه ينبههم على ماخفى عليهم من أحوالهم عاجزون عن تدبيرهم الا بظهير ومعين فهم محتاجون الى قبول شفاعتهم رغبة فى رضائهم وحذرا من تكدر أسرارهم وكثيرا مايقبلون شفاعتهم على الكره لأجل صلاح أغراضهم فينسب قضاء الأمر بالحقيقة الى الشفعاء لا اليهم والله سبحانه وتعالى هو العالم بما فى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى يعلم السر وأخفى لامانع لما أعطى ولامعطى لما منع غير محتاج سبحانه لواعظ يذكره أووزير يفطنه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهؤلاء المشركون هم أجهل الناس بحق الرب الخالق مالك الرقاب ومنزل الكتاب كيف والخلق محتاجون الى من يعاونهم أو يسعى فى حوائجهم أو يقضى لهم أغراضهم والله سبحانه هو الغنى بالذات الذى غناه من لوازم ذاته فلا يحتاج الى كل شئ لوأهلك الجميع لم ينقص من ملكه وعزه وسلطانه وربوبيته مثقال ذرة ولا أنقص وان الذى يؤثر فى شفاعته ولايخيب بل يظفر بسعايته لايخلو من أحد أمور اما ان يكون ذا ملك معه فان لم يكن فشريكا فان لم يكن فظاهرا معينا فان لم يكن فشفيعا وقد نفى الله سبحانه هذه الأربع نفيا مرتبا من الأعلى الى الأدنى فقال سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فكفى بهذه الآية نورا ساطعا وبرهانا لامعا لقطع علائق البطلان عن حماية قبة التوحيد والايمان ولذلك جعل الله الشفاعات كلها بأنواعها ملكا له فقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيأ ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض فهو المالك الشفيع الى نفسه بنفسه ليرحم عبيده وهو الذى يأذن للشفعاء أن يشفعوا لمن أراد رحمته فتكون الشفاعة جميعها لله وحده لاشريك له فالشفاعة بعد اذنه اذا أراد أن يرحم المشفوع لهم ليست شفاعة من دونه ولا الشفيع شفيعا من دونه بل شفيعا بعد اذنه وانه سبحانه هو العالم بمن يصلح للمشفوعية فيه والمالك الغنى

(قوله وأخفى) منه وهو ضمير النفس (قوله الخالق) أى الموجد لصور الاشياء وكيفياتها كما أراد (قوله من أحد أمور) أربعة (قوله فان لم يكن) مالكا (قوله فان لم يكن) شريكا (قوله فان لم يكن) مظاهرا أومعينا (قوله مرتبا) منتقلا (قوله من الاعلى الى الادنى) فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت الشفاعة التى لانصيب فيها لمشرك وهى الشفاعة باذنه (قوله والايمان) والقران بما من أمثالها ونظائرها (قوله الغنى) الذى لايفتقر الى شئ

العزيز القاهر مالك يوم الدين الحاكم بعلمه القديم بين العالمين والفرق بين الشفاعتين ظاهر لذي عينين فالشفيع من دونه شريك بحكمه والشفيع بعد اذنه عبد مملوك متبع لأمره خاضع لألوهيته في سره وجهره وجميع مخلوقاته من أنبيائه ورسله وملائكته له خاضعون ومن خشيته مشفقون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد كان سيد الشفعاء نبينا صلى الله عليه وسلم من أتقى الناس وأخشاهم له وكان يسمع لصدره الشريف أزيز كأزيز المرجل والأزيز الغليان والمرجل بكسر الميم واسكان الراء وفتح الجيم القدر كل ذلك من خشية الله تعالى لكمال معرفته بجلال قدسه وعظيم قدره فانظر أيها العاجز الفقير المسكين الى آثار نبيك واشدد باتباعه أزرك وعامل الله ببعض ما كان يعامله سبحانه سيد المرسلين ولا تعد قدرك وبالجملة فلا يغني عن الله سبحانه وتعالى أحد كما لايجير عليه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولو نظر المتأمل بعين فؤاده الموصل له الى مراده فيما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين أتى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى ياصباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني عبد المطلب يابني فهر أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد الحديث وروى البخاري عن عائشة قالت لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يافاطمة ابنة محمد ياصفية ابنة عبد المطلب ياعباس بن عبد المطلب لاأملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ماشئتم وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه فقال في آخره يافاطمة ابنة محمد انقذي نفسك من النار فاني والله لاأملك لكم من الله شيأ وخرجا في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه وتفرد البخاري أيضا بنحوه من طريق آخر علم ان انذاره صلى الله عليه وسلم للعام والخاص وتخصيص ابنته الزهراء البتول بهذا الانذار وقسمه لها وهي بضعته المؤمنة بجميع ماجاء به من عند ربه المثابرة على فعل الخير فرضه وندبه دليل واضح وبرهان راجح على أن لايتكل على

(قوله العزيز) الغالب (قوله القاهر) لجميع عباده (قوله وأخشاهم له) لان الخشية على حسب العلم قوة وضعفا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولا مماثل له صلى الله عليه وسلم من الممكنات في علمه بالله تعالى ومعرفته به فلا جرم انه أشدهم خشية له سبحانه (قوله وكان) أي اذا قرأ بالليل بكى حتى الخ (قوله كل ذلك من خشية الله تعالى الخ) مع ان الله تعالى غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فغيره أحق بذلك (قوله ياصباحاه) يعني ياقوم احذروا من شر توجه الينا صباحا وهذه كلمة تقال عند خوف الغارة وناداهم خذ اخذا (قوله لاأملك لكم من الله شيأ) يعني

شفاعته

شفاعته صلى الله عليه وسلم أحد ولو كفى ذلك لكانت فاطمة سيدة نساء العالمين أولى بها فالشفاعة ثابتة بالوصف لم ترد لشخص ولا شخاص على التعيين فلينظر الانسان الى أعماله فليصلحها من المعايب وليحطها بجميع الرغائب وليستعن بالله فى صلاح أحواله وليبتغ عند الله الوسيلة بصالح أعماله فقد روى مسلم فى صحيحه ان ربيعة بن كعب الأسلمى وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى له بوضوئه وحاجته ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له سلنى قال فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة فقال أوغير ذلك فقلت هو ذاك قال فأعنى على نفسك بكثرة السجود ففى هذا الحديث من الفوائد ان النبى لم يبادر الى اجابته تعليما منه لنا بكون الأمر يومئذ كله لله وكذلك السائل لم يسأله الدخول بل سأله المرافقة كما كان معه فى الدنيا من خدمته والجلوس عنده وآخر ذلك أمره صلى الله عليه وسلم باخلاص الأعمال الصالحة من السجود الذى هو غاية التذلل والخضوع للرب المعبود وأمره أيضا بكثرته وكثرته بكثرة الصلاة التى هى عماد الدين ومعراج رب العالمين وبهذه الأحاديث المتقدمة تنحسم مواد المبطلين ويستبين سبيل المؤمنين وذلك بملاحظة ما كانت الصحابة عليه من المثابرة على الأعمال الصالحات وقد كانوا مع ذلك لم يتكلوا عليه صلى الله عليه وسلم بشفاعته وهو بين أظهرهم بل كان هذا اصالحا قد كدح فى صالح أعماله وتأنق فى تخليص نفسه فى سائر أحواله وهذا أثقلته بعض الأوزار فأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه يعذب وهو مؤمن موحد قد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله وثابر على جميع الصالحات وتباعد عن السيآت ولو لم يكن له الا نصيب الصحبة ورؤية ذى الطلعة المباركة الشريفة صلى الله عليه وسلم لكفاه كما أخبر صلى الله عليه وسلم عمن غل شملة وعمن يعذب بالنميمة وعمن عذب بعدم محافظته على الاستبراء وغير ذلك مما لا يخفى على من تتبع الآثار النبوية والأخبار المصطفوية فليت شعرى هؤلاء الأصحاب وهذه أحوالهم وتلك خشيتهم وأعمالهم وهذا سيد المرسلين معهم وقد رضى الله عنهم وقد عملوا من الأعمال التى تفردوا بها عن غيرهم من نصرة الدين وجهاد المشركين ففارقوا الأهل والوطن وهجروا الولد والسكن طلبا لرضى الله ورسوله ومحبة فيهما ولا يخفى على المتتبع أعمالهم الشريفة وأحوالهم المنيفة من انهم الى ان ماتوا كانوا يدأبون فى الطاعات قد أجهدوا أنفسهم بالبكاء والاخبات ولم يتكلوا على شفاعة نبيهم ولم ينقل لنا انهم طلبوها منه فى حياته ولا من بعده والرزية العظمى والبلية الكبرى فى

لا أقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان أراد الله أن يعذبكم فانما أشفع لمن أذن الله لى فيه وانما يأذن اذا لم يرد تعذيبه (**قوله عمن غل**) الغلول هو الخيانة من الغنيمة وسيأتى الحديث فى ذلك فى الباب الحادى عشر (**قوله وعمن يعذب بالنميمة**) هى نقل كلام بعض الناس الى بعضهم على وجه الفساد بينهم به (**قوله على الاستبراء**) كما روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال

هـذا اليوم فترى أحـدهم فى جميع لحظاته مخالطا لجميع أنواع الـكبائر فى ملبسـه ومأكله ومشربه ومجلسـه ومكسبه يتفاخر فى ارتـكاب المحظورات فـكأنه خلق للسـعى الشـديد فى ملابسته هذه القاذورات ومع هذا فقد تخلق بأخلاق الشياطين ولم يرضه الاان نازع فى الصفات العليا من الـكبر والجبروت برب العالمين وقد حسن له ابليس اللعين ان مجرد طلب الشفاعة من نبينا صلى الله عليه وسلم أو من غـيره من الأنبياء أو من الصالحين يكفيه فى بلوغ الأمنية وان يجعله ذخراله عند حـلول المنية ويا ليتـه اتبع من اكـتفى بالاستشـفاع به فى بعض أقواله أو تأسى بأدنى أحواله هـذا ما كان من ظواهرهم ومن استـكشف عن عقائدهم الخبيثة علم ان ليس لهم فى الاسـلام نصيب فرأى منهـم كل عجب عجيب وتيقن انهم قد أنـكروا الحشر بالمعنى وتفننوا بالفسوق والعصيان فنافنا ولقد صـدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ومن دون الله سبحانه خدموه واستعانوا به فعبدوه فياضـيعة الاسـلام وخسارة الدارين فى هـذه الأيام واذ قد فـرغت مما قد ذكرت من بيان الشـفاعة وماوقع فيها من الاختلاف وتلخيصه على وجه يحصل به الجمع والائتلاف فقد آن الشروع فيما قالته الأئمة الأعـلام فى جواز الاستشفاع والاستغاثة به ومنعها محررا دلائل الفريقين منقحا المراد لهم من الجانبين ولعمرى لقد بذلت الوسع فى اسـتقصاء المبحث على الوجهين فاستخرجت اللآلئ الـكامنة من الصـدفين فهاك تحريرا جامعا لهذه المعارك والوقائع صالحا للتشبث به عند الدفاع والتنازع قد سلمتك الأمر بما فيه لتنظر فى ظاهره وخافيه راجيا من الله تعالى ان يهدى الناظرين الى طريق الصواب فانه ولى الأمر واليه المآب * اعلم ان القائلين بالجواز جماعة كثيرون وأفاضل محققون فمنهم الامام السبكى فانه قد قال كما نقله عنـه المناوى فى شرحه الـكبير للجامع الصـغير ما نصه ويحسن التوسـل والاسـتغاثة والتشفع بالنبى الى ربه ولم ينـكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنـكر ذلك وعدل عن الصراط المسـتقيم وابتدع مالم يقله عالم قبله وصار بين أهل الاسـلام مثـلة انتهى وقال شارح البخارى الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية وينبغى للزائر ان يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صـلى الله عليه وسـلم فجدير ان من استشفع به ان يشفعه الله فيه وقالوا أيضا ان الاستغاثة طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث ان يحصل له الغوث منـه ولا فرق بين ان يعـبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو أعلى منه ثم قالوا ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه كما

انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير يعنى عند الناس زاد البخارى فى رواية بلى انه كبير يعنى عند الله أما أحدهمـا فـكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فـكان لا يستبرئ من بوله (قوله محررا) مهذبا (قوله منقحا) مهذبا (قوله ولعمرى) اللام فيه للابتداء والعـمر بفتح العين وضـمها البقاء وهو

قاله فی تحقیق النصرة ومصباح الکلام واقع فی کل حال قبل خلقه صلی الله علیه وسلم و بعد خلقه فی مدة حیاته فی الدنیا و بعد موته فی مدة البرزخ و بعد البرزخ وفی عرصات القیامة وقال السمهودی فی خلاصة الوفا التوسل والتشفع به صلی الله علیه وسلم و بجاهه و ببرکته من سنن المرسلین وسیر السلف الصالحین وقال ابن حجر المکی فی الدر المنظم من خرافات بعض المحرومین التی لم یقلها أحد قبله وصار بها بین أهل الاسلام مثلة أنه أنکر الاستغاثة والتوسل به صلی الله علیه وسلم ولیس کما افتری بل التوسل به صلی الله علیه وسلم حسن فی کل حال قبل خلقه و بعده فی الدنیا والآخرة ثم ساق الدلیل قال بعضهم ولما تقرر ان الاستغاثة والتوسل بمعنی واحد فاعلم ان المالکیة ذکروا جواز التوسل الی الله ببعض مخلوقاته من غیر نزاع واستدلوا بقصة عمر مع العباس رضی الله عنهما وستأتی وذکر فی الحصن الحصین ان من آداب الدعاء ان یتوسل الداعی الی الله بأنبیائه والصالحین من عباده وقد جعل الفقهاء کلهم التوسل بالصالحین مشروعا فی الاستسقاء کما استسقی عمر رضی الله عنه بالعباس وقال ابن الحاج المالکی فی المدخل ما لفظه وأما عظیم جناب الأنبیاء والرسل صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین فیأتی الیهم الزائر و یتعین قصدهم من الأماکن البعیدة فاذا جاء الیهم فلیتصف بالذل والانکسار والمسکنة والفقر والفاقة والاضطراب والخضوع و یحضر قلبه وخاطره الیهم والی مشاهدتهم بعین قلبه لا بعین بصره لأنهم لا یبلون ولا یتغیرون و یثنی علی الله بما هو أهله ثم یصلی علیهم و یترضی عن أصحابهم و یترحم علی التابعین لهم باحسان الی یوم الدین ثم یتوسل الی الله تعالی بهم فی قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ویستغیث بهم و یطلب حوائجه منهم و یجزم بالاجابة ببرکتهم و یقوی حسن ظنه فی ذلک وانهم باب الله المفتوح وجرت سنة الله سبحانه علی قضاء الحوائج علی أیدیهم و بسببهم ومن عجز عن الوصول الیهم فلیرسل بالسلام علیهم و یذکر ما یحتاج الیه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عیوبه الی غیر ذلک فانهم السادة الکرام والکرام لا یردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من لجأ الیهم هذا فی زیارة الأنبیاء والمرسلین علیهم الصلاة والسلام وأما فی زیارة سید الأولین والآخرین فیزید علی ما ذکر أضعافا مضاعفة أعنی فی الانکسار والذل والمسکنة لانه الشافع المشفع الذی لا ترد شفاعته ولا یخیب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان واستغاث به فانه قطب دائرة الکمال وعروس المملکة قال الله تعالی لقد رأی من آیات ربه الکبری وقال علماؤنا رحمهم

مبتدأ خبره محذوف أی لعمری قسمی فان قلت هذا قسم بغیر الله وهو منهی عنه کما سیذکره المؤلف فکیف صدر منه قلت اما یحمل علی ان المقسم به مضاف محذوف أی وواهب عمری واما یحمل علی جریانه بحسب العادة من غیر قصد الیمین علی انا نقول أراد به توکید الکلام لا القسم فانه کما قال ابن الأثیر فی النهایة یجری فی کلام العرب للتوکید لا للقسم واستدل بقول الشاعر

الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم هو عروس المملكة فمن توسل واستغاث أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار ويحتاج الى الأدب الكلي في زيارته وقد قال علماؤنا الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته ولا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم كل ذلك عنده جلي لا خفاء به واذا كان من انتقل الى الآخرة من المؤمنين يعلمون أحوال العباد غالبا وقد وقع ذلك بحيث المنتهى من حكايات وقعت عنهم وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة فلا يستنكر ذلك في الأنبياء انتهى وقال صاحب المبدع يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لانه أقرب الى الاجابة وقد استسقى عمر بالعباس واستسقى معاوية بين يدي الأسود التابعي المشهور وقال صاحب التلخيص من الحنابلة لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين وصرح بذلك جميع الفقهاء الشافعية وقال صاحب التلخيص يجوز ان يستشفع الى الله برجل صالح وقيل يستحب وذلك بنقل صاحب المنتهى في فقه الحنابلة وقال في منتهى الارادات للحنابلة ويباح التوسل بالصالحين وكذلك قال ابن مفلح الحنبلي في فروعه وكلام الفقهاء من الأئمة الأربعة في مثل ذلك كثير وبالجملة فقد جوّز هؤلاء المذكورون ومن تبعهم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبمن له قدر عريض عند الله تعالى كالأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين وجعلوا هذه الألفاظ مؤدية معنى واحدا وهو التوجه الى الله بهم وانهم موعودون بانجاح مسؤلهم ومأمولهم وحاصل دلائلهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف والقياس قد جاءت متفرقة وقد أحببت نقلها كما ذكروها معزوة لأهاليها قال القسطلاني بعد استحسانه التشفع والاستغاثة به في الأحوال الثلاثة السابقة ما نصه فاما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع آدم عليه السلام به لما خرج من الجنة والذي ذكره في المقصد الأول ان قال بعد بسط طويل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال لانك يارب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم * لقد كلفتني خطة لا أريدها

قال فهذا توكيد لا قسم لانه لم يقصد ان يحلف بأبي الواشين وهو في كلام منهم كثيرا انتهى

آخر

آخر الأنبياء من ذريتك وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والأرض لشفعناك وأما التوسل به بعد خلقه فى مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته فى مقصد المعجزات ومقصد العبادات انتهى والذى ذكره القسطلانى فى باب الاستسقاء من مواهبه مارواه البيهقى فى الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمى قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم فنزلوا فى دار رملة بنت الحارث من الأنصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فأتوا مقرين بالاسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يارسول الله اسنتت بلادنا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك أن يغيثنا وتشفع الى ربك ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك أنا شفعت الى ربى فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والأرض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد الى آخر الحديث وهو طويل وروى البيهقى أيضا عن أنس بن مالك قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد فى المسجد فقال يارسول الله لقد أتيناك ومالنا صبى يغط ولا بعير يئط أى مالنا بعير أصلا لان البعير لا بد أن يئط وانشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء الى آخر الحديث المساق فيه دعاؤه صلى الله عليه وسلم واجابة الله تعالى له والمراد باللبان الصدر والمراد ان الحرة لامتهانها نفسها فى الخدمة حيث لا تقدر على خادم تدمى صدرها وقوله ما يمر وما يحلى من المرارة والحلاوة أى ما ينطق بخير ولا بشر من ضعف الجوع والحنظل العامى نسبة الى العام لانه يتخذ فى عام الجدب كما قالوا للجدب

(قوله وقول) عطف على المجرور بمن وهو بعض من حديث أورده القسطلانى فى المقصد الأول من رواية لم يذكر رواتها (قوله العظيم) المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه (قوله كرسيه) هو جسم بين يدى العرش (قوله السموات والأرض) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة (قوله يئط) من الأطط صوت نحو الجلد عند الجلوس عليه (قوله ولا بعير يئط) يحن ويصيح (قوله لا بد ان يئط) ومنه المثل لا آتيك ما أطت الابل (قوله والمراد باللبان الصدر)

السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والغسل الرذل وحسبك مارواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد أبصر وقد رواه السيوطي في الجامع الصغير رامزا لابن ماجه أيضا وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي وفي رواية وشفعني في نفسي وفي رواية أخرى وشفعني فيه أي في قضائها وقال القسطلاني أيضا وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من ان يحصى أو يدرك باستقصاء وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام طرف صالح من ذلك ثم ذكر القسطلاني ما جرى له من الشدائد العظام فكشفت ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وأطال الكلام من غير اقامة برهان ثم قال وأما التوسل

وبالعذراء البكر (قوله وحسبك مارواه النسائي الخ) هذا الحديث لا دليل فيه لما ذكروه فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول الشفاعة فان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ثم قال يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في وطلب من الله ان يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا أو لكون الداعي محبا له مطيعا لأمره مقتديا به فيكون التسبب اما المحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته لمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي نهوا عنه وكذلك لفظ السؤال قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ومن الأول حديث الثلاثة الذين آووا الى غار وهو حديث مشهور فهم دعوا الله بصالح الأعمال لان الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد الى الله ويسأله به لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله نقل ذلك من اقتضاء الصراط المستقيم (قوله نبي الرحمة) أي التراحم بين الأمة أو مخبرا

به

به صلى الله عليه وسلم فى عرصات القيامة فما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار يريد بذلك ما رواه أهل السنن من أحاديث الشفاعة التى أجمعت المحدثون على صحتها وقال السمهودى فى خلاصة الوفا فى معرض استدلاله على حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته روى البيهقى والطبرانى عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فشكى ذلك لابن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان فجاءه البوّاب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان رضى الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى الساعة وما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أو تصبر فقال يا رسول الله انه ليس لى قائد وقد يشق علىّ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات انتهى وقد ذكر الفقهاء هذه الصلاة فى النوافل واستحبوا لمن كانت له حاجة أن يصليها ويدعو بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الحاجة كما يسمون الصلاة بذلك ونقل ابن أبى شيبة كما ذكره السمهودى أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد الا خمسة قبور وعد منها قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم ففى الكبير والأوسط للطبرانى برجال الصحيح الا روح بن صلاح ففيه مقال وقد وثقه ابن حبان والحاكم ولا يخلو عن ضعف عن أنس قال لما ماتت فاطمة بنت اسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمر بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين ثم قال السمهودى وذكر المحبوب أو المعظم قد يكون سببا للاجابة وفى العادة ان من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب اكراما له وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما صح فى حديث الغار الذى رواه البخارى وغيره وهى مخلوقة فالسؤال به صلى الله عليه وسلم أولى

عن رحمة الله وجعل ذاته نفس الرحمة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (قوله وهو حى) الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له تعالى فهو واجب له ولا يزول قاله البيضاوى

ولا فرق فى ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه أى التوجه به صلى الله عليه وسلم فى الحاجة وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما فى حال الحياة اذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من سأله وقد روى البيهقى وابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضى الله عنه قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاء رجل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ائت عمر فاقره السلام وأخبره انهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يارب ما آلوا الا ما عجزت عنه وذكر بعضهم ان الذى رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضى الله عنهم وذكر السمهودى شيأ كثيرا مما وقع للعلماء والصلحاء من الشدائد فالتجؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الفرج باذن الله تعالى وقال أبو سليمان داود الشاذلى فى كتابه البيان والانتصار عقب ذكر كثير من ذلك وقد جرت العادة ان الذى يكون بأمره صلى الله عليه وسلم سيما اذا كان طعاما انما يكون من الذرية اذ من أخلاق الكرام اذا سئلوا ذلك ان يتولوه بأنفسهم أو ممن يكون منهم وحكى أبو محمد الاشبيلى حكايات على هذا النسق مما يحكم العقل فيه بصحة ما وقع وقد مضى الخبر بجواز الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم بل يجوز كما قال التاج السبكى التوسل بسائر عباد الله الصالحين وقد سئل العز بن عبد السلام عن الداعى يتوسل بالذوات الفاضلة الى الله تعالى فقال ان صح حديث الأعمى فهو مقصور على النبى صلى الله عليه وسلم لعلو رتبته وسمو مرتبته ويكون ذلك خاصا به صلى الله عليه وسلم ورد عليه التاج السبكى وتبعه المتأخرون كابن حجر الهيتمى وغيره وقالوا لما صح الحديث جاز التوسل به صلى الله عليه وسلم وبغيره والقول بالخصوص قول بلا دليل اذ لا بد لثبوت الخصوصية من دليل ولا دليل فثبت حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم وفاقا وبغيره على الأصح وعلى ذلك درج جميع العلماء ولا يسمع لذلك مانع فى كل الأعصار من جميع أهل الأمصار وحاشا هذه الأمة ان تجتمع الا على هدى كما أخبر به الصادق المصدوق وقد أوجب الله علينا معاشر المسلمين تعظيم أمره وتوقيره وبره فقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون الثلاث الآيات فأوجب الله تعزيره

(قوله شاهدا) على أمتك وقوله ونذيرا على الطاعة والمعصية (قوله الآية) وتسبحوه بكرة وأصيلا (قوله ان تحبط أعمالكم) لان فى الرفع والجهر استخفافا فيؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس لما نزلت هذه الآية تخلف عن رسول الله

وتوقيره وألزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا فى تعظيمه ونقل القاضى عياض فى كتابه الشفاء عن السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم وذكر القاضى أيضا فى الشفاء آثارا عن الصحابة وكيف كانوا مطرقين فى حضرته كأنّ على رؤسهم الطير مبالغة فى تعظيمه وساق حديث الحديبية الذى قال فيه عروة بن مسعود حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له مارأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وكثير مما وقع فى ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتغالون فى شراء آثاره الشريفة فيشترون ذلك بنفائس أموالهم كالبردة التى اشتراها معاوية من ورثة كعب بن زهير وكانت الصحابة يوصون بأن تدفن معهم كما أوصى أنس بن مالك بدفن شعرات معه كل ذلك لطلب بركته وابتغاء التوجه بآثاره ولا شك ان حرمته صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وقد عقد القاضى عياض اليحصبى بابا لذلك فقال وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضى الله عنهم حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعرى وأبو القاسم أحمد بن بقى الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن على بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن منتاب حدثنا يعقوب بن اسحق حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم انك لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة (قوله وأنتم لا تشعرون) انها محبطة (قوله ابن مسعود) أى الثقفى (قوله الى رسول الله) يكلمه فى الصلح (قوله ورأى من تعظيم أصحابه له مارأى) فكلمه ورجع الى قومه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله مارأيت قط

لوجدوا الله توابا رحيما هذا كلامه واذ قد ثبت وجوب تعظيمه واجلاله ميتا كما كان حيا وانه حي في قبره فطلب الشفاعة منه دخول في توقيره ويكون كمن طلب شيأ ممن له قدرة عليه وهو صلى الله عليه وسلم قادر على ذلك بوجه التسبب بالدعاء كما كان حيا وكما كان وسيلة في التبليغ فهو الوسيلة في دعائه لأمته ويكون طلب ذلك منه بمجرده أدعى للاجابة ولا أجد أحدا أنكر طلب الدعاء من الصالحين فضلا عن الأنبياء والمرسلين فضلا عن سيد الشفعاء امام المتقين فلو رأينا أحدا جاء الى صالح فطلب منه الدعاء فدعا له ذلك الصالح والطالب واقف ساكت فهل ينكر عليه ذلك أحد من المسلمين فكيف يمن طلبه من سيد العالمين المأمور به في قوله تعالى ولو أنهم جاؤك الآية المفيدة لما فيه غاية التبيين كيف وسائله ممتثل أمر ربه في تعظيمه له وطلبه منه غايه الأمر انه أتى بصيغة الاستشفاع والاستغاثة بأن قال أستشفع بك عند ربي أو أستغيث بك عند الله بمعنى أرجوا اغاثتك لي بالدعاء عند الله أو شفاعتك لي بالدعاء الى الله فهل في ذلك من بأس أو عليه بوجه من الوجوه نزاع والتباس وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا قال فيسقون وفي رواية للحافظ أبي القاسم هبة الله عن ابن عباس ان عمر قال اللهم انا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ونستشفع اليك بشيبته فسقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقي بشيبته عمر

ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا وانه الخ (قوله هذا كلامه) قال في اقتضاء الصراط المستقيم هذه الحكاية اما ان تكون ضعيفة أو مغيرة واما ان تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على انه لا يقف عند الدعاء مطلقا وذكر طائفة من أصحابه انه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله أعلم ان يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمي ذلك دعاء فانه كان من فقهاء العراق من يرى انه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضا ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم ثم قال فقول مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك ان استقبلت وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الأمم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى له الوسيلة ونحو ذلك ثم قال وأما الحكاية في تلاوة

وفي

وفى رواية للزبير بن بكار ان العباس رضى الله عنه قال فى دعائه وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال وفى رواية له عن ابن عمر رضى الله عنهما ان ذلك عام الرمادة وفى المستوعب لأبى عبد الله السامرى الحنبلى ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته و يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكر السلام والدعاء ومنه اللهم انك قلت فى كتابك لنبيك صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وانى أتيت بنبيك مستغفرا فاسألك ان توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته اللهم انى أتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم الى آخر ما قال وقد نقل ابن المواز فى الحج قال قيل لمالك فالذى يلتزم أترى له ان يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف و يدعو قيل له وكذلك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم وفى رواية أخرى عن مالك ذكرها صاحب المبسوط تخالف ذلك حملت على من لم يؤمن منه سوء أدب فى دعائه عند القبر فحصل من ذلك ما أفاد ان الدعاء عند قبره من أدعى أماكن الاجابة واذا كان العلماء قد أطبقوا على التلقى بالقبول لما ورد فى الأوقات والأماكن التى يتحراها الداعى لدعائه فهذا المكان الذى هو أشرف مكان فى الأرض وهو الذى عجنت منه طينته الشريفة وضمت فيه أعضاؤه الكريمة أولى بالتحرى للاجابات وخليق بأن ينال بسببه معالى المهمات ور بط الله المسببات بالأسباب فجعل الدعاء سببا للاجابة ووقوعه فى مثل الأوقات الشريفة والساعات السعيدة سيما اذا كان بخلوص وخضوع واخبات وخشوع مما أذن الله فيه وأثاب فى طلبه ومساعيه قال النووى وغيره ثم يرجع الزائر الى موقفه قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسل به و يستشفع الى ربه ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له قال كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم أنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فحملتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا عتبى الحق الاعرابى فبشره بأن الله قد غفر له وممن ساق هذه القصة الامام العلامة هبة الله فى كتابه توثيق عرى الايمان

مالك هذه الآية ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية فهو والله أعلم باطل فان هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم ولم يذكر أحد منهم انه استحب ان يسئل بعد الموت لا استغفارا ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافى هذا انتهى (قوله وممن ساق هذه القصة الخ) قال فى اقتضاء الصراط المستقيم بعد ان نقل هذه الحكاية واحتجوا بهذه الحكاية التى لا يثبت بها حكم شرعى لا سيما فى مثل هذا

وذكرها الامام ابن الجوزى فى كتابه مثير العزم الساكن وغيرهما كلهم عن العتبى وكنية العتبى أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو كان من أفصح الناس صاحب أخبار ورواية للآداب وحدث عن أبيه وعن ابن عيينة وقد ذكر هذه القصة أيضا ابن عساكر فى تاريخه وتلقاها الجمهور بالقبول ولم يتعرض لها أحد بالانكار وقد اشتملت على تعظيمه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته والتوسل به وحسن الأدب فى حقه كما فى حياته وان فى الآية الكريمة الحث على المجىء اليه ليستغفر له وليس فى الآية تعرض لزمن الحياة دون الوفاة وكذا فهم العلماء العموم واستحبوا لمن زار قبره ان يتلو هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم ومن ادعى التخصيص بغير دليل ظاهر قطعنا بخطئه ونقل الواحدى فى كتابه أسباب نزول القرآن وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عند قوله تعالى وكانوا يستفتحون على الذين كفروا انه قال كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقت هزمت غطفان اليهود فدعت يهود بهذا الدعاء اللهم انا نسألك بحق الذى وعدتنا ان تخرجه لنا الانصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا أى اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليهود غطفان فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا به وقد فسر بعضهم قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان آدم عليه الصلاة والسلام قال اللهم بحق محمد عليك اغفر خطيئتى الى آخر ذلك الموافق لما سبق من حديث الحاكم ذكر ذلك أبو الليث السمرقندى وأبو محمد المكى وغيرهما فلا وجه لمنع الاستشفاع به الا المكابرة بغير دليل ظاهر يخرج به نفسه عن ان يكون معاندا ومكابرا فافواتح الخير على زائره مسكوبة وكثرة التوسل به مطلوبة ومحبوبة والحديث الذى قدمناه عن ابن حنيف

الأمر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابى وأمثاله لها أسباب قد بسطت فى غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضى ان يكون ذلك السبب مشروعا مأمورا به فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل فى حياته المسألة فيعطيها لا يرد سائلا وتكون المسألة محرمة فى حق السائل حتى قال انى لأعطى أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله فلم تعطيهم قال يأبون الا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل وقد يفعل الرجل العمل الذى يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهى عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على انها مشروعة ولو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهى عنها ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهدا أو مقلدا فيغفر له خطؤه ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطئ وقد بسط هذا فى غير هذا الموضوع انتهى (قوله الموافق لما سبق من حديث الحاكم) الصحيح ان الكلمات التى تلقاها آدم هى

بجميع

بجميع رواياته السابقة يدل دلالة ظاهرة لامرية فيها ان ليس فى الحديث دلالة على انه فعل ذلك فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ولا فيه التقييد بزمن حياته ولا انه خاص بالضرير بل اطلاقه عليه الصلاة والسلام يدل على ان هذا التوسل يستمر فى أمته بعد وفاته كل ذلك لكمال شفقته عليهم لانه بهم رؤف رحيم و يدل على ان ذلك باق ان عثمان بن حنيف راوى الحديث هو وغيره فهموا التعميم ولذا استعمله هو وغيره بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير أول الجزء الخمسين ورواه البيهقى باسناده من طريقين فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل به عليه الصلاة والسلام بعد موته كحياته لفعل عثمان راوى الحديث ولفعل غيره فى حياته و بعد موته وهم أعلم بالله و رسوله من غيرهم وما ورد فى الأدعية المأثورة عن سيد الأنام مثل أسألك بحق السائلين عليك و بحق ممشاى هذا اليك يدل على جواز التوسل بأفعال العبد فكيف بذاته الشريفة فالتوجه به صلى الله عليه وسلم أولى والتوجه الى حضرة الحق به أحرى وقد روى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ومثله فى مسند الامام أحمد و رواه النسائى أيضا وكذا الحاكم فى مستدركه وأبو نعيم فى حليته قال العلماء معنى لو أقسم على الله لأبره لو حلف على الله ليفعلن بأن يقول وعزتك لتفعلن كذا اوقع مطلوبه فيبر بقسمه اكرامالة وصونا له عن الحنث بيمينه لعظم منزلته عنده فهذا وعد الله لعباده الصالحين فكيف بسيد المرسلين

قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم و بحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسكنى جنتك قال بلى قال ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم (قوله مثل أسألك بحق السائلين الخ) هذا الحديث رواه عطية العوفى وفيه ضعف لكن بتقدير ثبوته هو من باب التوسل بالأعمال فان حق السائلين عليه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته (قوله لو أقسم على الله لأبره) قال ابن مالك فى شرح هذا الحديث ما لفظه أى لجعله بارا صادقا فى يمينه لكرامته قال القاضى رحمه الله معناه لو سأل الله شيأ وأقسم عليه أن يفعله بأن قال بعزتك يارب افعل كذا لأجاب دعوته و يؤيد هذا المعنى لفظة على الله تعالى لانه أراد به المسمى واذا أراد به اللفظ لقال بالله فيكون قوله لأبره مكان لأجابه للمشاكلة المعنوية وأقول هذا المعنى غير مناسب لسياق الحديث والمناسب له ما سبق من التقرير واما لفظة على فيجوز ان تكون باعتبار تضمين معنى العزم فيه يعنى أقسم عازما على الله ان يفعل ما يريده وغايته ان يكون المقسم به محذوفا انتهى

وورد اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله تعالى فى الأرض حاضرا سيحبسها واذا أراد عونا فليناد عباد الله أعينونى ثلاثا قال النووى قد جرب ذلك بعض أهل العلم ونحن قد جربناه فصح انتهى وروى الطبرانى باسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الابدال فى أمتى ثلاثون رجلا بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون ورواه الطبرانى أيضا عن عوف بن مالك رضى الله عنه والأحاديث فى مثل ذلك كثيرة جدا فمن وقف على هذه وأمثالها يتبين له ان الله سبحانه قد جعل من عباده فى الارض غياثا يستغيث الناس بهم ولا مانع من ذلك عقلا وشرعا لان ذلك كله باذن الله تعالى ومن أقر بالكرامة للصالحين كما هو مذهب أهل السنة وانها باذن الله تعالى لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك ووقوعه وكيف لا والأخبار قد عاضدته والآثار قد ساعدته ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاد ان الله هو الخالق له كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشئ منه وما هنا من هذا القبيل فان الله سبحانه قد قرب أنبياءه ورسله اليه وكذلك الصالحين المخلصين من عباده وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم وتوقيرهم وقد خلق فيهم قدرة كاسبة أقلها الدعاء له بانفاذ مسؤل من رجاهم وهم فى برازخهم ودار كرامتهم وقد تفضل الله بكل ذلك عليهم فمن استشفع أو استغاث بهم أو توسل بهم على ما أسلفناه من بيان تقارب هذه المعانى وان اختلفت المبانى فقد أتى بما تستحسنه العقول وتتظاهر عليه النقول وقد ورد فى حديث المعراج ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على موسى وهو قائم يصلى فى قبره والصلاة تستدعى بدنا حيا فنبينا صلى الله عليه وسلم أولى بهذه الحياة وحصول الاعمال كما كانوا فى هذه الدار لكن من غير تكليف واضطرار والاستغاثة به فى حياته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالدعاء فكذلك بعد انتقاله ووفاته وقد نقل ابن الحاج فى مدخله قوله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثلكم كمثل الفراش تقعون فى النار وأنا آخذ بحجزكم عنها دليلا على استحسان التوسل والاستغاثة به فانه أعلم بحوائجهم وأشفق على أمته منهم على أنفسهم فان الدليل عام لا يختص بزمان دون زمان كما انه لا يختص بشخص من دون الاشخاص وقد ذكر الحليمى فى كتابه المنهاج عند ذكر تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك والاحاديث

(قوله اذا انفلتت) الانفلات التخلص من الشئ فجأة من غير مكث (قوله عباد الله) المراد بهم الملائكة والمسلمون من الجن (قوله باسناد صحيح) غير صحيح بل ورد باسناد منقطع فهو ضعيف كما ذكره المحدثون (قوله الفراش) دويبة تطير فتتساقط فى النار (قوله بحجزكم) جمع الحجزة بضم الحاء المهملة وسكون الجيم والزاى المعجمة وهى معقد الازار خصه بالذكر لان أخذ الوسط أقوى فى المنع يعنى أنا آخذكم حتى أبعدكم عن النار والذى فى رواية مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه وأنتم تقحمون فيه أى فى النار على تأويل المذكور وأصله تتقحمون حذفت احدى التاءين ومعنى التمثيل

الواردة فى زيارة قبره صلى الله عليه وسلم التى رواها الدارقطنى والبيهقى والعقيلى والبزار وابن عدى وابن خزيمة والحافظ ابن الجوزى وغيرهم التى تضمنت الوعد لمن زار قبره الشريف صلى الله عليه وسلم بالشفاعة التى تتضمن البشارة بالموت على التوحيد وذلك يفيد نيل المزيد فكل ذلك من ثمرات زيارته والتشفع به كيف وتعظيمه صلى الله عليه وسلم حتم واجب ألزم الله به العباد الى يوم التناد وفى زيارته اظهار ذلك والسبب يحكى المسبب وفى ضده الجفاء ولم تزل الناس فى جميع الازمان من جميع البلدان مجمعين على زيارة قبره رجاء الخير والبركة والطمع فى الشفاعة والمقصد فى ذلك حسن جدا موجب للتعظيم مظهر لكمال البر والتوقير وليت شعرى كيف يكون التعظيم ممن منع شد الرحال اليه وحظر التوسل به وحث على الاعراض عنه وأقام الدليل على انه كالجماد فى لحده لا ينتفع بجاهه وجده كيف تتوجه نفس من قام بخاطره أدنى شئ من ذلك الى تعظيمه وتوقيره ففيما ذكره ما يوجب الاعراض عما أوجبه الله علينا أيها الامة وعناية تامة فى رفع هذه الحكمة أدخلنا الله تعالى فى شفاعته يوم الدين وهدانا الصراط المستبين آمين ونقل السمهودى عن الأصمعى انه وقف اعرابى فى مقابل القبر الشريف فقال اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت أكرم من ان تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره فانظر الى حسن هذا التوسل فما أظن قائله الا راح بالمغفرة بتوجهه وحسن تشفعه ولا فرق بين هذا التوسل الحاصل بالمعنى و بين ما هو كائن بالمبنى قال العلامة ابن حجر المكى بعد سوقه حديث توسل آدم بحقه المراد بحقه رتبته ومنزلته أو الحق الذى جعله الله على الخلق يعنى توحيده أو الحق الذى جعله الله بفضله له عليه كما فى الحديث الصحيح عن معاذ قال فما حق العباد على الله لا الواجب اذ لا يجب على الله شئ ثم السؤال به صلى الله عليه وسلم ليس سؤالا له حتى يوجب اشراكا وانما هو سؤال لله تعالى بمن له عنده قدر عليّ ومرتبة عظيمة وجاه عظيم فمن كرامته على ر ان لا يخيب السائل به والمتوسل اليه بجاهه ويكفى فى هوان منكر ذلك حرمانه اياه ثم ساق دليل الأعمى فى حياته وقال بعده وانما علمه صلى الله عليه وسلم ولم يدع له لانه أراد ان يحصل منه التوجه بذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده وهذا المعنى حاصل فى حياته و بعد وفاته ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء فى حاجاتهم بعد موته صلى الله عليه وسلم فقد علمه عثمان بن حنيف راويه لمن كان له حاجة

ان النبى صلى الله عليه وسلم فى منعهم عن المعاصى والشهوات المؤدية الى النار وكونهم مقتحمين متكلفين فى وقوعها مشبه بشخص مشفق يمنع الدواب عنها وهن يغلبنه وفى الحديث اخبار عن فرط

عند عثمان بن عفان رضى الله عنه عسر عليه قضاؤها منه ففعله فقضاها رواه الطبرانى والبيهقى وروى الطبرانى بسند جيد انه صلى الله عليه وسلم ذكر فى دعائه بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء كما قاله الامام العلامة السبكى لانه قد ورد جواز التوسل والاستغاثة بالأعمال الصالحة كما فى حديث الغار الصحيح مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى ولان عمر توسل بالعباس رضى الله عنهما فى الاستسقاء ولم ينكر عليه أحد والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لها معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولم يقصد بها أحد سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه حيث لم ينشرح صدره لما انشرح به المسلمون وحيث افترى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ماهم منه بريؤن فلم يظهر عليه الا ما مازج قلبه وخالط لبه من سوء الظن المنهى عنه فليبؤ بها حسرة خالدة وخسارة تالدة والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث فهو تعالى مستغاث والغوث منه خلقا وايجادا والنبى صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسببا وكسبا ومستغاث به والباء للاستعانة ثم قال وبالجملة اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فلا فرق بينه وبين السؤال وفى حديث البخارى فى الشفاعة يوم القيامة فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليهم وسلم وصح عن ابن عباس انه قال أوحى الله الى عيسى ياعيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه أن لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن فكيف لا يتشفع ولا يتوسل بمن له هذا الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه انتهى هذا آخر ماقدرت على جمعه ونقحت كل دليل على حسب وضعه فخذه اليك والسلام عليك والقصد فى تهذيبى هذا ان تقضى فيه بقضاء الله الذى يهديك ان شاء اليه ويوقفك بمحض فضله العميم على ماهو الحق لديه فتأمل فى السوابق واللواحق واستخرج بكمال فكرك ما بينهما من الحقائق والله يهديك سواء السبيل نعم المولى ونعم الوكيل وأما المانعون فقد أطالوا الكلام فى هذا المقام فاللازم تحرير ملخص ما ادعوه وأقاموا الدليل عليه

شفقته على أمته ولا شك فيه (قوله على حسب) كلمة حسب اذا كان مجرورا بحرف الجر فالسين فيها مفتوحة والا فهى ساكنة وربما تسكن فى ضرورة الشعر على الوجه الاول وهو هنا بمعنى المقدار أى على قدر وضعه (قوله فى تهذيبى) تنقيحى (قوله السبيل) أى الطريق المستوى (قوله نعم المولى) لا يضيع من تولاه (قوله الوكيل) الموكول اليه هو (قوله تحرير) أى تنقيح وتهذيب

ثم اذكر ما أجابوا به دلائل المجيزين فأقول و بالله أستعين اعلم ان الحاصل من متفرقات أقوالهم انه يجب افراد الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده فى معاملته لان الله سبحانه أرسل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله ناهيا عن عبادة غيره وأنزل عليه كتابا مبينا بين فيه أحوال المشركين وما كانوا عليه من الشرك باله العالمين وكان شركهم أن نصبوا أصناما اعتقدوها مقربة لهم عند الله اما لكونها على صور ملائكته واما لكونهم اعتقدوا ان الله سبحانه قد شرفها بذواتها كما شرف الكعبة واما لكونها صور أنبياء كما هو معلوم عند الناظرين السابرين لأحوال المشركين أن منهم من عبد المسيح ومنهم من عبد عزيرا ومنهم من عبد اناسا صالحين كما قالوا فى اللات فى قراءة من شدد التاء انه كان رجلا يلت السويق فيطعمه للحجيج بمكة وانهم عبدوها مع الله سبحانه وقد كانت عندهم بقية من دين ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فكانوا يحجون ويلبون ويستغفرون و يطعمون الطعام ويستعملون أخلاق الكرام وكانوا أيضا يفردون الله سبحانه بالخلق والرزق وملك السموات والأرض و بملك السمع والأبصار وانه يجير ولا يجار عليه الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم فى كتابه العزيز بقوله عز من قائل ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقوله سبحانه قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وقوله قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

(قوله اللات) صنم فى الطائف لثقيف أو لقريش نخله (قوله فى قراءة من شدد التاء) وهو ما قرأ به هبة الله عن النهى وورش عن يعقوب (قوله يلت السويق) بالسمن (قوله بمكة) فمات فعكفوا على قبره (قوله يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (قوله ولا يجار عليه) أى لا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (قوله وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما أراد منهما (قوله ليقولن الله) لما تقرر فى العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (قوله سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر الى الاقرار بأنه خالقهما (قوله فسيقولون لله) فانه أعظم من ذلك (قوله أرأيتكم) استفهام تعجب (قوله ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (قوله الساعة) وهولها (قوله أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (قوله ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة (قوله بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (قوله ما تدعون اليه) ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء فى الآخرة (قوله وتنسون ما تشركون) من شدة الأمر

وقوله أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله أي أءله مع الله فعل ذلك وهذا الاستفهام انكاروهم مقرون بأنه لم يفعل هذا اله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله اله آخر فقد وهم فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد وقال تعالى فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ وقال تعالى عنهم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ولما كانوا معترفين مقرين بأن الله سبحانه الرب الواحد خالق كل شئ فاعل هذه الأمور الجسام المعد للرغبات والرهبات العظام وذلك بنقل الله عنهم معتقدهم فى آيات كثيرة ومن أصدق من الله قيلا وكانوا أيضا يتخذون آلهتهم شفعاء لهم تقربهم الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قال سبحانه عن صاحب يس ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أءتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر

وهوله (قوله والأرض) التى هى أصول الكائنات ومهادى المنافع (قوله لكم) لأجلكم (قوله حدائق) وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة وعدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان اثبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله ما كان الخ (قوله شجرها) أى شجر الحدائق (قوله مع الله) أى غيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين (قوله يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (قوله أم من جعل الأرض قرارا) ابرأ بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (قوله خلالها) أوساطها (قوله أنهارا) جارية (قوله رواسى) جبالا ثوابت تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع (قوله البحرين) العذب والمالح أو خليجى فارس والروم (قوله حاجزا) بأن لا يختلط أحدهما بالآخر بل ان بينهما تنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المحجور وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها (قوله قل لا أشهد) بما تشهدون (قوله من شئ) فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم (قوله اجعل الآلهة الها واحدا) بأن جعل الألوهية التى كانت لهم لواحد (قوله عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (قوله هؤلاء) الأصنام (قوله عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم مطلقا انه لا يضر ولا ينفع على توهم ربما تشفع لهم عنده (قوله عن صاحب يس) وهو حبيب النجار وكان ينحت

لا

لا تغنى عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون فكان جل أحوال المشركين مع آلهتهم التوكل عليهم والالتجاء اليهم بشفاعتهم ظنامنهم انها نافعة عند الله تعالى لهم فرد الله سبحانه عليهم وأبان معتقدهم المسؤل لديهم فأخبرنا تعالى فى كتابه ان الشفاعة كلها بجميع أنواعها له وانه لا تكون الامن بعد اذنه ورضاه عن المشفوع له وهم المشار اليهم فى الحديث الذى رواه البخارى ان أباهريرة رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فهؤلاء المخلصون هم الذين أخلصوا الدين كله لله فجعلوا الشفاعة والتوكل والرجاء والالتجاء وغير ذلك من خواص الألوهية حقوقا ثابتة لله تعالى لم يعطوها لغيره فوحدوه بها وأخلصوا الدعوة له فهم المؤمنون الموحدون وبكتابه الذى أنزله على نبيه مهتدون وبما أمر به نبيه عاملون وبوعده الحق واثقون وحقيقة الشفاعة المأذون فيها ان الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافعين الذين أذن لهم فيه ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وكما كان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار مما هو شفاعة منه لهم فكذلك فى عرصات القيامة يفتح الله عليه فى الدعاء فيشفعه كما سبق على وجه الاستقصاء وقدمر أيضا بيان الشفاعة المنفية ومن تأمل بعين الاستبصار علم ان المقصود بنفى الشفاعة نفى الشرك وهو أن لا يعبد الا الله كما قال سبحانه وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه ولا يدعى غير الله كما قال سبحانه وتعالى ولا تدعوا مع الله أحدا ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا فى شفاعة ولا فى غيرها فكما انه ليس للمؤمن ان يتوكل على أحد فى ان يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له ان يتوكل على غير الله فى ان يغفر له ويرحمه فى الآخرة بشفاعة وغيرها مما لم يأذن الله به فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقا

أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر رسل عيسى أظهر دينه (قوله لا تغنى عنى) أى لا تنفعنى شفاعتهم (قوله ولا ينقذون) بالنصر والمظاهرة (قوله ورضاه عن المشفوع له) وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء فانه يأذن سبحانه فى الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد (قوله واثقون) عكس ما عليه المشركون ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب النبى صلى الله عليه وسلم ما فى زعمهم الكاذب وأخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد فحينئذ يأذن للشافع ان يشفع (قوله مطلقا) كما قال تعالى ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع الى غير ذلك من الآيات المتقدمة وغيرها النافيات للشفاعة وهى ما كان فيها شرك (قوله وهى ما تكون بعد الاذن) وهى

والشفاعة المثبتة ماتكون بعد الاذن يوم القيامة ولاتكون الالمن لرتضى من أهل التوحيد والاخلاص فهذه الشفاعة من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد فمن كان موحدا مخلصا قطع رجاءه عن غير الله ولم يجعل له وليا ولا شفيعا من دون الله اذا تبين هذا فالمشركون قد كانت عبادتهم لآلهتهم هذا الالتجاء والرجاء والدعاء لأجل الشفاعة معتقدين انها المقربة لهم فبسبب هذا الالتجاء والاعتقاد أريقت دماؤهم واستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وأولادهم وقد أرسل صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد شهادة أن لا اله الا الله ليعدلهم عما هم عليه من الضلالات والجهالات وأوجب عليهم افراد الحق سبحانه بالألوهية التى من أعظم خواصها هذا الالتجاء والرجاء وأن لا يجعلوها لغيره من نبى مرسل أو ملك مقرب وقد تعبدهم الله باعتقاد هذا التوحيد والعمل بمقتضى هذه الكلمة المشتملة على التجريد والتفريد اللذين هما حقيقة التوحيد فهذا الالتجاء بطلب الشفاعة و رجائها عبادة لا تصلح الا لله ومن صرف حق الله وانها شرك كشرك الأوّلين فان قلت ان الأوّلين كانوا يعبدونهم ونحن لا نعبدهم فالجواب أن عبادتهم هى هذا الالتجاء الذى أنت فيه وكما انك تدعو النبى صلى الله عليه وسلم الذى بعث باخلاص الدعوة لله وحاشاه ان يرضى بذلك ولا يرضيه الا مايرضى ربه من التوحيد فانه قد أمر ونهى وحذر و بصر وأرشد و بلغ ونصح الأمة وأزال عنا الغمة فهدانا الى السبيل المستقيم والنعيم المقيم وتدعو غيره ملتجئا اليهم بطلب الشفاعة منهم كذلك الأوّلون كانوا يدعون صالحين وأنبياء ومرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين فبهذا الالتجاء والتوكل على هذه الشفاعة والرجاء أشركوا ولئن قلت ان النبى صلى الله عليه وسلم مأذون بالشفاعة ونحن نطلبها ممن هو مأذون فيها فالجواب انه صلى الله عليه وسلم الآن موعود بالشفاعة ووعد الله حق لكنها مشروطة ببعد الاذن ورضاه عن المشفوع فيه فلا تطلب منه الآن ولو كانت تطلب منه الآن لجاز لنا أن نطلبها أيضا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والافراط والحجر الأسود والصالحين ولجاز لنا ان ندعوهم ونلتجئ اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة اذ لا فرق بين الجميع بالثبوت والاذن فنصير اذا والمشركون الأوّلون فى طريق واحد وحال واحد ولم نفترق الا بالأعمال الظاهرة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها واعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل أو فكرة فيما صح من النقل ومن نظر بعين الانصاف وتجنب سبيل الاعتساف ونظر الى ما كان عليه الاوّلون وعرف كيف كان شركهم و بماذا أرسل لهم النبى صلى الله عليه وسلم وكيف التوحيد ومامعنى

شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع فى فلان كما فى الآيات المتقدمة المقيدة فيها الشفاعة بقيد الاذن (قوله فهذه) كما فى الآيات المتقدمة (قوله أهل التوحيد) الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه

الاله

الاله والتأله وتبصر فى العبادات وأنواعها تحقق ان هذا الالتجاء والتوكل والرجاء بمثل طلب الشفاعة هو الذى نهى عنه الأوّلون وأرسل لأجل قمعه المرسلون و بذلك نطق الكتاب و بينه لنا خير من أوتى الحكمة وفصل الخطاب سيما اذا استغيث بهم لدفع الشدائد والملمات ولرفع الكرب المهمات مما لا يقدر على دفعه ورفعه الا خالق الأرض والسموات وقد كان المشركون الأولون اذا وقعوا فى شدة دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم اذا هم يشركون ومن فعل هذا بحالتى الشدة والرخاء بل فى قسمى المنع والعطاء فقد غلا وجاوز حده واستحق ان يكون سيف الرسالة غمده قال سبحانه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اذا علمت هذا فاعلم ان الاستغاثة بالشئ طلب الاغاثة والغوث منه كما ان الاستعانة طلب الاعانة منه فاذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر ان ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة ان من توسل بأحد عند غيره ان يقول لمستغاثه أستغيثك على هذا الأمر بفلان فيوجه السؤال اليه و يقصر أمر شكواه عليه ولا يخاطب المستغاث به و يقول له أرجو منك أو أريد منك أو أستغيث بك و يقول انه وسيلتى الى ربى وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجأ الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول صار لى ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج يدل دلالة جلية على انه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه انه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت أو استغثت عند الله بفلان أو يقول لمستغاثه استغثت اليك بفلان فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على ان مدخول الباء مستغاث وليس بمستغاث به والقرائن التى تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود عدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثة وتوجه القلب الى المسؤل

(**قوله مخلصين له الدين**) لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد الا هو (**قوله اذا هم يشركون**) فاجؤا المعاودة الى الشرك (**قوله له دعوة الحق**) أى الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد أو يدعى الى عبادته دون غيره أوله الدعوة المجابة فان من دعاه أجاب و يؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل (**قوله والذين يدعون من دونه**) أى والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه (**قوله بشئ**) من الطلبات (**قوله الا كباسط كفيه**) أى الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (**قوله ليبلغ فاه**) يطلب منه ان يبلغه (**قوله وماهو ببالغه**) لانه جماد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابة والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم (**قوله الا فى ضلال**) أى فى ضياع و باطل فلا يجاب

بالسؤال والانابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين وهل سمعتم ان أحدا في زمانه صلى الله عليه وسلم أو ممن بعده في القرون المشهود لأهلها بالنجاة والصدق وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تيك الرغائب استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على ازالتها الا الله أم كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ولم يعبدوا الا اياه ولقد جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم انه استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو قالوا انا مستغيثون بك يارسول الله أم بلغك انهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور كلا لا يمكن لهم ذلك وان الذي كان بعكس ما هنالك فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم مبينا لنا ان هذه الاستغاثة أخص الدعاء وأجلى أحوال الالتجاء وهي من لوازم السائل المضطر الذي يضطر الى طلب الغوث من غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمزيد الاحسان في سره وجهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل التوحيد معاملته فان قلت ان للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسبيبه فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى قلنا له ان كلا منا فيمن يستغاث به عند المام مالا يقدر عليه الا الله أو لسؤال مالا يعطيه ويمنعه الا الله وأما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شئ لا نقول به ونعد منعه جنونا كما نعد اباحة ما قبله شركا وضلالا وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ويلتجأ في ذلك اليه فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد ارزقني أو أمتني أو احي ميتي أو اشف مريضي الى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها أعني في حمل متاعي أو غير ذلك والقرآن ناطق بحظر الدعاء عن كل أحد لا من الأحياء ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الأمور الغير المقدورة للعباد لا تطلب الا من خالق القدر ومنشئ البشر كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه أسبل الله علينا بفضله عفوه ورضوانه آمين فالقصر على ما تعبد نافيه من محض الايمان والعدول عنه عين المقت والخذلان وهذا خلاصة ما ذكروه من جعل الاستغاثة والاستشفاع بغير الله شركا ظاهر الا يغفر ومتعاطيه جاعل لله ندا فيذبح بأمر الله تعالى وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ويعقر وبالجملة فالاستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحة التوحيد المطلوب من العبيد بقي ههنا شئ يورده المجيزون على هؤلاء المانعين وهو انه لا شك ان من عبد غير الله مشرك حلال الدم والمال وان الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة بل هو مخ العبادة ولكن لا نسلم ان طلب الاغاثة ممن استغيث بهم شرك مطلقا وانما يكون شركا لو كان

المستغيث

المستغيث معتقدا انهم هم الفاعلون لذلك خلقا وايجادا فحينئذ يكون من الشرك الاعتقادي قطعا أما من اعتقدهم الفاعلين كسبا وتسيبا فليس بمسلم ولئن سلمنا فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم ونداثهم الا التوسل بهم وبجاههم وان كان اللفظ ظاهرا يدل على الطلب منهم وانهم المطلوبون بهذا النداء لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف الوسائل الى الله سبحانه وقد أمرنا سبحانه بتطلب ما يتوسل به فقال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فكيف تحظرونها بل تجعلونها شركا مخرجا عن الملة وليس فى قلوب المسلمين الا هذا المعنى وان فى ذلك تكفيرا أكثر الناس من غير ارتياب والتباس وكيف تحكمون على اناس قد أظهروا شعائر الاسلام من أذان وصلاة وصوم وحج وايتاء زكاة يأتون بكلمة التوحيد ويحبون الله ويحبون سيد المرسلين فيتلقون بالقبول التام ماجاء عنهما من أمور الدين وغاية الأمر انهم لرهبتهم من ربهم ومعرفتهم بعلو مرتبة نبيهم وما أوعده الله سبحانه به من ارضائه فى أمته كما قال سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى صلى الله عليه وسلم الا بأن يقف لأمته فى مثل هذه التوسلات فينالوا الرغبات وليس فى أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبى الذى أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا لأنفسنا وفى مثل ذلك بشاعة فى القول وشناعة بطريق الأول فالجواب عنه منهم أن قالوا أما أول اعتراضكم وقولكم انه ليس مقصودهم الا التوسل وان تكلموا بما يفيد غيره فانه يدل على ان الشرك لا يكون الا اعتقاديا وانه لا يكون كفرا الا اذا طابق الاعتقاد وهذا يقتضى سد أبواب الشرائع بأسرها ومحو الأبواب التى ذكرها الفقهاء فى الردة ومحقها كيف وان الله سبحانه يقول ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وقال سبحانه أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد ذكر المفسرون انهم قالوها على جهة المزح وكذلك العلماء كفروا بألفاظ سهلة جدا وبأفعال تدل على ما هو دون ذلك ولو فتحنا هذا الباب لأمكن لكل من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ان يقول لم تحكمون بردتى فيذكر احتمالا ولو بعيدا يخرج به عما كفر فيه ولما احتاج الى توبة ولا توجه عليه لوم أبدا ولساغ لكل أحد ان يتكلم بكل ما أراد فتنسد الأبواب المتعلقة بأحكام الألفاظ من حد قذف وكفارة يمين وظهار ولا نسدت أبواب العقود من نكاح وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات فلا يتعلق حكم من الأحكام بأى لفظ كان الا اذا اعتقد المعنى وان أفيد بوضع الألفاظ وأما ما ذكرتم من أنه أشرف الوسائل فهى كلمة حق أريد بها

(**قوله** أبالله وآياته الخ) توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به (**قوله** لا تعتذروا) أى لا تشتغلوا بأعذاركم (**قوله** بعد ايمانكم) أى بعد اظهاركم الايمان (**قوله** انهم قالوها الخ) أى فى غزوة تبوك

باطل كقولكم انه ذو الجاه العريض والمقام المنيع ونحن أولى بهذا المقام منكم لاتباعنا لأقواله وأفعاله واقتدائنا به صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا الى سبل الاسلام ومنقذنا برسالته من مهاوى أولئك الجفاة الطغام فلا نعمل الا بأمره وتتلقى ذلك بالسمع والطاعة فى حلوه ومره وقد أوجب علينا ان نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو فى الدين فان غلونا فاننا اذا عن الصراط نا كبون ولئن عدلنا انا اذا الخاسرون وكيف يحسن طريق يؤدّى الى الاشراك وأنى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدى للارتباك وهذا طريق سلفنا الصالح وهو الاعتقاد الصحيح الراجح هذا وان النبى صلى الله عليه وسلم وأرواحنا له الفداء لا يرضى بما يغضب الرب المتعال وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الأقوال والأفعال وقد قالت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه فليس لنا وسيلة الى الله الا الدعاء المبنى على أصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التى أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من أفضل الوسائل وأخبرنا انه مخ عبادته تحقيقا لعبديتنا فسد به عن غيره أبواب الذرائع وقد اختلف العلماء بعد ان اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وبأسمائه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التى حصلت لنا بمحض كرمه وافضاله فى جواز التوسل بالذوات المنيفة والأماكن والأوقات الشريفة فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ويكون ذلك خاصا به لعلوّ رتبته وسمو مرتبته وعن الحنابلة فى أصح القولين مكروه كراهة تحريم ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد انه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغى لأحد ان يدعو الله الا به وفى جميع متونهم ان قول الداعى المتوسل بحق الأنبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وقال القدورى المسئلة بخلقه تعالى لاتجوز لأنه لاحق للمخلوق على الخالق وأما حديث أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا وبحق نبيك والانبياء من قبلى ففيهما وهن وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله على نفسه وذلك من أفعاله لان حق السائلين الاجابة وحق المطيعين الاثابة وحق الانبياء التقريب والتفضل بما يخص أولئك العصابة صلى الله عليهم وسلم وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله تعالى وعدا علينا حقا فى التوراة والانجيل والقرآن وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله صلى الله عليه وسلم حق الله على العباد

(قوله الحنفية) ومن جملتهم القدورى فى شرح كتاب الكرخى (قوله كراهة تحريم) وهو عند أبى حنيفة وأبى يوسف الى الحرام أقرب وجانب التحريم أغلب وعند محمد كالحرام فى العقوبة بالنار (قوله وقال القدورى الخ) أى فى شرح كتاب الكرخى وكذلك قال يلدجى فى شرح المختار

ان

ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله أن لا يعذبهم أو السؤال بالاعمال لان المشي الى الطاعة امتثالا لامره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ومن نظر الى الادعية الواردة فى الكتاب والسنة لم يجدها خارجة عما ذكرنا قال الله تعالى فى دعاء المؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا وقال تعالى انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين وقال تعالى عن الحواريين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول اللهم انك أمرتنى فاطعتك ودعوتنى فاجبتك فاغفر لى ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط فاتبع أيها الناظر نبيك المصطفى تسلم من اللغط والغلط هذا ما كان من تحرير مدعى المانعين وتقريره على وجه أبان عن لباب تلخيصهم بتسطيره ولم يبق علينا الا ذكر ما أجابوا به عن دلائل المجيزين مبينا ذلك أتم تبيين قالوا فى الجواب عن حديث العباس بن حنيف رضى الله عنه الذى دل على الجواز فى حياته وفى الرواية الاخرى بعد وفاته اعلم أن الجواب عنه يعلم من تأمل معناه فقوله (اللهم انى أسألك) أى أطلب منك (وأتوجه اليك بنبيك محمد) صرح باسمه مع ورود النهى عن ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم من قبله وفى ذلك قصر السؤال الذى هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ولكنه توسل بالنبى أى بدعائه ولذا قال فى آخره اللهم فشفعه فى اذ شفاعته لا تكون الا بالدعاء لربه قطعا ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف فى افادة هذا المعنى فقوله (يا محمد انى توجهت بك الى ربى) قال الطيبى الباء فى بك للاستعانة وقوله انى توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فيكون خطابا لحاضر معاين فى قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا الداعى قد توسل بشفاعة نبيه فى دعائه فكأنه استحضره

(قوله وابتغوا اليه الوسيلة) أى اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه (قوله مناديا) المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن (قوله من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة (قوله الحواريين) أصحاب نبى الله عيسى وحوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص وسموا أصحاب عيسى بهذا الاسم لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصر بهم عيسى على اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أى يبيضونها (قوله مع الشاهدين) بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس

وقت ندائه ومثل ذلك كثير فى المقامات الخطابية والقرائن الاعتبارية فقوله (فى حاجتى هذه لتقضى لى) أى ليقضيها لى ربى بشفاعته أى فى دعائه وذلك مشروع مأمور به فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم وكذلك يجوز الآن أن تأتى رجلا صالحا فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للاعلى ان يطلب من الادنى الدعاء له كما طلب النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عمرته بان قال له لا تنسنا يا أخى من دعائك قال عمر رضى الله عنه مايسرنى بها حمر النعم قال العلامة المناوى سأل الله أولا أن يأذن لنبيه أن يشفع له ثم أقبل على النبى ملتمسا شفاعته له ثم كر مقبلا على ربه ان يقبل شفاعته والباء فى بنبيك للتعدية وفى بك للاستعانة وقوله (اللهم فشفعه فىّ) أى اقبل شفاعته فى حقى والعطف على مقدر أى اجعله شفيعا لى فشفعه وكل هذه المعانى دالة على وجود شفاعته بذلك وهو دعاؤه صلى الله عليه وسلم له بكشف عاهته وليس ذلك بمحظور وغاية الامر أنه توسل من غير دعاء بل هو نداء الحاضر والدعاء أخص من النداء اذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه الا الله وانما المحظور السؤال بالذوات لا مطلقا بل على معنى انهم وسائل لله بذواتهم وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محظور واذا اعتقد انهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقريب اليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الاولون وأما ورود هذا الحديث عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه فى زمن عثمان ففى سنده مقال فكيف نعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وهل سمعت أحدا منهم جاء اليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه فلو صح عند أحدهم أدنى شئ من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف فى حوائجهم زمرا زمرا ومثل ذلك تتوفر الدواعى على نقله ولا وسع الله طريقا لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين وأما ما ذكروه من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما فالمراد بذلك ان يدعو لهم يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات وهذا المعنى هو الذى عناه الفقهاء فى كتبهم ومرادهم التوجه الى الله بدعاء الصالحين بان يدعوا لهم ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذى أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لا يخصون الاحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بندائهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم وانه على معنى ان الشفعاء يدعون لهم وقالوا لا مانع من ذلك عقلا وشرعا فانهم احياء فى قبورهم لكان التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الامر المهم وهم عنده بالمدينة أولى

(قوله بالنبى) أى بدعائه فيكون على حذف مضاف

ولكان

ولكان قولهم كما فى رواية البخارى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون من هذا الحديث اللهم انا كنا اذا اجدبنا الى آخره عبثا ضائعا بل مخلا بما يقولون و يدعون بل هو من أقوى الادلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فان قول عمر رضى الله عنه اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا الى آخره يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذى هو الدعاء بدليل قوله انا كنا ولما كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولوكانوا مفضولين دليل ساطع و برهان لامع على هذا المراد ولوكان المقصود الذوات كما يقولون ابقيت هذه التوسلات عندهم على حالها لم تتغير ولم تتبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين سيما الانبياء والمرسلين فتأمل فى هذا فانه أحسن ما فى هذه الاوراق حقيق بان يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهديك السبيل نعم المولى ونعم الوكيل وأما حديث آدم الذى رواه الطبرانى فقد علم جوابه مما مر فى الجواب عن قوله بحق أنبيائه مع ان حديث بحق أنبيائك فيه ضعف كما ذكره المحدثون وأما الدليل الذى ساقه القسطلانى وهو حديث لو تشفعت الينا بمحمد الى آخره فمع كونه لا يعلم راويه ولا مخرجه لا يفيد ماهم فيه وأما حديث الاعرابى الذى ذكر الأبيات فقد تفرد به البيهقى لبيان دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وقد جرت عادة المحدثين فى مثل ذلك لا يتحاشون عن ايراد الحديث الضعيف وهم جمع فكيف بهذا الحديث الفرد الذى لم يكن موجبا لسقوطه الا التفرد بروايته لكفى أتريدون ان تثبتوا به حكما هو مبنى الدين وأساس ملة المسلمين وأما باقى الأحاديث فلا تخلو عن ضعف أو كذب راو أو غير ذلك مما يمنع العمل بموجبه ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثار الوضع لائحة عليها وأحوال الصحابة وأعمالهم تدل على انهم غير معترفين بما فيها ولوكان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجاؤا الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع ما ينوبهم على الرواحل وتركوا عند ذلك جميع المشاغل وأما استغاثة الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم وقبله بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة الصحيحة فهذه شفاعة بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضا أى فى مهماتهم التى يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهى الشفاعة التى هى الدعاء ولذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث فأجىء فأسجد وانه يلهمه الله من الثناء والدعاء شيأ لم يفتحه لغيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله له فى الشفاعة و يقول له كما ورد

(قوله اذا اجدبنا توسلنا الخ) بل المفهوم من ذلك انهم يتوسلون بدعائه فيدعو لهم و يدعون له كالامام والمأمومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق (قوله على هذا المراد) فعلم ان هذا التوسل الذى ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم فان

فى الحديث يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهـذا ظاهر جدا وأما ماذكروا من اجماع الناس فهو لا يصلح سندا عند فسادهم نعم لو كانوا ابوقت صالح بحيث ينفذ فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لربما صلح ان يكون اجماعا فعليا وقد صرحوا بمثل ذلك من نظائره هـذا كله على سبيل التسليم وارخاء العنان للخصوم وأما ماذكرتم من التبرك بآثاره الشريفة فى حياته صلى الله عليه وسلم أى آثار نفسه من أجزائه المقدسة وبما مس أعضاءه الشريفة من ملابسه فذلك حق واجب علينا أيها المسلمون نفديه بأنفسنا وذلك من تعظيمه وبالغ تعزيره وتوقيره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وما عداذلك لا نقول به ولا نعمل الا بما ورد فنعبد الله تعالى بهذه الطاعة والتعظيم لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاتباع لا بالابتداع والكلام فى ذلك يأتى فى باب البدع وأما حديث مالك الذى رواه صاحب الشفاء فهو معارض برواية المبسوط المخالفة له والموافقة لمذهبه وما تكرر منه مرارا عديدة من نهيه عما هو أدنى من ذلك كيف وسد الذرائع مشهور من مذهبه فحمل رواية الشفاء على السقوط أولى لكون رواية المبسوط أصح وأقوى وأوفق غاية الأمر التعارض واذا تعارضت الروايتان نسقطهما ونرجع الى الأصل المرجوع اليه فى الالتباس والأصل ماذكرناه وفصلناه فالعمل به هو الواجب سيما فى مثل هذه المطالب وأما رواية استشفاع عمر رضى الله عنه بشيبة العباس رضى الله عنه فالمراد بذلك ذكر ما يكون سببا لاستدرار الرحمة وتنزل النعمة كما يقول الانسان اللهم كبر سنى ووهن عظمى فارحم شيبتى سيما اذا كانت شيبة قد شابت فى الاسلام ومثل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ومحله من الاسلام مالا ينكر فكيف لا تذكر فذكر الشيبة من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم الذى هو الزمان المصروف فى سبيل الله ومرضاة الاله فيرجع الأمر الى مانحن فيه ولا يقدم عاقل على القول بالتوسل بذات الشيبة نفسها بل بما تلبست به من الايمان والاسلام والانقياد الى طاعة الملك العلام هذا على تقدير صحة الرواية بهذا والا فهى ضعيفة لا تثبت لها صحة وأما حكاية العتبى عن الاعرابى واستحسان العلماء لذلك وكذلك المنامات التى أوردوها فى ذلك والأقوال التى ذكرت معها من غير سند شرعى يستندون ولا طريق مرعى يوقفون الطلاب عليه فلا نتعب أنفسنا بالجواب ففيما ذكرناه كفاية لأولى الألباب بقى علينا ما أدلوا به علينا من حياة الانبياء ليتوصلوا به الى ترويج مدعاهم من استحسان دعائهم وطلب اغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب ان يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وان نبينا صلى الله عليه وسلم قد جعل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين وان الأنبياء جميعهم طريون لا تأكل الأرض

الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شئ لا دعاء ولا غيره

أجسادهم الشريفة ولكنا نمنع ان يطلب منهم شئ فلا يسألون شيأ بعد وفاتهم سواء كان بلفظ استغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك لجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد ان حياتهم صلى الله عليهم وسلم اذ ثبتت الرواية بها حقيقية كما هو الأصل فى حمل الألفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجبناه قائلين لاشك انه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها و بحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الى تلك الحياة البرزخية المعبر عن هذا الانتقال بالموت الحال به صلى الله عليه وسلم وأرواحنا له الفداء كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عز من قائل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ الآية وحلول الموت به صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن أحدا انكاره ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دهش بموته صلى الله عليه وسلم وأرواحنا له الفداء من قال مات محمد ضربت عنقه فلما جاء الصديق رضى الله عنه وكشف عن وجهه الشريف المكرم قال له روحى لك الفداء طبت حيا وميتا فصعد المنبر فقال فى خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وتلا هذه الآية فتراجع الناس الى عقولهم وقد بسطت الروايات فى أحوال

(قوله انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموت (قوله قد خلت من قبله الرسل) أى فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل (قوله أفان مات أو قتل الخ) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله و بقاء دينهم متمسكا به روى انه لما رمى عبد الله بن قمأة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمأة وهو يرى انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد سيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (قوله فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (قوله الآية) أى اقرأ آخرها وهو وسيجزى الله الشاكرين أى على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه

موته الذى يدهش العقول و يذهل المرء عن الفروع والأصول نفديه صلى الله عليه وسلم بأنفسنا وأولادنا ثبتت الحياة الأخرى البرزخية وهى متفاوتة لحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من حياة الشهداء فنقتصر على مايثبت لها فى النصوص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية وقد شرف الله سبحانه هؤلاء الاحياء بالتشريفات العندية فقال سبحانه فى حق الشهداء الذين تتقاصر مرتبتهم عند الانبياء ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون أدخلنا الله تعالى تحت شفاعة الشافعين سيما شفاعة نبينا سيد المرسلين وامام المتقين آمين وهذا آخر ماتلخص من أجوبة المانعين فدونكه عقدا انتظم من درر ومجموعا اشتمل على فوائد كلها غرر فاصخ بسمعك لمناديه ولايحملنك الهوى فتعاديه ولابد لك من ان تعمل فى الكلامين مقراض نظرك وتلج فى لج البحرين بعجرك وبجرك وتخلى نفسك عن كل عصبية نسبية وتحليها بمزايا القرائن السببية رزقنا الله تعالى التثبت فى القول والعمل وجنبنا بفضله الخطأ والزلل بمنه وفضله آمين

﴿الباب السابع فى بيان الشرك الأكبر المخرج عن الملة وبيان ماقيل فيه﴾

اعلم أعاذنى الله واياك من الشرك والكفر والضلال وأمدنا بالتوفيق لما يحب ويرضاه من الأقوال والأفعال ان الشرك يضاد التوحيد فهما لايجتمعان كما ان الكفر يضاد الايمان وانهما ضدان فاذا قيل هذا موحد فمعناه انه معتقد الوحدانية لله وغير مثبت له شركا ولا يكون موحدا التوحيد المطلوب حتى يتخلى عن كل مافيه شرك للمعبود وضده المشرك الذى يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه بأقواله أو أحواله أو أفعاله أو اعتقاده أو معاملاته أو بوفاقه وتحسينه أو برضاه به بقوله أو سماته وأما الكفر فهو عبارة عن عدم التصديق القلبى بما جاء من عند الله تعالى وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأخوذ من الكفر وهو الستر فكأن هذا الجاحد الغير المعترف بما وجب الايمان به قد ستر ما وجب عليه باعراضه عما سيق اليه ولما كانت الجاهلية قد أشركوا فى عبادتهم مااستحسنوه بفساد عقولهم مقلدين بذلك الضلال الماضين من أصولهم فعكفوا على عبادة أصنام وأوثان وأشجار وأحجار وتماثيل وقبور ونصب وصخور متبركين بها راجين شفاعتها عند خالقها ملتجئين اليها مستمسكين بما زعموه من انهم محسوبون عليها وكان قد تشعبت من شجرة هذا الشرك

(قوله عند ربهم) ذووزلفى منه (قوله يرزقون) من الجنة وتأكيد لكونهم أحياء (قوله بعجرك وبجرك) أى فى أمورك كلها باديها وخافيها اذ العجر العروق المنعقدة فى الظهر والبجر العروق المنعقدة فى البطن كما فى نهاية ابن الأثير (قوله من الكفر) بالفتح (قوله الستر) ومنه قيل للزراع كافر (قوله وأوثان) جمع وثن بفتحتين عطف تفسير للاصنام وقيل غيران أحدهما

الخبيث

الخبيث فنون ضلالات وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع جهالات من التطير والحلف بما تألهوه وتعليق الرقى والتولة والتمائم لجلب ودفع ما أرادوه فشركوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء والخوف والالتجاء والمنع والعطاء والتقريب والاقصاء ثم لم تزل تعم تلك الجهالة وتشتعل بينهم نيران الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان مالم يأذن به الله فسيبوا السوائب وحموا الحام ووصلوا الوصائل ولم يزالوا في جاهلية جهلاء وخالفة عمياء أرسل الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم اليهم مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وأنزل عليه كتابا عربيا أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء وتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا عن الاتيان ببعضها لحادوا عنه وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فصدع صلى الله عليه وسلم بالتجريد والتفريد اللذين هما حقيقة التوحيد وحتم عليهم توحيده سبحانه عن هذا الشرك الذي بينه في كتابه المنزل بضرب الأمثال واقامة البراهين على الوجه البارع المفصل فلذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر والكافرين وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف المشهور قد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك باندراس أهله وظهرت شعائر الدين القويم بظهور فروعه من أصله لم تكد ترى أحدا يتعرض للشرك وأحواله ولا يلوث لسانه بذلك القذر في جميع أقواله فلذلك ترى العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة والعياذ بالله من ذكر المكفرات وأعرضوا عن المشركات مع ان كثيرا منها داخل في عموم المكفرات لما هو ظاهر ان كل شرك كفر وليس كل كفر شركا مثل القاء المصحف في القاذورات وغير ذلك مما هو كفر وليس بشرك ولقد تتبعت الشروح الحديثية والكتب الكلامية فلم أجد من ذلك الا جلا قليلات وسطورا متفرقات فأحببت ان أجمع في هذا الباب ما تفرق وألم شمله فقد كاد ان يتمزق فأقول وبالله أستعين اعلم ان الشرك اما أن يكون في الربوبية واما في الألوهية والثاني اما أن يكون في الاعتقاد واما في المعاملة الخاصة برب العباد وهذا الثاني الذي يتفرع منه شرك العبادة منقسم الى أقوال

منحوت من خشب والآخر من حجر (قوله وحموا الحام) تقدم الكلام على السائبة والوصيلة وأما الحام فهو ان الجاهلية كانوا اذا أنتجت الناقة من صلب الفحل عشرة أبطن حموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا حمى ظهره (قوله مبشرا) للمؤمنين بالجنة وقوله ونذيرا للكافرين بالنار (قوله وداعيا الى الله) أى الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (قوله باذنه) بتيسيره قيد به الدعوى ايذانا بأن ذلك أمر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جانب قدسه (قوله وسراجا منيرا) نبيا أمره يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر (قوله وغير ذلك) كشد الزنار ونحوه مما يأتي (قوله وألم) أجمع

وأفعال وفى كل منهما يكون الشرك الأكبر الغير المغفور والأصغر المغفور وكلامنا الآن فى الشرك الأكبر الذى أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه ولا يكمل توحيد العبد الا بعد معرفته الشرك بأنواعه وأسبابه كما قال الشاعر

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * فمن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه مع انه أعلم الناس بالله وأشدهم خشية من الله كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله اللهم انى أعوذ بك من أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأعوذ بك من ان أشرك بك شيأ وأنا لا أعلم الى غير ذلك من دعائه وخاصة ندائه وقد استعاذ منه أيضا خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله رب اجنبنى و بنى أن نعبد الأصنام وكان أبناؤه أنبياء مرسلين واذا كان هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذا منه وطلبا التحرز بالله عنه وخشيا وقوعهما فيه وهما أفضل الرسل فكيف بغيرهما كائنا من كان يدعيه ظاهر اغنيا عن البيان فلو سألت أحدا من أجهل هذه الأمة عن هذه المسائل من التوحيد والشرك وأصل كل وما يتفرع عن كل لاستهزأ بك وأزرى ونأى بجانبه عنك ولم يدر انه مادرى ولم ينظر الى ما كان عليه الصحابة والتابعون الكرام من بذل الجهد فى التذاكر دائما بهذا المقام وبالجملة فطلب معرفة التوحيد الواجب على العبيد من أهم المطالب وأنجح المآرب فالشرك فى الربوبية لم يقل به أحد من الكفار ولا قال أحد بوجود خالقين واجبى الوجود وان حصل من بعض الكفار التعطيل فى الربوبية كتعطيل فرعون واضرابه وأما الشرك فى الألوهية فهو أنواع بحسب تأله المتألهين وزعم الزاعمين ولم يقل أحد ان للعالم الهين متماثلين متكافئين الا الثنونية وأما الوثنية العابدون ماسوى الله فانهم لا يقولون بالتعدد وان أطلقوا عليها اسم الآلهة قال السيد الجرجانى فى شرحه للمواقف العضدية فى مقصد التوحيد بعد ان سرد الدلائل العقلية عليه مانصه وقد مر انه يمكن اثبات الوحدانية بالدلائل النقلية

(قوله لا للشر) أى لفعله (قوله لتوقيه) لأجل توقيه (قوله يقع فيه) لان من عرف شيأ أمكنه التحرز منه (قوله اجنبنى و بنى) أى بعدنى واياهم (قوله أن نعبد الأصنام) أى واجعلنا منها فى جانب (قوله من أهم المطالب الخ) اذ ما نجا من الشرك الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله وأخلص قصده متبعا لأمره متطلبا لمرضاته اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو بالله ولله ومع الله ولا يتم معرفة التوحيد الا بمعرفة الشرك اذ الأشياء تتبين بأضدادها (قوله النقلية) مثل قوله فاعلم أنه لا اله الا الله

لعدم

لعدم توقف صحتها على التوحيد (واعلم انه لامخالف لهذا الأصل الا الثنوية) دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الأوثان بصفات الالهية وان أطلقوا عليها اسم الآلهة بل اتخذوها على انها تماثيل الأنبياء أو الزهاد أو الملائكة أو الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلا بها الى ماهو اله حقيقة انتهى ومن ذلك المذكور الاشتغال بتعظيم القبور على وجه العبادة لها فانه يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ودليل ذلك مارواه مالك فى الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ففيه دليل على ان الغلو فى تعظيمها يصيرها أوثانا بعبادتها ولقد نشأت البلوى من هذا الغلو فى الدين وقد قال تعالى يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق فالغلو فى الدين من السلوك فى غير سبيل المؤمنين قال صاحب مجالس الأبرار مانصه أنواع الشرك ستة أحدها شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك الثنوية فانهم قالوا نجد فى العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا والواحد لا يكون خيرا وشريرا بالضرورة فلا بد ان يكون لكل منهما فاعل على حدة ثم انهم انقسموا قسمين فذكرهم ثم قال والثانى من أنواع الشرك شرك تبعيض وهو جعل الاله مركبا من آلهة كشرك النصارى فانهم أثبتوا الأقانيم الثلاثة هى الوجود والعلم والحياة وحكموا عليها بأنها آلهة واعتقدوا ان الاله مركب من هذه الثلاثة وقالوا المجموع هذه الثلاثة واحد وجعلوا لذات الواحد

(قوله على التوحيد) أى لان العلم بصحة الدلائل النقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحة الدلائل النقلية يتوقف على العلم بصدق الرسول والعلم بصدق الرسول يتوقف على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فلا يلزم الدور (قوله يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى حتى رموه بما رموه وغلت النصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة وهو أوفق لقوله (قوله غير الحق) يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد (قوله قال صاحب الخ) هو الفاضل أحمد الرومى (قوله فذكرهم) بأن قال القسم الأول المانوية فانهم قالوا فاعل الخير النور وفاعل الشر الظلمة والقسم الثانى المجوس فانهم قالوا فاعل الخير يزدان وفاعل الشر أهرمن يعنون به الشيطان ثم اختلفوا فى ان اهرمن قديم كيزدان أو حادث منه (قوله كشرك النصارى) النسطورية والملكانية (قوله الأقانيم) هى بمعنى الأصول واحدها اقنوم قال الجوهرى وأحسبها رومية (قوله الثلاثة) فانهم قالوا ان الله تعالى جوهر واحد وله أقانيم ذاتية أى ثلاثة خواص جوهرية (قوله هى الوجود والعلم والحياة) وعبروا عن الوجود بالأب وعن العلم بالكلمة وعن الحياة بروح القدس

ثلاث صفات وذلك غير معقول لعاقل الثالث من أنواع الشرك شرك تقريب وهو عبادة غير الله ليقرب الى الله تعالى كشرك متقدمى عبدة الأصنام فانهم لما رأوا ان عبادتهم للمولى العظيم على ماهم عليه من غاية الدناءة وغاية الحقارة سوء أدب عظيم تقربوا اليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها ثم انهم لما رأوا غيبة من اختاروا عبادته عنهم صنعوا الأصنام أمثلة لما غاب عنهم من معبوداتهم واشتغلوا بعبادتها ونيتهم فى ذلك ان يتقربوا الى ماجعلوه مثالا له وقصدهم من جميع ذلك ان يتقربوا الى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان فى عقولهم وأوقعهم فى الضلال الرابع من أنواع الشرك شرك تقليد وهو عبادة غير الله تقليدا لغيرهم كشرك متأخرى عبدة الأوثان فانهم لما وجدوا آباءهم وأجدادهم مشتغلين بعبادتها قلدوهم فيها وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وهم كآبائهم فى ضلال مبين الخامس من أنواع الشرك شرك الأسباب وهو اسناد التأثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومنهم من تبعهم على ذلك من جهلة المؤمنين فانهم لما رأوا ارتباط الشبع بأكل الطعام وارتباط الرى بشرب الماء وارتباط ستر العورة بلبس الثياب وارتباط الضوء بالشمس ونحو ذلك مما لا ينحصر فهموا بجهلهم ان تلك الأشياء هى المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها امابطبعها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط وسبب غلطهم قياسهم ادراك الحس بادراك العقل فان الذى شاهدوه انما هو تأثير شئ عند شئ وهذا هو حظ الحس وأما تأثيره فيه فلا يدرك بالحس بل انما يدرك بالعقل انتهى ثم ذكر القسم السادس

(قوله ثلاث صفات الخ) وهم وان سموها صفات تحاشيا عن التسمية بالذوات فهى ذوات لانهم قالوا بانتقال اقنوم العلم الى المسيح والمستقل بالانتقال لايكون الا ذاتا (قوله وقصدهم من جميع ذلك ان يتقربوا الى المولى العظيم الخ) فتبا لآرائهم الفاسدة وسحقا لعقولهم الكاسدة اذ يعبدون مالا ينفعهم أف لهم ولما يعبدون من دون الله (قوله قلدوهم فيها) من غير حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية (قوله على أمة) الأمة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى تكون عليها أى المقاصد ومنها الدين (قوله مقتدون) احتجوا فيه بتقليد آبائهم (قوله فى ضلال مبين) فان مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه (قوله اما بطبعها أو بقوة وضعها الله فيها) بل الحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها ويسمونها العقول والنفوس (قوله بل انما يدرك بالعقل) وقد أطبق العقل والنقل على انفراد المولى عز وجل باختراع جميع الكائنات عموما وانه لاأثر لكل ماسواه تعالى فى أثر ما جملة وتفصيلا

وهو شرك الأغراض وهو من الشرك الأصغر الغير المخرج عن الملة ولا كلام فيه الآن وحكم الأقسام المذكورة الكفر بالاجماع وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما ذكر حديث الخوارج فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب الى الدين من مرق منه مع عبادته العظيمة فيعلم منه ان المنتسب الى الاسلام يمرق منه وذلك بأمور منها الغلو الذي ذمه الله تعالى كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يدعوه من دون الله بأن يقول ياسيدي فلان أغثني أو اجرني أو أنت حسبي أو أنافي حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والاقتل فان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه اله آخر والذين كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة أو المسيح أو العزير أو الصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها تخلق وترزق وانما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة انتهى وقال أيضا في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وجماع الأمر ان الشرك نوعان شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبير وشرك في الألوهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسئلة أي كمسئلة العابد معبوده ما يحتاج اليه انتهى وقال في الاقناع الذي هو العمدة في فقه الحنابلة في أول باب المرتد ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر اجماعا وقد نقل الامام ابن حجر المكي في كتابه الأعلام بقواطع الاسلام عن حاصل عبارة الفروع للحنابلة ومن ذلك ان يجعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم قالوا اجماعا وبعد ان سرد ما نقله عن صاحب الفروع من المكفرات قال وبتأمله يعلم انه موافق لما قدمناه من مذهبنا في أكثر ما ذكر انتهى وقال العلامة السعد التفتازاني في شرح المقاصد ما نصه وأما المشركون فنهم الثنوية القائلون بأن للعالم الهين نور هو مبدأ الخيرات وظلمة هي

(**قوله** شرك الاغراض) كشرك المرائين وسيأتي (**قوله** وحكم الأقسام المذكورة) أي حكم أربعة منها التي هي شرك استقلال وشرك تبعيض وشرك تقريب وشرك تقليد الكفر بالاجماع وأما الخامس الذي هو شرك الأسباب ففيه تفصيل فان اعتقد ان تلك الأسباب مؤثرة بطبعها وحقيقتها فلا خلاف في كفره وان اعتقد انها لا تؤثر بطبعها وحقيقتها بل بقوة أودعها الله فيها ولو نزعها منها لا تؤثر فلا خلاف في بدعته وانما الخلاف في كفره (**قوله** نور هو مبدأ الخيرات وظلمة هي مبدأ الشرور) وفساده أظهر من الشمس لأنهما عرضان مفتقران الى موجد هما كما قال تعالى وجعل الظلمات والنور فهما مجعولان له سبحانه ومسخران بأمره كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين

مبدأ الشرور ومنهم المجوس القائلون بأن مبدأ المجردات هو يزدان ومبدأ الشرور هو أهرمن واختلفوا فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم ثم قال ومنهم عبدة الملائكة وعبدة الكواكب وعبدة الأصنام أما عبدة الملائكة والكواكب فيمكن انهم اعتقدوا كونها مؤثرة فى عالم العناصر مدبرة لأموره قديمة بالزمان شفعاء للعباد عند الله مقربة اياهم اليه وأما الأصنام فلا خفاء فى ان العاقل لا يعتقد فيها شيأ من ذلك قال الامام فلهم فى ذلك تأويلات باطلة الأول انها صور أرواح تدبر أمرهم وتعتنى باصلاح حالهم على ماسبق الثانى انها صور الكواكب التى اليها تدبير هذا العالم فبنوا كلا منها على ما يناسب ذلك الكوكب الثالث ان الأوقات الصالحة للطلسمات القوية الآثار لا توجد الا أحيانا من أزمنة متطاولة جدا فعملوا فى ذلك الوقت طلسما لمطر خاص يعظمونه ويرجعون اليه عند طلبه الرابع انهم اعتقدوا ان الله جسم على أحسن ما يكون من الصورة وكذا الملائكة فاتخذوا صورا بالغوا فى تحسينها وترتيبها وعبدوها لذلك الخامس انه لما مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله تعالى اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعا الى الله تعالى وتوسلا ومنهم اليهود القائلون بأن عزيرا ابن الله أحياه الله بعد موته وكان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه ومنهم النصارى القائلون بأن المسيح ابن الله حيث ولد بلا أب وورد فى الانجيل ذكرهما بلفظ الأب والابن والجواب انه لو صح النقل من غير تحريف فمعنى الأبوة الربوبية وكونه المبدأ أو المرجع ومعنى البنوة التوجه الى جناب الحق بالكلية كابن السبيل أو قصد التشريف والكرامة ولهذا نقل فى الانجيل مثل ذلك

(قوله أهرمن) يعنون به الشيطان (قوله فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم) بان قال واختلفوا فى ان اهرمن أيضا هو قديم أو حادث من يزدان وشبهتهم انه لو كان مبدأ الخير والشر واحدا لزم كون الواحد خيرا وشريرا وهو محال والجواب منع اللزوم ان أريد بالخير من غلب خيره وبالشر من غلب شره ومنع استحالة اللازم ان أريد خالق الخير والشر فى الجملة غاية الأمر انه لا يصح اطلاق الشرير لظهوره فيمن غلب شره وعورض وأريد بان الخير اذا لم يقدر على دفع الشرير أو الشرور فعاجز وان قدر ولم يفعل فشرير وان جعل ابقاؤها خيرا لما فيه من الحكم والمصالح الخفية كما يزعم المعتزلة فى خلق ابليس وذريته وانذاره وتمكنه من الاغواء فلعل نفس خالق الشرور والقبائح كذلك فلا يكون شرا وسفها انتهى ما قال السعد فى شرح المقاصد قلت وأجاب ابن السبكى فى شرح عقيدة الماتريدى بانه انما يكون سفيها اذا لم يكن فى تخليقه للشر حكمة وليس كذلك بل فيه حكم ومعان كثيرة أدناها ان تذل بها الجبابرة فان الجبار اذا حل به القبيح من مرض أو ألم ونحوه انكسرت نفسه وذلت فلا يمتنع اضافة الشرور الى الله تعالى انتهى (قوله على ماسبق) على وجه الشفاعة والتقريب

فى حق الأمة أيضا حيث قال انى صاعد الى أبى وأبيكم و بالجملة فنفى الشركة ثابت فى الألوهية عقلا وشرعا وفى استحقاق العبادة شرعا وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا الا اله الا هو سبحانه عما يشركون انتهى وقال العلامة ابن القيم فى كتابه الكبائر مانصه

﴿فصل﴾ يكفر من يعبد غير الله عز وجل من رسول أو نبى أو جنى أو نجم أو ملك أو شيخ أو غير ذلك وقد يقع فى هذا بعض الجهال المنتسبين الى دين الاسلام فى أمور تقع منهم عن جهل فمن ذلك المنتسبون الى المشايخ كالشيخ أحمد الرفاعى أو الشيخ يونس أو الشيخ عدى أو غيرهم لأنهم متألهون بذكرهم ومحبتهم من دون الله منعكفين على قبورهم يقبلونها ويسجدون لها ويستغيثون بهم ويطلبون منهم المغفرة وقضاء الحوائج وهذا أصل عبادة الأوثان وهو نوع من الاشراك بالله ثم ذكر كلاما طويلا فى أحوال المشركين وكيف زين لهم الشيطان أعمالهم وان أصل عبادة الأوثان كان عن تعظيم الصالحين وآثارهم ثم قال ومن ذلك الاستغاثة بهم فى قضاء حوائجهم والحلف بهم والتواجد عند ذكرهم مالا يفعلونه عند سماع آياته فمن استعان بغير الله أو استغاث به كما يقوله هؤلاء المتولهون بالمشايخ ياسيدى الشيخ فلان فقد أشرك مع الله غيره قال الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أى شركاء تستغيثون بهم وتعبدونهم من دون الله وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فمن سأل غير الله المغفرة أو قضاء الحوائج أو استعان بغير الله فقد أشرك مع الله انتهى ثم عد من الشرك الحلف بغير الله تعالى وقول مالى الا الله وأنت أو ماشاء الله وشئت وتعليق الرقى والتمائم والتولة والمرآة فى الأعمال وسيأتى تفصيل ذلك كله فى الشرك الأصغر وقال أيضا فى كتابه الجواب الكافى ماملخصه قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال ان الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم

(قوله وما أمروا) أى المتخذون أربابا يعبدونهم (قوله الها واحدا) وهو الله تعالى (قوله عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك (قوله أندادا) أمثالا (قوله وأنتم تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أى وحالكم انكم من أهل العلم والنظر والرأى فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل مايفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف (قوله بالله) أى فى عبادته أو فيما يختص به من الصفات والأفعال (قوله فقد حرم الله عليه الجنة) أى يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (قوله لظلم عظيم) لأنه تسوية بين من

كما ان التوحيد أعدل العدل وقد حرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له فى الآخرة دعوة أو يقبل له فيها عبرة فان المشرك أجهل الجاهلين حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه والشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا صفاته ولا فى أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك ومنه شرك فرعون اذ قال ومارب العالمين وقال ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ولكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد وثانيهما شرك من جعل معه الها آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها

لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه (قوله اذ قال) لما سمع جواب ماطعن به فيه معترضا على دعوى موسى فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قوله صرحا) بناء عاليا مكشوفا من صرح الشئ اذا ظهر (قوله الأسباب) الطرق (قوله كاذبا) فى دعوى الرسالة قال القاضى البيضاوى ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله تعالى اياه أوان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه انتهى (قوله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد الخ) ومنه شرك ملاحدة الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال واستناد الحوادث باسرها الى العقول والنفوس ومنه أيضا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وصفاته من غلاة الجهمية والقرامطة فانهم لم يثبتوا له تعالى اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه اذ كمال الذات باسمائها وصفاتها (قوله كشرك النصارى) القائلين بالأقانيم الثلاثة (قوله وحوادث الشر الى الظلمة) ومن هذا شرك الذى حاج ابراهيم فى ربه اذ قال له ابراهيم ربى

مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركى الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الأدنى يقربه الى المعبود الذى هو فوقه والفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه الآلهة الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل ثم قال بعد ان فصل الرياء وانه شرك فى العبادة لكنه مغفور وأما الشرك الأكبر فى العبادة الغير المغفور فمنه الشرك بالله فى المحبة والتعظيم أى يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا الشرك الذى لا يغفره الله وهو الشرك الذى قال الله سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وقال أصحاب الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم كما حكى الله عنهم سبحانه بقوله عز من قائل تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه فى الخلق والرزق والاماتة

الذى يحيى و يميت قال أنا أحيى وأميت فقد جعل نفسه ندا لله يحيى و يميت بزعمه فالزمه ابراهيم ان طرد قولك ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التى يأتى الله بها منها وليس هذا انتقالا كما زعم بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل (قوله مشركى الصابئة) قالوا الكواكب المتحركة بحركات الأفلاك هى المدبرات أمرا فى عالمنا هذا الدوران الحوادث السفلية والتدبيرات الواقعة فى جوف فلك القمر وجودا وعدما مع مواضعها أى مواضع الكواكب فى البروج وأوضاعها بعضها الى بعض والى السفليات وأظهرها ما نشاهده من اختلاف الفصول الأربعة وتأثير الطوالع فى المواليد بالنحوسة والسعادة والجواب ان الدوران لا يفيد العلة سيما اذا تحقق التخلف كما فى توأمين أحدهما فى غاية السعادة والآخر فى غاية الشقاوة ولا يمكن ان يعلل بذلك على ما بينهما من التفاوت فى وقت الولادة لأن التفاوت بقدر درجة واحدة لا يوجب تغيير الأحكام عندهم باتفاق فيما بينهم سيما اذا قام البرهان على نقيضه فان البراهين العقلية والنقلية شاهدة بان لا مؤثر فى الوجود الا الله على ان ما ذكروه من الأحكام غير ثابت على مقتضى قواعدهم كما هو مبين فى موضعه (قوله وغيرهم) كالمنجمين (قوله أندادا) أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله (قوله يحبونهم) يطيعونهم (قوله كحب الله) كتعظيمه والميل الى طاعته أى يسوون بينه و بينهم فى المحبة والطاعة (قوله أشد حبا لله) لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد و يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره (قوله بقوله عز من قائل) وهم فيها يختصمون

والاحياء والملك والقدرة وانما ساووهم فى الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوّى التراب برب الأرباب وكيف يسوّى العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوّى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذى ليس له من ذاته الا العدم بالغنى بالذات القادر بالذات الذى غناؤه وقدرته وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فأى ظلم أقبح من هذا وأى حكم أشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض فيا له من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه ويتبع هذا الشرك به سبحانه فى الأفعال والأقوال والارادات والنيات فالشرك فى الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود على وجه العبادة التى هى غاية الحب مع غاية الذل ثم أطال فى ذلك وأورد الأحاديث الواردة فى النهى عن اتخاذ القبور مساجد الى أن قال وقال صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فهذا حال من سجد لله فى مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حماية حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين وسد الذريعة ان منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين سجد المشركون فيهما للشمس وأما السجود لغير الله فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لأحد ان يسجد لأحد الا لله ولا ينبغى فى كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هى غاية الامتناع شرعا

(قوله والقدرة) اذ هم مقرون بان الله وحده خالق كل شئ وربه ومليكه وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تميت ولا تحيى (قوله والتذلل) كما هو حال أكثر مشركى العالم بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من حب الله ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ويغضبون لمنتقص آلهتهم أو معبودهم أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين (قوله رب) أى مالك (قوله الأرباب) جمع رب بمعنى المالك أى كيف يسوى التراب الحقير بمالك المالكين على الاطلاق (قوله وجعل الظلمات والنور) أنشأهما ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك (قوله وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره)

كقوله

كقوله تعالى وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا وقوله تعالى وماعلمناه الشعر وماينبغى له وقوله تعالى وماتنزلت به الشياطين وماينبغى لهم وقوله تعالى عن الملائكة ما كان ينبغى لناأن نتخذ من دونك من أولياء ثم فصل الشرك فى الأقوال وأتى بالشركين الأكبر والأصغر فمن الأكبر الحلف بغيرالله تعظيما واجلالا وعليه حملت الأحاديث كحديث أحمد وأبى داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغيرالله فقد أشرك صححه الحاكم ثم قال فالسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله سبحانه لايصلح ولاينبغى لسواه من ملك مقرب ولانبى مرسل وفى مسند الامام أحمد ان رجلا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم انى أتوب اليك ولاأتوب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال عرف الحق لأهله ثم انه ذكر الشرك الأصغر الواقع فى الارادات والنيات ثم قال وحقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه بالحقيقة وقد عكس من نكس الله قلبه فجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق فى خصائص الالهية المتفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لايملك لنفسه ضرا ولانفعا ولاحياة ولانشورا فضلا عن غيره شبيها بمن له الأمر كله فأزمة الأمور كلها بيديه سبحانه ومرجعها اليه فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لامانع لما أعطى ولامعطى لما منع بل اذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد وان أمسكها عنه لم يرسلها اليه أحد فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغنى بالذات ولما كان له سبحانه الكمال المطلق من جميع الوجوه وكان من خصائص ألوهيته أوجب العبادة كلها له وحده فالتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده

ولايتعبد بحلق الرأس الا فى النسك لله خاصة (قوله وماينبغى للرحمن الخ) أى لايليق به اتخاذ الولد (قوله وماينبغى له) أى ولايصح له الشعر ولايتأتى له (قوله وماينبغى لهم) أى لايصح لهم (قوله ما كان ينبغى لنا) أى لايجوز لنا (قوله ان نتخذ من دونك أولياء) اذ اتخاذ الولد ممتنع عليه تعالى غاية الامتناع وكذا تنزل الشياطين وقرض النبى الشعر واتخاذ الملائكة من دونه أولياء فدلت هذه الآيات المذكورة على ان لاينبغى اذا وقعت فى كلام الله ورسوله باى معنى فسرت بكون المراد منها غاية الامتناع كما ذكر (قوله عرف الحق لأهله) فالتوبة عبادة لاتنبغى الا لله كالسجود والصيام (قوله لم يرسلها اليه أحد) كما قال تعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون

ويمنع الغير التشبيه بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ثم قال وههنا أصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو ان أعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يخالف أسماءه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال لمن أنكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم انه قال لقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين أى فما ظنكم أن يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم حتى عبدتم معه غيره وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو أهله من انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غنى عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على خلقه وانه المنفرد بتدبير خلقه لا شريك له فيه والعالم بتفاصيل الأمور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافى لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج فى رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فانهم محتاجون الى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وقصور علمهم فأما القادر على كل شيء الغنى بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده وقبحه

الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته (قوله ظن السوء) من الأمور الزائغة (قوله عليهم دائرة السوء) أى دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم والدائرة فى الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمى به ما ذكرنا والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه للمبالغة (قوله وساءت مصيرا) جهنم (قوله صفة) وهى العلم وقوله وذلكم ظنكم اشارة الى ظنهم المذكور فى صدر هذه الآية ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (قوله فاصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا للشقاء المنزلين (قوله تريدون) أى تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لأن الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى أمرهم على الافك (قوله وقد عبدتم غيره) وهو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين (قوله عليم) أى عالم بجميع الاشياء (قوله قدير) أى مقتدر (قوله فقير) أى محتاج (قوله بالقسط) بالعدل (قوله الى معين) أو وزير أو ظهير يدبر أمر

مستقر

مستقر فى العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده ومتأله له خاضع ذليل له
والرب تعالى وحده هو الذى يستحق كل التعظيم والاجلال والتأله والخضوع والذل وهذا خالص حقه
فمن أقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره أو يشرك بينه وبينه فيه ولاسيما اذا كان الذى جعله شريكه فى حقه
هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أى اذا كان أحدكم يأنف ان يكون مملوكه
شريكه فى رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فما قدرنى حق قدرى ولا عظمنى حق
تعظيمى ولا أفردنى بما أنا منفرد به وحدى دون خلقى فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره كما قال
تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى
عزيز فما قدر الله حق قدره من عبد معه ما لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره وان سلب
الذباب شيأ مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا

العالم معه (قوله فوق كل قبيح) فالشرك ملزوم لتنقيص الرب سبحانه والنقص لازم له ضرورة
شاء المشرك أو أبى ولذلك اقتضى كمال ربوبيته سبحانه ان لا يغفره ويجعله أشقى البرية فلا تجد
مشركا قط الا وهو منتقص لله سبحانه وان زعم انه معظم له بذلك (قوله من أنفسكم) منتزعا
من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم (قوله مما ملكت أيمانكم) من مماليككم (قوله
فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (قوله فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه سواء
يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معادة لكم (قوله كخيفتكم أنفسكم) كما
يخاف الاحرار بعضهم من بعض (قوله له) للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر (قوله من دون
الله) يعنى الاصنام (قوله ذبابا) وهو من الذب لانه يذب وجمعه أذبة وذبان (قوله ولو
اجتمعوا له) أى لا يقدرون على خلقه ولو كانوا مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين (قوله لا يستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات
كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها بما قيل هو أعجز الاشياء (قوله ما قدروا الله حق قدره)
ما عرفوه حق معرفته (قوله لقوى) على خلق الممكنات باسرها (قوله عزيز) لا يغلبه شئ
وآلهتهم التى يدعونها عاجزة لا تقدر على شئ (قوله وأصغره) ولو اجتمعوا له (قوله على
استنقاذه منه) قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فيأكله (قوله وما قدروا الله حق قدره) أى ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه
حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ثم قال وهل قدره حق قدره من شارك بينه و بين عدوه فى محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فلو جعل له أقرب الخلق اليه شريكا فى ذلك لكان جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا بينه و بين غيره فيما لا ينبغى ولا يصلح الا له سبحانه فكيف اذا أشرك بينه و بين أبغض الخلق اليه وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم فى نفس الأمر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته و يوهمه انه ملك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهى التى تخاطبهم وتقضى حوائجهم ولهذا اذا اطلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه عليهما السلام لم يعبدوهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من أمر بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فما عبد أحد من بنى آدم غير الله كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود فى حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له واشراكه

(قوله بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام وفيه دلالة على ان تخريب العالم أهون شئ عليه (قوله عما يشركون) أى مايضاف اليه من شركاء (قوله الا الشيطان) لانه الآمر بها والمزين لها (قوله ان لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال تقريبا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره (قوله انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (قوله هذا صراط مستقيم) اشارة الى ما عهد اليهم أو الى عبادته (قوله جميعا) المستكبرين والمستضعفين (قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناعا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا و بينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل الخ (قوله الجن) أى الشياطين (قوله أكثرهم) أى الجن (قوله انه ملك) فيعبده

مع الله الذى هو غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس أى من اغوائهم واضلالهم وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض و بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى السر الذى لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وانه لايغفر بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود فى العذاب وانه ليس تحريمه وقبحه لمجرد نهيه عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع لعباده الها غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والجلال أن يأذن فى مشاركته فى ذلك أو يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى ماقاله كيف وقد أجمع جميع المسلمين على ان جميع الرسل أرسلوا بتوحيد العبادة ناهين عن الشرك حتى ان الملا جلال مع توغله فى علوم الفلاسفة قال فى شرحه للعقائد العضدية مانصه واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب الوجود أو بحصر الخالقية أو بحصر المعبودية ثم بعد ان فصل التوحيدين الأولين قال والثالث وهو حصر المعبودية وهو ان لايشرك بعبادة ربه أحدا فقد دل عليه الدلائل السمعية وانعقد عليه اجماع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وكلهم دعوا المكلفين

(قوله ويوم نحشرهم) نصب باضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين (قوله يامعشر الجن) الشياطين (قوله واضلالهم) الذين أطاعوهم (قوله من الانس) أومنهم (قوله استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (قوله الذى أجلت لنا) أى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قوله الا ماشاء الله) الاوقات التى تنقلون فيها من النار الى الزمهرير (قوله حكيم) فى أفعاله (قوله اما بحصر وجوب الوجود) وقد أشار الى دليله فى نفى المثل قال وقد يستدل عليه بأنه لو تعدد الواجب لكان مجموعهما ممكنا لاحتياجه الى كل منهما فلا بد له من علة فاعلية مستقلة وتلك العلة لاتكون نفس المجموع ولا أحدهما ولا غيرهما أما الاول فلاستحالة كون الشئ فاعلا لنفسه وأما الثانى والثالث فلامتناع كون الواحد معلولا لغيره اه (قوله انتهى) قد يتوهم منه ان المعتقد لاحدها فقط مؤمن موحد وليس كذلك اذ مالم يعتقد الثلاثة لايكون موحدا و يدفع بان هذا مبنى على استلزام كل واحد منها للآخرين أما استلزام المعلول للعلة أو العلة للمعلول أو كلاهما والاول بالنظر الى الثالث والثانى بالنظر الى الاول والثالث بالنظر الى الثانى فعدم اعتقاد الثلاثة عند اعتقاد واحد منها انما هو عناد محض (قوله أو بحصر الخالقية) وقد أشار اليه فى قوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

أولا الى هذا التوحيد ونهوهم عن الاشراك فى العبادة قال تعالى أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون انتهى وقال بعضهم أصل دين الله الذى بعث به رسله أمران الأول توحيده والقيام بعبادته له وحده لاشريك له واخلاصها بأنواعها الجلاله وعظمته وقد حرض الله على ذلك وطلب الموالاة فيه وكفر تاركيه الثانى النهى عن الشرك والانذار عنه والتغليظ فيه والمعاداة به وتكفير من فعله والبراءة منه وعدم مودته وموالاته من دون المؤمنين وان كان قريبا قال الله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده والمخالفة فى هذين الأصلين أنواع أشدها المخالفة فى كليهما والخلق قد افترقوا فيهما فرقا فمنهم من عبد الله وحده لكنه لم ينكر الشرك وهو يعرفه ومنهم من أشرك ولم ينكر التوحيد ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله بل والاهم من دون المؤمنين أوجعل رتبتهم كرتبة أهل التوحيد محتجا بأن الكل خلق الله ومنهم من عاداهم لدنيا أوعصبية لالشركهم فلم يكفرهم ولم يعب عليهم فيه ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وانما هو فيه تابع غيره سمعت الناس يقولون شيأ فقلته ومنهم من أنكره ولم يعاد أهله ومنهم من عاداهم لمخالفتهم أهل الاهواء المتبع لهم مع عدم شعوره ولم يكفرهم ومنهم من كفرهم وأنكر التوحيد بعد ان عرفه وسبه وأهله ومنهم من لم ينكره لكنه كفر أهله الآمرين به والناهين عن ضده ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه لعدم تمييزه عن ضده ومنهم من لم يعرف الشرك من أصله فلم ينكره وفعله ومنهم من لم يعرف التوحيد وأنواع العبادات فلم يقل به مؤديا حقه ومنهم من قال بلسانه ولم يعمل به ولم يعرف معناه ولاقدره فى قلبه فلم يعاد أهل الشرك ولم يكفرهم فهذه ثلاث عشرة فرقة كلها قد خالفت ماجاءت به الرسل من دين الله وتوحيده وأشدهم مخالفة من عرف توحيد الله ودينه فانكره وكفر أهله ثم من عرفه ولم ينكر لكنه كفر أهله وعاداهم ثم من قال التوحيد بلسانه ولم يعمل به فى اعتقاده ولا يعرفه ولا يسأل عنه أهل المعرفة بل تسافه عنه مستغنيا برأيه ثم من جعل رتبة أهل الشرك كرتبة أهل التوحيد فهذا من أعظم الجور والبهتان حيث جعل المشركين فى رتبة الموحدين أم حسب الذين اجترحوا السيآات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون

وقد مر لك مايغنيك عن كلامه (قوله والله خلقكم وماتعملون) أى لاتعبدون الاصنام التى تنحتون فانكم وماتعبدون مخلوق لله تعالى فالله الخالق هو الحقيق للعبودية وان لايشرك بعبادته أحد وفى هذه الآية دلالة على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قوله اجترحوا) الاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (قوله ان نجعلهم) نصيرهم (قوله سواء محياهم ومماتهم) المعنى انكار حياتهم ومماتهم سيان فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين (قوله ساء مايحكمون) أى

ثم الباقي سواء في المخالفة انتهى فما قاله كلام حسن من حيث ان الموالاة لا تتم الا بالتبري والمعاداة
وكيف يتم للمؤمن التوحيد وهو مطمئن بالشرك منبسط الى أهله فارغ قلبه عن الانزعاج ولو
حل في محله تالله لا يكون هذا الا من لم يدخل التوحيد فؤاده فلذا لم يقدره قدره بل تابع فيه هواه
ومراده وهذا الذي نقلناه هو خلاصة ما وجدناه والكل متظافرون على ان من عبد غير الله معه
فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر ولكنه موقوف على النظر في أنواع العبادات وخاصة الطاعات
فمن رزق التوفيق واطمأن للتصديق هان الأمر عليه وحصل ماساقه الله بمنه اليه قال الحليمي جاء
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها
اماطة الأذى عن الطريق قد سبق ان التوحيد بالقلب واللسان شئ واحد في الحقيقة وكل منهما محله
أو آلته والاشارة بشهادة أن لا اله الا الله في الحديث الى التوحيد بهما قال الله تعلى فاعلم أنه لا اله الا الله
وقال أيضا فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فلا يتم الايمان الا بمجموعهما كما مر ولا بد للمؤمن من اثبات خمسة أشياء أي
اعتقاد ثبوتها مع التلفظ بالشهادة وجود البارى تعالى ليبرأ به من التعطيل ووحدانيته ليبرأ بها من
الشرك وتنزيهه عن كونه جوهرا أو عرضا وعن لوازم كل منهما ليبرأ به من التشبيه وابداعه تعالى
باختياره لكل ما سواه ليبرأ به عن القول بالعلة والمعلول وتدبيره تعالى لجميع مبدعاته على ما يشاء ليبرأ
به عن القول بتدبير الطبائع أو الكواكب أو الملائكة وقول لا اله الا الله يدل على الخمسة اما دلالته على
وجود البارى ووحدانيته فواضحة ودل على التنزيه بدلالته على الالهية المستلزمة لنفي التشبيه اذ لو
شابه شيأ من خلقه بوجه ما لجاز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه وجواز ذلك ينافي استحقاق
اسم الاله ودل على الابداع بالارادة والاختيار اذ لا يكفي في الالهية مجرد السببية والعلية دون الفعل
بالاختيار ولا فعل آخر سوى الابداع مثل التركيب والنظم والتصوير لثبوت السببية في الجملة للابوين

ساء حكمهم هذا و بئس شيأ حكموا به ذلك (قوله قال الحليمي) في المنهاج (قوله قد سبق)
في باب البيان عن حقيقة الايمان في الكتاب (قوله واحد في الحقيقة) فلا يصح أحدهما دون
الآخر (قوله وكل منهما محله أو آلته) فانه قال هناك واعلم ان الايمان بالله ورسوله ينقسم الى
خفي وهو الواقع بالقلب و يسمى اعتقادا والى جلي وهو الواقع باللسان و يسمى شهادة ثم قال وكل
من القلب واللسان محل التوحيد الى آخر ما ذكره (قوله فاعلم الخ) الخطاب للنبي والمراد به غيره
(قوله وأما الكفر الذي هو ضد الايمان أو عدمه) فقد ظهر ان الكافر اسم لمن لا ايمان له فان
أظهر الايمان خص باسم المنافق وان طرأ كفره بعد الاسلام خص باسم المرتد وان كان بالهين أو
أكثر خص باسم المشرك لاثبات الشريك في الالوهية وان كان متدينا ببعض الاديان والكتب

والعلية لنحو النار وصدور التأليف والتصوير من مثل الصانع والنجار مع عدم استحقاق اسم الاله واذا دل على الابداع فقد دل على التدبير ضرورة كون الايجاد من جملة التدبير وتدبير الموجود يكون اما باتقانه أو احداث اعراض فيه أو اعدامه بعد ايجاده وكل ذلك ابداع فمن أراد التدين بدين الحق وأطلق لسانه بكلمة الشهادة جمعت له هذه الأصول الخمسة على سبيل الاجمال ويكفيه ذلك فى التوحيد مالم يخطر بقلبه عند التفصيل شئ يخالف هذه الجملة فان خطر احتاج ان يعتقد الحق فيه مفصلا ولم ينفعه الاجمال مع دخول الشبهة عليه فى التفصيل انتهى هذا حاصل ماقيل فى الشرك الأكبر بأنواعه * وأما الكفر الذى هو ضد الايمان أو عدمه فانه يعرف بمعرفة ضده اذ بضدها تتبين الأشياء وحيث علمت مافصلناه قبل هذا فى مبحث الايمان وانه التصديق بأمور معلومة مشروطا بالمعرفة والاستسلام وانه يمكن ثبوت التصديق لغة بدونهما وان هذا الثبوت يمكن مجامعة الكفر له اذلا مانع عقلا ان يصدق جبار نبيا و يقتله لنحو حق أو غلبة هوى فقتله لا يدل على انتفاء التصديق له من أصله كما ظنه بعض الأئمة بل على ان ماعنده من التصديق غير منج له شرعا من الخلود فى النار والحاصل ان الله سبحانه وتعالى رتب على التلبس بالايمان لازما لا يتخلف عنه وهو سعادة الأبد وعلى ضده شقاوة الأبد وهى لازم الكفر وان اعتبر فى ترتب لازم الايمان وجود أمور بعدمها يترتب لازم الكفر فمنها تعظيمه سبحانه وتعالى وتعظيم نحو أنبيائه وترك السجود لنحو صنم والاستسلام باطنا بقبول أوامره ونواهيه الذى هو معنى الاسلام لغة ومن ثم اتفق أهل الحق على انه لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه وانه لا انفكاك بينهما فعلم انه باختلال كل واحد ينتفى لازم الايمان لكن الحنفية أشد مبالغة فى رعاية ذلك التعظيم فكفروا بألفاظ وأفعال كثيرة نظرا منهم الى أنها تدل على الاستخفاف بالدين كتعمد الصلاة بغير وضوء وأمثال ذلك والمتأخرون منهم أكثروا من المكفرات مع انهم يقولون بانفساخ عقد الزوجية ممن ارتد وحبوط عمله كما نقل عن أبى حنيفة رضى

المنسوخة خص باسم الكتابى وان كان يقول بقدم الدهر واستناد الحوادث اليه خص باسم الدهرى وان كان لا يثبت البارى تعالى أو صفاته خص باسم المعطل وان كان مع اعترافه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم واظهاره شعائر الاسلام يبطن عقائد هى كفر باتفاق خص باسم الزنديق (قوله أكثروا من المكفرات) قلت لكن ذكر المحققون من متأخريهم انه لا يفتى بالكفر بشئ من المكفرات التى ذكروها فى فتاويهم الا اذا كان متفقا عليه حتى ان صاحب البحر قال ألزمت نفسى ان لا أفتى بشئ منها قال فى التنوير ولا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان فى كفره خلاف ولو رواية ضعيفة انتهى ومثله فى البحر والاشباه معزوا الى الصغرى وفى الدرر وغيرها اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتى الميل لما يمنعه ثم لو نيته ذلك فمسلم والا لم

الله عنه والشافعية وان وافقوهم فى احباط الثواب لأعماله السابقة على ردته لكنهم لا يوجبون عليه قضاءها وقد استقصى العلامة ابن حجر المكى جميع ما قاله علماء المذاهب الأربعة فى المكفرات ونقحها فى كتابه الاعلام بقواطع الاسلام فعليك به ولأذكر فى هذا طرفا ملخصا من كتب الأئمة الشافعية ليقف عليه من يريد الاستبراء لدينه فان الواجب على كل مسلم ان يحتاط فى هذا الباب الضيق الشديد الحرج فى الدنيا والآخرة بل لأشد منه فى جميع شؤنه خشية ان يقع فى شئ من المكفرات التى قالته جميع أئمة المذاهب ويبقى كافرا فتبين زوجته ويحبط عمله ولا يخرج عنه الا بالتوبة الصحيحة المستجمعة لشروطها من الندم والاقلاع والعزم المصمم على الترك فى الاستقبال والبراءة عما فعل أو نوى أو قال ولو التفت أدنى التفات الى ما عليه الناس فى هذا الزمان لوجدتهم الى أمثال ما أقول لا يلتفتون ولا بمثل ذلك يعبؤن فكانهم بالدين يستهزؤن ولو ذكرت لهم شيأ من ذلك صار عندهم من أنكر المناكر قد فرحوا بما عندهم من الجهل وخبث السرائر فكانهم للدنيا خلقوا فهم بها فى جميع أحوالهم يعملون وعلى دقائق شؤنها بأفكارهم يغوصون وبالمتاعب وتحمل المشاق فيها الى الموت يترددون لبئس ما كانوا يصنعون أخلقوا الالشئ أم هم الخالدون تالله انهم على جميع ما يفعلونه محاسبون فمن الكفر الموجب للارتداد ان ينوى الكفر أو يعزم عليه أو يقوله سواء قاله استهزاء أو عنادا أو اعتقادا أو يفعله ومنه نفى الصانع وتعطيله عن كماله المقدس بنفى صفاته أو أسمائه أو أفعاله المختصة بجلاله وتكذيب الرسل أو بعضهم أو احتقار أحدهم أو الاستهزاء بشرائعهم أو تحليل

ينفعه حل المفتى على خلافه قلت فاذا علمت ذلك تبين عندك ان الحنفية كالشافعية لا يفتون بالكفر الا اذا كان محققا مجمعا عليه (قوله ان ينوى الكفر) حالا أو مآلا فيكفر بنيته حالا (قوله أو يعزم عليه) فى زمن بعيد أو قريب (قوله استهزاء) كان قيل له قص أظفارك فانه سنة فقال لا أفعل وان كان سنة وأمثال ذلك (قوله أو عنادا) بان عرف بباطنه انه الحق وأبى ان يقر به (قوله أو يفعله) كالسجود للصنم أو للشمس سواء كان فى دار الحرب أو دار الاسلام (قوله بنفى صفاته الخ) فان قلت المعتزلة ينكرون الصفات ولم تكفروهم قلت هم لا ينكرون أصلها وانما ينكرون زيادتها على الذات حذرا من تعدد القدماء فيقولون انه تعالى عالم بذاته قادر بذاته وهكذا والجواب عن شبهتهم المذكورة ان المحذور تعدد ذوات قدماء لا تعدد صفات قائمة بذات واحدة قديمة (قوله وتكذيب الرسل الخ) أو نسبة تعمد الكذب اليهم أو محاربة أحدهم أو سبه ومثل ذلك كما قال الحليمى مالو تمنى فى وقت نبى من الأنبياء انه هو النبى دون ذلك النبى أو فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده ان لو كان نبيا وانه صلى الله عليه وسلم لم تكن النبوة به فيكفر فى جميع ذلك والظاهر انه لا فرق بين تمنى ذلك باللسان أو القلب ومن ذلك جحد جواز بعثة الرسل أو انكار

ما أجمع على تحريمه وتحريم ما أجمع على تحليله ولو تردد فى انه يكفر غدا كفر فى الحال والفعل المكفر ما تعمده مستهزئا بالدين أو جحودا له كالقاء مصحف بقاذورة وكذا ما فيه شئ من اسم معظم أو حديث أو علم شرعى أو سجود لصنم أو شمس أو مخلوق أو غير ذلك وسحر فيه عبادة كوكب لانه بفعله هذا أثبت لله شريكا ومن أنواع الكفران يعلقه بالقلب أو اللسان على شئ ولو محالا واعتقاد قدم العالم ولو بالنوع كفر وكذا الوفعل فعلا أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان مصرحا بالاسلام كالمشى الى الكنائس مع أهلها بزيهم أو يشك فى نبوة نبى أجمع على نبوته أو فى انزال كتاب كذلك أو قال عن نبينا ما يفيد أدنى تنقص كقوله انه كان أسود أو مات قبل أن يلتحى أو ليس بقرشى أو بعربى أو انسى وكذا بجميع الأنبياء وكذا ما يفيد استخفافا بهم أو بشئ من أفعالهم كلحس الأصابع مثلا أو يلحق نبينا نقصا فى نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك أو يشبهه على طريق التصغير لشأنه أو ينسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عير بشئ مما جرى عليه من البلاء والمحن فكل ذلك كفر اجماعا وفى قبول توبته خلاف وقد قتل خالد بن الوليد رضى الله عنه من قال له عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم

نبوة نبى من الأنبياء المتفق على نبوتهم لا كالخضر وخالد بن سنان ولقمان وغيرهم وكانكار ذلك الشك فيه (قوله ما أجمع على تحريمه) كالزنا واللواط وشرب الخمر (قوله ما أجمع على تحليله) كالبيع والنكاح (قوله كفر فى الحال) لمنافاته للاسلام (قوله أو مستهزئا بالدين) أو عنادا له (قوله كالقاء مصحف) أو نحوه مما فيه شئ من القرآن بل أو اسم معظم أو من الحديث بل كل ورقة فيها شئ من ذلك سواء كتب القرآن للدراسة أو غيرها قال الرويانى أو من العلم الشرعى وقوله بقاذورة أى سواء كان القذر نجسا أم طاهرا كمخاط وبصاق ومنى (قوله أو علم شرعى) قال ابن حجر فى الاعلام وهل مراد الرويانى بالعلوم الشرعية الحديث والتفسير والفقه وآلاتها كالنحو وغيره وان لم يكن فيها آثار السلف أو يختص بالحديث والتفسير والفقه الظاهر الاطلاق وان كان بعيد المدرك فى ورقة من كتاب نحو مثلا ليس فيها اسم معظم (قوله بزيهم) فلو شد الزنار على وسطه كفر واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوسى على رأسه والصحيح انه يكفر ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقيل هذا زنار فالأكثرون على انه يكفر ولو شد على وسطه زنارا ودخل دار الحرب لتجارة كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر (قوله أو أنسى) أو قال انه جن أو صغر عضوا من أعضائه على طريق الاهانة (قوله وكذا ما يفيد استخفافا بهم أو بشئ من أفعالهم) فلا يشك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام (قوله من قال له الخ) القائل هو مالك بن نويرة

وعد

وعد هذه الكلمة تنقيصا له وكذلك ما لو رضي بالكفر ولو ضمنا كان يشير الى كافر بأن لا يسلم أو يقول له لقنى كلمة الشهادة فيؤخره بخلاف الدعاء بنحو لا رزقه الله الايمان أو ثبته الله على الكفر اذ قد جرت العادة باستعمال ذلك لأجل التشديد للامر عليه لا الرضى به فان كان مراده ذلك لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكى فى زواجره وقال فيها ومن الكفر سؤال الكفر لغيره لانه رضى به أو يقول لمسلم يا كافر بلا تأويل لانه سمى الاسلام كفرا ومن قال لغيره عنادا واستخفافا لو أعطانى الله الجنة ما دخلتها وأمثال هذه مما يدل على الاستخفاف بأمره أو نهيه أو وعده أو وعيده سبحانه كفر أو قال لو يؤ آخذنى بترك الصلاة مع ما أنا فيه من الشدة والمرض ظلمنى ولو قال ظالم لمظلومه القائل هذا بتقدير الله انا أفعل بغير تقدير الله أو قال لو شهد عندى ملك ما صدقته أو لو كان فلان نبيا ما صدقته أو ما آمنت به أو قال قصعة من ثريد خير من العلم أو قال لله أخذت ولدى فأى شئ بقى لم تفعله أو قال أنا الله ولو مازحا أو قال مستخفا شبعت من القرآن أو قال أى شئ هذا الشرع وقصد الاستخفاف أو تشبه

(قوله وعد هذه الكلمة تنقيصا له) وذلك كما روى ان مالك بن نويرة عرض على خالد الصلاة دون الزكاة فقال خالد لا نقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك كذلك كان يقول صاحبك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجادلا فى الكلام فقال خالد انى قاتلك قال أو كذلك أمر صاحبك قال خالد وهذه ثانية بعد تلك والله لأقتلنك فقال عبد الله بن عمر وأبو قتادة فى استبقائه فابى فقال له مالك فابعثنى الى أبى بكر فيكون الذى يحكم فى فقال خالد يا ضرار قم فاضرب عنقه فقام فضرب عنقه (قوله بان لا يسلم) وان لم يكن طالبا للاسلام فيما يظهر وهل اذا كان ذلك الكافر عدوه فاشار عليه بما يكرهه وهو الكفر ويمنعه عما يحبه وهو الاسلام يكفر بذلك أم لا الذى يظهر من كلامهم انه يكفر بذلك وان قصد ما ذكر لأنه كان متسببا فى بقائه على الكفر (قوله فيؤخره) أو يقول له اصبر حتى أفرغ من شغلى أو يشير على مسلم بانه يرتد وان كان مريدا للردة أو يكرهه على الكفر على الأصح (قوله بخلاف الدعاء) لكافر (قوله أو ثبته الله على الكفر) أو قال لمسلم يسلبه الله الايمان فانه لا يكون كفرا على الأصح (قوله للامر عليه) والعقوبة عليه (قوله لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكى) ومحل ذلك ما اذا لم يذكر ذلك رضى بالكفر والا كفر مطلقا (قوله أو يقول لمسلم يا كافر) فقد صح انه قال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها وقوله بلا تأويل فان أول بان أراد كفر النعمة أو الاحسان فلا كفر وهو الأصح (قوله ما دخلتها) أما اذا لم يكن ما قاله على جهة العناد والاستخفاف فعند الرافعى انه يكفر وعند النووى لا يكفر (قوله أو قال لو يؤاخذنى الى قوله ظلمنى) أى جوابا لمن قال له لا تترك الصلاة فان الله يؤاخذك (قوله ما صدقته) كفر وهل قوله لو شهد عندى جميع المسلمين ما صدقتهم كذلك أولا قال ابن حجر

بالعلماء أو الوعاظ بحضرة جماعة استخفافا ليضحكهم وكذا كل قول كفر أراد به الضحك واللعب استخفافا بالدين أو قال اذا ظهرت الربوبية زالت العبودية أو انه فنى عن صفات الناسوتية الى اللاهوتية أو ان صفاته تبدلت بصفات الحق أو انه يرى الله عيانا فى الدنيا أو يكلمه شفاها أو قال لغيره دع العبادات الظاهرة الشأن فى عمل الاسرار أو قال سماع الغناء من الدين أو انه يؤثر فى القلب أكثر من القرآن أو العبد يصل الى الله تعالى من غير طريق العبودية قال الغزالى من زعم ان له مع الله حالا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو الخمر وجب قتله وان كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر انتهى وبالجملة فكل ما أوجب هضما لحقوق الربوبية أو لخواص الألوهية أو لتوقير الرسل والشرائع أو لأركان الدين كان كفرا والواجب على المسلم اعطاء كل ذى حق حقه فتى نقص من حق الرسل وشرائعهم منتقصا على وجه يفيد ذلك فهو كافر أو زاد فى حقوقهم فغلا فى محبتهم فأعطاهم بقلبه أو لسانه ما ليس لهم من خواص الألوهية المختصة برب الأرض والسموات وبارئ المسموكات كان مشركا ثم انه يكون فيه من الكفر أو الشرك على حسب ما صحبه من هذا الاعتقاد الموجب للفساد فان أعطى كل ذى حق حقه وسلك الطريق القويم ناظرا بعين بصيرته حواليه وفوقه كان مسلما موحدا واماما مسددا وهذا بعض مما اختصرناه وفى هذه العجالة وضعناه والمقصد الآن التنبيه لا الاستيعاب والاتيان بما استطردناه فى هذا الباب والله سبحانه هو الموفق والملهم للصواب

﴿الباب الثامن فى بيان الشرك الأصغر وأنواعه﴾

اعلم ان من الشرك الأصغر الرياء وهو أشهر أنواعه وسمى أصغر لكونه غير موجب للخلود فى النار

الذى يظهر نعم لما مر من ان الشرع دل على عصمتهم من الاتفاق على الكذب (قوله زالت العبودية) وعنى بذلك رفع الأحكام (قوله شفاها) أو قال ان الحق يطعمه ويسقيه وأسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام أو انه يأكل من الغيب ويأخذ منه (قوله فى عمل الاسرار) أو قال الروح نور الله فاذا اتصل النور بالنور اتحد (قوله انتهى) نقله ابن حجر فى شرح المنهاج (قوله بما استطردناه فى هذا الباب) فان قلت قسم الشرك الى أكبر وأصغر ولم يقسم الكفر مع انه مثله قلت لما كان مقصوده فى هذا الكتاب ذكر الشرك أطنب فى تفصيله واما الكفر فقد ذكره على سبيل الاستطراد لأنه ليس من مقصود هذا الكتاب كما تقدم فى أول الباب ولنذكر نحن القسم الآخر وهو الكفر الاصغر تتميما للفائدة فنقول الكفر نوعان كفر أكبر وكفر أصغر فالكفر الاكبر الموجب للخلود فى النار فهو الذى ذكر والكفر الأصغر وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود كما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح اثنتان فى أمتى هما بهم كفر الطعن فى

وقد

وقد شهد بتحريمه الكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحداً أى لا يرائى بأعماله لانها نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله وروى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء والترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا والترمذى أيضا والحاكم وأبو نعيم الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شئ من الجور أو تبغض على شئ من العدل وأهل الدين الا الحب فى الله والبغض فى الله والمراد بالصفا الحجر الأملس والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا فمن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب الزواجر للامام ابن حجر المكى وقد تطابقت كلمات الأئمة على ذمه وعظيم اثمه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه يطأطئ رقبته ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب وانما

النسب والنياحة وقوله صلى الله عليه وسلم من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا تأويل ابن عباس وعامة أصحابه فى قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وكذلك قال طاوس وقال عطاء هو كفر دون كفر ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحداله وهو تأويل مرجوح فان نفس جحوده كفر سواء حكم أو لم يحكم ومنهم من تأولها على غير ذلك مما هو مذكور فى التفاسير وكلها تأويلات بعيدة والصحيح ان الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأكبر والأصغر بحسب حال الحاكم فانه ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فى هذه الواقعة وعدل عنه معصية مع اعترافه بانه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وان اعتقد انه غير واجب وانه مخير فيه مع تيقنه انه حكم الله تعالى فهذا كفر أكبر وان جهله أو أخطاه فهو مخطئ له حكم المخطئين فالمعاصى كلها نوع من الكفر الأصغر فانها ضد الشكر الذى هو العمل بالطاعة فالسعى اما شكر واما كفر واما ثالث لا من هذا ولا من هذا (قوله وأعماله) كما روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك به فنزلت تصديقا له (قوله الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله قال الرياء وقوله الرياء أى لغلبة داعيه للانسان الا ان عصمه الرحمن (قوله اذهبوا) خطاب للمرائين (قوله تراؤن) أى تراؤنهم بعمل الطاعة فى الدنيا لطلب اقبالهم فخذوا منهم الجزاء (قوله جزاء) هذا الحديث فيه اعلام بحبوط ثواب عمل الصالح بالرياء (قوله أخفى الخ) ولكمال خفائه لا يحس به

الخشوع فى القلب والرياء مأخوذ من الرؤية كما ان السمعة من السماع والرياء المذموم ان يريد العامل بعبادته غير وجه الله بأن يقصد باطلاع الناس عليه نحو جاه أو مال أو محمدة ويكون بأمور فعلية وقولية وهيئة وملبس ومشرب الى غير ذلك من أنواعه التى لا تكاد تحصر كاظهار نحول وصفرة وتشعث شعر وبذاذة هيئة وخفض صوت وغمض جفن واطراق رأس وهدو حركة ولبس صوف ومرقعة ووضع مسبحة واظهار سواك وابقاء غبار عن أثر سجود واظهار حفظ مسائل كثيرة الوقوع وتطويل صلاة واظهار دعاء وذكر ونحوها مما يصير الرياء ديدناله فيتعوده فى خلواته أيضا بعد ان يتكلفه فيها كانه يدعى بلسان حاله انه لم يكن قد أفرد ذلك الرياء فيكون عمله هذا المارائى به تبعا والحاقا والحامل له على ذلك كله طلب الجاه والصيت وعلو القدر حتى تنطلق الألسنة بمدحه وترى كثيرا ممن يتعلم علوما لا طائل تحتها الا مجردان يفهم انه محقق بها عالم بطرقها مع علمه بعدم نفعها وطيش فضلها ثم ان المرائى يتفاوت الاثم عليه بتفاوت ريائه كثرة وقلة فاذا لم يقصد بعبادته غير الرياء فعبادته باطلة عاطلة قد استهزأ فيها بربه فمثله الا كمثل خادم عند ملك بالغ فى خدمته وأظهر النصح له فاطلع الملك انه لم يقصد بخدمته الا الظفر بمملوكته فاذا يكون جزاؤه منه ومن ثم كان عظيم الاثم قبيح الجرم حقيقا بغاية الاقصاء والذم وفيه تلبيس واخداع للخلق لايهامه لهم انه مطيع مخلص لله فما يأخذه منهم أو يعطى له فهو حرام عليه وسحت سيق اليه فان قلت قد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر واذا كان هذا اشراكا فى العبادة وقد مران الشرك فى العبادة شرك أكبر كما فصلته وأطلت الكلام فيه وانه هو القسم الذى أرسل الله سبحانه رسله لأجل هدمه وامحاء حكمه فما الفرق بينهما قلت الشرك الأكبر هو ان يجعل حق الله الخاص به وهو العبادة لغيره كما اذا سجد لغيره مثلا وأما هذا فانه قد عبد ربه وخصه بما اختص به ولكن الرياء صار سببا باعثا على هذا الفعل أو محسنا له غاية

(قوله نحول) النحول بالنون المضمومة والمهملة مصدر نحل من باب نصر أى سقم ومجيئه من باب تعب لغة كما فى المصباح ليدل نحوله على قلة الأكل وعلى شدة الاجتهاد فى العبادة وعلى غلبة خوف الآخرة (قوله وصفرة) ولو باخضار ليدل على سهر الليل وكثرة الحزن فى الدين (قوله وخفض صوت) ليدل كل ذلك أو مجموعه على الصوم وضعف الجوع ووقار الشرع وتحمل مشاق العبادة (قوله ولبس صوف ومرقعة) ليدل على التواضع وكسر النفس وعلى الفقر لله تعالى وعلى الزهد فى زهرات الدنيا (قوله ووضع مسبحة) ليدل على انه ذو اذكار وأوراد (قوله وذكر) أى وكالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشهود الخلق وكاظهار الغضب للمنكرات واظهار الأسف على مقاربة الناس للمعاصى وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل على الحزن القائم بقلبه والخوف من عذاب ربه الى غير ذلك (قوله بمدحه) أو طلب مال أو صرف مذمة يخافها

الامر

الأمر انه نظر الى غيره وهذا التوجه الى ربه قد أطاله وأكمله وأظهر خلوصه وخشوعه لمولاه فلم يكن شركاً أكبر نظراً الى انه قد جعل هذا الحق لربه ولم يجعله لغيره وكيف وان رياءه قد نشأ من هذا التخصيص الذى لولا مخالفته لما أبطنه لكان عين التوحيد الذى ماعليه من مزيد لكنه نشأ منه الشرك الأصغر بواسطة انه عظم قدر المخلوق حتى حمله ذلك التعظيم على ان يعمل لله تعالى أو يطيله أو يحسنه بما يراه ولما كان ذلك المخلوق هو المعظم من وجه كان شركاً لكنه أصغر كما علمت ولا يقدم عليه الامن لعب الشيطان بعقله فأوهمه ان هذا العبد الضعيف الذليل يملك جلب الخير اليه وصرف الصروف عنه أكثر من ملك الله تعالى له فلذلك عدل بوجهه اليه وأقبل يستميل قلبه وذلك من غاية جهله وفرط حمقه وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو الجاه بغير عبادة كان يقصد بزينته الثناء عليه بالنظافة فلا يكون واقعاً فى طريق العبادة بل فى طريق غيرها ومثل ذلك الانفاق على الأغنياء لا على وجه الصدقة بل ليقال انه سخى فليس فى هذا تلبيس فى الدين واستهزاء برب العالمين فيكون ذلك على حسب الارادات فانما الأعمال بالنيات وقد اختلف الغزالى وابن عبد السلام فيمن قصد بعبادته الرياء ورضا الله فقال الغزالى ان غلب باعث الدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالثواب وان تساويا تساقطا فلا ثواب أيضا وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا للاخبار الصحيحة كخبر من عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء هو للذى أشرك وأوله الغزالى على ما اذا استوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح وفى هذا النوع مباحث كثيرة تتفرع عنها فروع غزيرة فى الانعقاد وعدمه فيما اذا افتتح العمل رياء أولوأخلص فى افتتاحه ثم ورد عليه وارد الرياء وهل تجب عليه الاعادة خلاف استوعبه العلامة ابن حجر المكى فى الزواجر وأطال البحث فى تقسيم درجات الرياء وما يتعلق بذلك من متعلقاته فان أردت الوقوف عليه فارجع اليه ولما كان هذا الشرك يصدر ممن يعتقد أن لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع الا الله وانه لا رب سواه ولا اله غيره ولكنه عمل لحظ نفسه تارة ولطلب الرفعة والجاه والمنزلة عند الخلق تارة أخرى فله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب وهذا حال أكثر الناس وهو الشرك الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان فى صحيحه الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل قالوا وكيف ننجو منه يارسول الله قال قل اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم وقل من ينجو من هذا فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيأ غير التقرب اليه فقد أشرك فى ارادته ونيته ويقابل الرياء الاخلاص وهو ان يخلص لله فى أفعاله وأقواله وارادته ونيته وفقنا الله سبحانه لمرضاته آمين قال الامام ابن القيم فى الجواب الكافى ومن الشرك به سبحانه الشرك به فى اللفظ كالحلف بغير الله كما روى الامام أحمد وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد أشرك صححه الحاكم انتهى وقد روى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم قال من كان حالفا فلا يحلف

الا بالله قال المناوى يعنى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته لان فى الحلف تعظيما للمحلوف وحقيقة العظمة لاتكون الا لله قاله لما أدرك عمر يحلف بأبيه والحلف بالمخلوق مكروه كالنبى والكعبة لاقتضاء الحلف غاية تعظيم المحلوف به والعظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره ثم فسر الحديث الأول بأن قال المراد بقوله فقد أشرك أى فعل فعل أهل الشرك أو تشبه بهم اذ كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله أو فقد أشرك فى حلفه من لم يكن له اشراكه فيه على حد جعلا له شركاء فيما آتاهما أو فقد أشرك فى تعظيم الله من لم يكن له أن يعظمه لان الأيمان لا تصلح الا بالله والحالف بغيره معظم غيره بما ليس له فهو يشرك غير الله فى تعظيمه ورجح ابن جبر هذا الأخير ومن هذا التقرير علم ان من زعم ان الخبر ورد على منهج الزجر والتغليظ فقد تكلف انتهى وقال أيضا سئل شيخ الاسلام زكريا عن قوم جرت عادتهم اذا حلفوا أن يقولوا ببركة سيدى فلان على الله هل هم مخطؤن لحلفهم بغير الله تعالى أجاب يكره الحلف المذكور ويمنع منه فان لم يمتنع أدب قصد بعلى الاستعلاء على بابها أم لا انتهى وقال العلامة ابن حجر المكى فى شرح المنهاج الأيمان جمع يمين لانهم كانوا يضعون أيمانهم بعضها ببعض عند الحلف وأصل اليمين القوة فلتقوية الحلف الحث على الوجود أو العدم سمى يمينا ثم قال (لا تنعقد اليمين الا بذات الله تعالى) أى اسم دال عليها وان دل على صفة معها وهى فى اصطلاح المتكلمين الحقيقة والانكار عليهم بأنها لا تعرف الا بمعنى صاحبة مردود بتصريح الزجاج وغيره بالأول بل صرح بذلك خبيب رضى الله عنه عند قتله بقوله وذلك فى ذات الاله (أو صفة له) وستأتى فالأول بقسميه (كقوله والله ورب العالمين) أى مالك المخلوقات لان كل مخلوق علامة على وجود خالقه (والحى الذى لا يموت ومن نفسى بيده) أى قدرته يصرفها كيف يشاء ومن فلق الحبة (وكل اسم مختص به) الله (سبحانه وتعالى) غير ماذكر ولو مشتقا ولو من غير أسمائه الحسنى كالاله ومالك يوم الدين والذى أعبده أو أسجد له ومقلب القلوب فلا ينعقد بمخلوق كنبى وملك للنهى الصحيح عن الحلف بالآباء وللامر بالحلف بالله وروى الحاكم خبر من حلف بغير الله فقد كفر وفى رواية فقد أشرك بالله وحملوه على ما اذا قصد تعظيمه كتعظيم الله فان لم يقصد ذلك أثم عند أكثر أصحابنا أى تبعا النص الشافعى الصريح فيه كذا قاله شارح والذى فى شرح مسلم عن أكثر الأصحاب الكراهة وهو المعتمد وان كان الدليل ظاهرا فى الاثم قال بعضهم وهو الذى ينبغى العمل به فى غالب الأعصار لقصد غالبهم به اعظام المحلوف به ومضاهاته لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(قوله سمى يمينا) اذ اليمين فى الشرع عبارة عن عقد قوى عزم الحالف على الفعل أو الترك
(قوله وستأتى) أى فى المنهاج كوعظمة الله وعزته وكبريائه وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته
(قوله وملك) وبيت الله الكعبة

انتهى

انتهى فقد ظهر لك من جميع مانقلته انه متردد بين الاثم والكراهة والاثم هو القريب لظاهر الدليل فيكون حراما مالم يقترن به التعظيم كتعظيم الله فيكون شركا ظاهرا وعلى كل حال فهو من الشرك الأصغر عند عدم الاقتران وقال ابن القيم فى كتابه الجواب الكافى ومن ذلك قول القائل لمخلوق ماشاء الله وشئت كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلنى لله ندا قل ماشاء الله وحده هذا مع ان الله قد أثبت للعبد مشيئة بقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك ومالى الا الله وأنت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله و بركاتك والله لى فى السموات وأنت لى فى الأرض أو يقول والله وحياة فلان أو يقول ذلك نذر لله ولفلان وأنا تائب لله ولفلان وأرجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الألفاظ و بين قول القائل ماشاء الله وشئت ثم انظر أيهما أفحش يتبين لك ان قائلها أولى بجواب النبى صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل لله ندا فهذا قد جعل من لا يدانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ من الأشياء بل لعله ان يكون من أعدائه ندا لرب العالمين سبحانه انتهى وروى الحكيم فى النوادر والنسائى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قد كنت أكره لكم أن تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد قال المناوى لما فى ذلك من شائبة التشريك فنهى عن ذلك نهى تنزيه رعاية للادب ودفعا لذلك التوهم وانما أتى بثم لكمال البعد مرتبة وزمانا انتهى وقال الخطابى أرشدهم الى رعاية الأدب فى التقديم واختارلهم من بين طرق التقديم ثم المفيدة للترتيب والمهلة والفاصلة الزمانية ليفيد ان مشيئة غير الله مؤخرة بمراتب وأزمنة انتهى ولم أر أحدا من الشافعية قال بالحرمة صريحا وان كان ظاهر النص من النهى الجازم يفيدها وعلى كل حال فهى من الشرك الأصغر كما ثبت التصريح به والله أعلم وقال أيضا ابن القيم فى كتابه الكبائر ومن ذلك ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الرقى والتمائم والتولة شرك رواه الامام أحمد وأبو داود والتولة نوع من السحر وهو تحبيب المرأة الى الزوج والتمائم جمع تميمة وهى خرزة يعلقونها على الولد يزعمون انها ترد العين انتهى والأحاديث فى النهى كثيرة فقد صح انه صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال من ظفر فقال ويحك ماهذه قال من الواهنة قال اما انها لا تزيدك الا وهنا انبذها عنك فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدا وفى الجامع الصغير عن ابن مسعود رضى الله عنه ان

(قوله الرقى) هى التى تسمى العزائم وقد اشتملت على شرك أما التى لا شرك فيها فقد رخص فيها صلى الله عليه وسلم من العين والحمى (قوله والتولة) بفتح الفوقية والواو واللام (قوله ترد العين) لكن اذا كان المعلق من القرآن فاختلف فيه السلف الصالح بعضهم أجازه و بعضهم

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى والتمائم والتولة قال العلامة ابن حجر فى زواجره تنبيه عد هذه من الكبائر هو ما يقتضيه الوعيد الذى فى هذه الأحاديث لا سيما تسميته شركا لكن لم أر أحدا صرح بذلك بخصوصه ولكنهم صرحوا بما يفهم جريان ذلك فيه بالأولى نعم يتعين حمله على ما كانوا يفعلونه من تعليق خرزة يسمونها تميمة أو نحوها يرون انها تدفع عنهم الآفات ولا شك ان اعتقاد هذا جهل وضلال وانه من أكبر الكبائر لانه ان لم يكن شركا فهو يؤدى اليه اذ لا ينفع ولا يضر ولا يمنع ولا يدفع الا الله تعالى وأما الرقى فهى محمولة على ذلك أو على ما اذا كانت بغير لسان العربية ولم يعرف معناها فانها حينئذ حرام كما صرح به الخطابى والبيهقى وغيرهما واستدل له ابن عبد السلام بأنهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال أعرضوا على رقاكم وسبب ذلك ما قالوا من ان ذلك المجهول قد يكون سحرا أو كفرا قال الخطابى بعد ذكره ذلك فأما اذا كان مفهوم المعنى فانه مستحب متبرك به انتهى وقال المناوى فى شرح الحديث الثانى الرقى بوزن العلاجع رقية بالضم يقال رقاه أى عوذه والنهى عن الرقية بغير القرآن وأسماء الله تعالى وصفاته ثم قال وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزم ممن يزعم تسخير الجن تأتى مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريأ من شوب الشرك انتهى فقد تبين لك من هذه النقول المخرجة عن هذه الأصول الصادرة عن الرسول ان ذلك يكون شركا ظاهرا تارة وشركا أصغر تارة أخرى فتأمل حق التأمل فيه وتبصر بظاهره وخافيه وعلى الله قصد السبيل نعم المولى ونعم الوكيل و بقيت أشياء سميت بالشرك أيضا كالتطير فقد روى البخارى فى الأدب المفرد وأحمد والحاكم وغيرهم بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك قال المناوى هى بكسر ففتح سوء الظن بالله وهرب من قضائه وقوله شرك لان العرب كانوا يعتقدون ان ما يتشاءمون به سبب مؤثر فى حصول المكروه وملاحظة الأسباب فى الجملة شرك خفى فكيف اذا انضم اليها جهالة وسوء اعتقاد ومن اعتقد ان غير الله ينفع أو يضر استقلالا فقد أشرك انتهى و بالجملة فالشرك الخفى لا يكاد يحترز الانسان منه الا بعناية من الله الصمد وهو منقسم الى أكبر غير مغفور وأصغر موجب للاثم فقط متفاوت المراتب ذما وقبحا عافانا الله سبحانه عن الجميع انه هو الغفور السميع اذا علم هذا فالواجب عليك الاحتراز عما أطلق عليه الشارع لفظ

نهى عنه (قوله الطيرة) هى بكسر الطاء وفتح الياء اسم ما يتشاءم به كذا فى الصحاح وفى النهاية انه مصدر تطير كما يقال تخير خيرة ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة غيرهما كان أهل الجاهلية اذا قصد واحد الى حاجة وأتى من جانبه الأيسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع (قوله الصمد) السيد المقصود اليه فى الحوائج

الشرك وان كان مغفورا وغير مخرج عن الملة لكن الشارع صلى الله عليه وسلم لم يطلق عليه اسم الشرك الا لكونه وان لم يكن أكبر فهو يؤدى اليه وانه فى طريق من سلك فيه أوقعه الشيطان عليه ومثل ذلك لا يعرفه الا عالم بهذه الأسرار وطبيب يحذر من الوقوع فى مثل هذه الأمراض الكثيرة الأخطار وكيف يقدر من لا يعرف حقيقة نفسه على معرفة هذه العلل الوبية والأمراض الردية وهى لا تتلقى الا من الحضرة النبوية ولا تقتبس الا من مشكاة الأنوار المحمدية الفائضة من المواهب الربانية والأسرار الالهية ولقد سمى السلف الصالح المعاصى بريد الكفر بناء على انها تجر اليه وسميت ذنوب بالنفاق لكونها تؤدى من استعملها اليه فكذلك هذه الكبائر التى أطلق الشارع عليها اسم الشرك كانها تلقى من ارتكبها على الشرك الأكبر الذى هو من أكبر الكبائر وأعظم المصائب فانه الذنب الموجب للخلود فى النار المستوجب لغضب الجبار وفقنا الله سبحانه للاصابة فى القول والعمل وجنبنا بفضله العميم الخطأ والخطل بمنه وكرمه آمين

﴿الباب التاسع فى بيان المعجزة والكرامة والسحر والرياضة والكهانة وما يتبع ذلك من الاستدراج والمعونة والتنجيم والشعبذة على وجه تتميز به هذه الحقائق ويحصل من ألم بها على الوجه القريب الفائق﴾

اعلم بصرنى الله واياك بالدين وهدانا السبيل المستبين ان المعجزة

(قوله تجر اليه) لأن تكرار الأفعال مسبب لحصول الملكة الراسخة فمن أصر على الذنوب ألفها واذا ألفها نشأ من ذلك محبتها وبغض الطاعات لمخالفتها مالوفه مع استيلاء الران على قلبه فاذا أصر على الذنوب يكون حب الله فى قلبه ضعيفا فاذا ضعف يستولى على قلبه حب الدنيا فينهمك فى الشهوات وارتكاب السيئات فتتراكم ظلمات الذنوب على قلبه ولا تزال تطفئ ما فيه من نور الايمان مع ضعفه فاذا جاءه الموت وعلم انه يفارق الدنيا وهى محبوبة له وحبها غالب عليه حتى انه يتألم من فراقها ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى ان يحصل فى قلبه بغضه تعالى بدل حبه فان اتفق خروج روحه فى تلك اللحظة يختم له بالسوء ويهلك هلاكا أبديا فمن أراد النجاة من هذه الورطة فعليه بعد تصحيح اعتقاده ان يحذر عن المعاصى وعن مشاهدتها ومشاهدة أهلها وان يواظب على الطاعات التى هى ثمرة محبة الله تعالى ولا يتصور محبة الله تعالى الا بعد معرفته فمن عرف الله تعالى بما يجب عليه معرفته وعرف ان جميع النعم الواصلة اليه والى غيره ليس الا منه تعالى لا جرم انه يحبه فاذا أحبه يسعى فى تحصيل مرضاته ويحترز من موجبات سخطه فيكون لائقا لوصول احسانه ودخول جنانه بمقتضى وعده يسرنا الله تعالى لذلك (قوله الخطل) المنطق الفاسد (قوله المعجزة) ماخوذ من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات العجز ثم أسند مجازا الى

مايظهر على يد مدعى النبوة من خارق للعادة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا تمكنهم معارضته هكذا عرف المعجزة المتكلمون وسميت بذلك لاعجازها من يتصدى لمعارضتها عن الاتيان بمثلها فالتاء فيها للمبالغة كالعلامة والنسابة ولكن الشائع فى التعبيرات استعمالها فى الوحدة واذا كانت عبارة عن هذا الأمر المعجز الذى يخلقه الله ويظهره على يد مدعى النبوة تصديقا له كانت تصديقا فعليا قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدى فيما يقول ويبلغه عنى فهى اذا تفيد العلم الضرورى بصدق المدعين وتصلح أصلا لاقامة الحجج والبراهين فقد قال العلماء مثال ذلك ان رجلا اذا قام من مجلس ملك الى جماعة وقال أنا رسول هذا الملك بعثنى اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه آية تدل على صدقه فقال آية صدقى انى أطلب من الملك ان يخالف عادته ويقوم من مقامه ويقعد ثلاث مرات ففعل الملك ذلك فلا ريب ان ذلك الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق هذا الرجل فى كل مايبلغ عنى ومفيد العلم الضرورى لمن شاهده بل لمن وصل اليه ذلك الفعل بالتواتر ان هذا المبلغ عنه صادق فى كل مايبلغ عنه كيف وينضاف الى ذلك مايقوى التصديق من ان هذه الدعوى على الله الواجب الوجود الشامل بقدرته كل موجود فهل يقع فى الخاطر ان من تصدى لمثل هذا الأمر وهو كاذب كيف يجرى على يده مثل هذا الخارق ولئن جرى كيف يمهله تعالى ويترك خلقه سدى وهم لايشعرون هذا من المحال البين الذى تظافرت عليه العقول وتطابقت به النقول من غير نكول اذا

ماهو سبب العجز وجعل اسماله فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية كما فى الحقيقة وقيل للمبالغة كما ذكره المصنف (قوله مايظهر الخ) أعم من ان يكون فعلا كانفجار الماء من الاصابع أو عدمه كعدم احراق النار ومن قال فعل يظهر الخ جعل المعجز ههنا كون النار بردا وسلاما أو بقاء الجسم على ما كان عليه من غير احراق (قوله عند تحدى المنكرين) احترازا عن كرامات الأولياء وعن العلامات الارهاصية التى تتقدم بعثة الأنبياء (قوله ولا تمكنهم معارضته) وهى اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بنى اسرائيل كانت لبلادتهم وقلة بصيرتهم حسية وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم قاله السيوطى (قوله فى كل مايبلغ عنه) فان قيل هذا تمثيل وقياس للغائب على الشاهد وهو على تقدير ظهور الجامع انما يعتبر فى العمليات لافادة الظن وقد اعتبرتموه بلا جامع لافادة اليقين فى العلميات التى هى أساس ثبوت الشرائع على ان حصول العلم فيما ذكرتم من المثال انما هو لما شوهد من قرائن الأحوال قيل فى جوابه التمثيل انما هو للتوضيح والتقريب دون الاستدلال ولا مدخل لمشاهدة القرائن فى افادة العلم الضرورى لحصوله للغائبين عن هذا المجلس عند تواتر القضية اليهم وللحاضرين فيما اذا فرضنا الملك فى بيت ليس فيه غيره ودونه حجب لا يقدر

علمت هذا فاعلم ان للمعجزة كما ذكروا سبعة شروط تتميز بها عن غيرها الأول ان تكون من قبل الله تعالى ليخرج ما كان من قبل العبد الثانى ان تكون خارقة للعادة ليخرج ما كان معتادا الثالث ان يتعذر معارضتها لان ذلك حقيقة الاعجاز المخرج للسحر ونحوه الرابع ان يكون مقرونا بالتحدى ولا يشترط التصريح بالدعوى بل تكفى قرائن الأحوال وذلك ليعلم انه تصديق له والمراد من التحدى طلب المعارضة منهم فيما جعله شاهد الدعواه تعجيزا لغيره عن الاتيان بمثل ما أبداه من تحديت فلانا اذا نازعته للغلبة الخامس ان يكون هذا الخارق الآتى به موافقا لدعواه فلو قال معجزتى كذا فأتى بغيره لم يدل على تصديقه لعدم تنزيله منزلة تصديق الله تعالى اياه السادس أن لا يكون المعجز مكذبا له فلو قال معجزتى ان ينطق هذا الذئب فنطق بتكذيبه لم يكن ذلك معجزة السابع أن لا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى فما يتقدم عليها من الخوارق يسمى ارهاصا وتأسيسا فلو ادعى النبوة بعد

على تحريكها أحد سواه وجعل مدعى الرسالة حجته ان الملك يحرك تلك الحجب من ساعته ففعل (قوله كما ذكروا) أى المتكلمون (قوله ان تكون من قبل الله الخ) لان التصديق من الله تعالى لا يحصل بما ليس من قبله زاد فى المواقف فى هذا الشرط قيدا بان قال الأول ان يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه وقال وقولنا أو ما يقوم مقامه ليتناول ما اذا قال معجزتى ان أضع يدى على رأسى وأنتم لا تقدرون عليه ففعل وعجزوا فانه معجز ولا فعل لله ثم فان عدم خلق القدرة ليس فعلا أى بل عدم صرف ومن جعل الترك وجوديا أى على انه الكف حذفه لعدم الحاجة اليه قلت وترك المصنف هذا القيد لما ذكره السيد فى شرحه عن الآمدى ان العجز ان كان عدميا كما هو أصل شيخنا فالعجز هنا عدم خلق القدرة فلا يكون فعلا وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا فالعجز هو خلق العجز فيهم فيكون فعلا فلا حاجة الى قولنا أو ما يقوم مقامه انتهى (قوله ليخرج ما كان معتادا) كطلوع الشمس فى كل يوم و بدو الازهار فى كل ربيع فانه لا يدل على الصدق لمساواة غيره اياه فى ذلك حتى الكذاب فى دعوى النبوّة (قوله ولا يشترط التصريح بالدعوى) وطلب المعارضة خلافا لما ذهب اليه بعضهم (قوله بل تكفى قرائن الأحوال) بان يقال له ان كنت نبيا فاظهر معجزة ففعل بان دعا الله فاظهره فيكون ظهوره دليلا على صدقه ونازلا منزلة التصريح بالتحدى (قوله معجزتى كذا) أى ان أحيي ميتا مثلا (قوله بغيره) كشق الجبل مثلا (قوله لم يكن ذلك معجزة) لان المكذب هو نفس الخارق قال فى المواقف وشرحه نعم لو قال معجزتى ان أحيي هذا الميت فاحياه فكذبه ففيه احتمال والصحيح انه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا لأن المعجز احياؤه وهو غير مكذب له انما المكذب هو ذلك الشخص بكلامه وهو بعد ذلك الاحياء مختار فى تصديقه وتكذيبه ولم تتعلق به دعوى فلا يقدح تكذيبه فى دلالة الاحياء على صدقه (قوله وتأسيسا) عطف تفسير

ظهور هذا الخارق المتقدم عليها وطولب بالمعجزة فعجز كان ذلك دليلا على عدم التصديق المتقدم وبهذه الشروط السبعة يحصل تمييز المعجزة عن غيرها من السحر وأمثاله وقد فرق بين السحر وبين المعجزة أيضا بأن أثر المعجزة حقيقي كشبع الجمع الكثير من الطعام اليسير وتكثير الماء القليل بالمج فيه حتى روى منه الجيش من غير نكير وأثر السحر تخييلي وله أيضا فرق آخر وهو ان السحر يقبل التعلم والتلمذ وربما كان التلميذ فيه أحذق من الأستاذ بخلاف المعجزة فانها لا تقبل ذلك واعلم ان السحر لغة كلما لطف ودق من سحره اذا أبدى له أمرا فدق عليه وخفي ومنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس وهو مصدر شاذ اذ لم يأت فعل بكسر الفاء وسكون العين مصدر الفعل يفعل بفتح العين فيهما وشرعا هو كل أمر خفي سببه وعمل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع وكان ممكن المعارضة ويتفاوت باعتبار حذق متعاطيه فهو من الصناعات في التمويهات وحيث أطلق أريد منه المذموم فقط وحيث قيد كان بحسب ما قيد به مما يمدح أو يذم أو يضر أو ينفع كسحر البيان وغير ذلك مما يتعلق بفصاحة اللسان وبالجملة فهو أقسام فمنه سحر الكلدانيين العابدين للكواكب وهم فرق قد تخالفت مللهم واضطربت نحلهم فمنهم القائلون بالاهية الأفلاك المتخذون لها هياكل وأصناما اشتغلوا بخدمتها ومنهم من أثبت لهذه الأفلاك فاعلا مختارا لكنهم قالوا ان الله أعطاها قوى نافذة وفوض تدبيره اليها ومنهم الصابئة والدهرية الى غير ذلك من الفرق الضالة عافانا الله منها ومن السحر أيضا سحر أصحاب العزائم والنفوس القوية

لأن الارهاص هو التأسيس من أرهصت الحائط أسسته (قوله العزائم) وهي كلمات يزعم أهل هذا العلم ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الله هذا الحكم وجد الجان يعبثون بالناس في الأسواق ويخطفونهم من الطرقات فسأل الله تعالى ان يولي على كل قبيل من الجن ملكا يضبطهم عن الفساد فولى الله سبحانه وتعالى الملائكة على قبائل الجان فاذا عتا بعضهم وأفسد ذكر المعزم كلمات تعظمها تلك الملائكة ويزعمون ان لكل نوع من الملائكة اسماء أمرت بتعظيمها ومتى أقسم عليها بها أطاعت وأجابت وفعلت ما طلب منها فالمعزم بتلك الأسماء على ذلك القبيل يحضر له ذلك القبيل من الجان الذي طلبه والشخص منهم يحكم بينهم بما يريد ويزعمون ان هذا الباب انما دخله الخلل من جهة عدم ضبط تلك الأسماء فانها عجمية لا يدرى هل هي مضمومة أو مفتوحة وربما أسقط بعض النساخ بعض حروفها من غير علم فيختل العمل فان المقسم به لفظ آخر لا يعظمه ذلك الملك فلا يجيب ولا يحصل مقصود المعزم (قوله وشرعا) والسحر له حقيقة وقد يموت المسحور أو يتغير طبعه قاله الشافعي وابن حنبل وقالت الحنفية ان وصل الى بدنه كالدخان ونحوه جاز ان يؤثر والا فلا وقالت المعتزلة لا حقيقة للسحر وهذا لا يصح فان ما لا حقيقة له لا يؤثر وقد سحر النبي صلى

ومنهم فى بلاد الهند كثرة ومنه سحر المشركين المستعينين بالأرواح الأرضية من الجن ومردتهم الشياطين ومنه أيضا ماهو تخييل وأخذ بالعيون ومنه أيضا أعمال عجيبة تظهر من تراكيب آلات على نسب هندسية ومنه أيضا مافيه استعانة بخواص الأدوية الغريبة ومنه تأليفه للقلوب كمن عرف بان الجن تطيعه وانه يفعل أشياء غريبة فمن اعتقد فيه ذلك وتعلق قلبه بما هنالك وحصل فى نفسه نوع من الرعب ومكن الخوف بقلبه تمكن هذا المعتقد فيه من ان يفعل معه مايشاء من غير شك ولا امتراء وقد نقل عن القرافى بيان أنواعه من السيميا والهيميا وخواص الحقائق من الحيوانات وغيرها

الله عليه وسلم وقد سحرت عائشة جارية اشترتها وقد أطبقت الصحابة على صحة ذلك ومن حجة الزاعمين انه لا حقيقة له قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ولأنه لو كانت له حقيقة لامكن الساحر ان يدعى النبوّة فانه قد يأتى بالخوارق على اختلافها والجواب ان السحر أنواع فبعضه هو الذى يخيل عن الثانى ان اضلال الخلق ممكن ولكن الله تعالى أجرى العادة بضبط مصالحهم عما يسر ذلك على الساحر وكم من ممكن يمنعه الله من الدخول فى العالم لأنواع من الحكم على انه تقدم الفرق بين المعجزة والسحر (قوله ومنهم فى بلاد الهند كثرة) قال ابن حجر فى كتابه الاعلام وفى الهند جماعة اذا ركبوا انفوسهم لقتل شخص مات ثم ان شق صدره فى الوقت لا يوجد قلبه بل انتزعوه من صدره بالهمة والعزم وقوة النفس ويجربون بالرمان فيجمعون عليه همتهم فلا يوجد فيه حبة وخواص النفس كثيرة انتهى (قوله من السيميا) وهى عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة وادراك الحواس الخمس أو بعضها لحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات وقد يكون لذلك وجود يخلقه الله اذ ذاك وقد يكون لا حقيقة له بل هى تخيلات (قوله والهيميا) هى كالسيميا الا انها تمتاز عنها بالآثار الصادرة عنها تضاف للآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال الأفلاك فتحدث جميع ماتقدم ذكره فخصوا الواحد بالسيميا والآخر بالهيميا (قوله وخواص الحقائق من الحيوانات وغيرها) قال ابن حجر فى كتابه الاعلام ذكروا انه يؤخذ سبعة أحجار ويرجم بها كلب شأنه اذا رمى بحجر عضه فاذا رمى بسبعة أحجار وعضها كلها التقطت بعد ذلك وطرحت فى ماء فمن شرب منه أثار خاصة يعبر عنها السحرة فهذه تثبت للسحر وليس مايذكره الأطباء من الخواص فى هذا العالم للنباتات من هذا القبيل ولا شك فى الخواص فى هذا العالم فمنه مايعلم كاختصاص النار بالاحراق ومنه مايعلمه الافراد كالحجر المكرم ومايصنع منه الكيميا ونحو ذلك كما يقال ان فى الهند شجرا اذا عمل منه دهن ودهن به انسان لا يقطع فيه الحديد وشجرا آخر اذا استخرج منه دهن

والطلسمات والأوفاق والعزائم والاستخدامات فكل هذه الأنواع من السحر وكذلك الشعبذة الحاصلة من سرعة اليد فانها نوع منه أيضا فلا نطيل الكلام بتفاصيلها وقد فصلها العلامة ابن حجر أكمل تفصيل فى كتابه الاعلام ونقل الأقوال الواردة فى تكفير متعاطيه ان كان مشتملا على كفر أو شرك وفى تاثيمه ان لم يكن فاتى بغرائب مسائل ان أردتها فارجع اليه وبالجملة فالمقصود الفرق بينه و بين المعجزة فالسحر يأتى به الساحر وغيره ممن تعلم طريقه وقد يأتى جماعة فى وقت واحد وربما يتكافؤن أو يفوق بعضهم على بعض كل على حسب علمه فى صناعته وأما المعجزة فلا يمكن أحد ان يأتى بمثلها أو يعارضها وتمام أحكام السحر مفصلة فى الزواجر عن اقتراف الكبائر للعلامة ابن حجر المكى هذا ما كان من المعجزة والسحر وأما الكرامة فهى أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن صالح ظاهر صلاحه يكرم الله بها من يشاء من عباده الصالحين فبقيد المؤمن الصالح يخرج مايظهر لبعض الفساق والظلمة والكفرة أحيانا استدراجا لهم و بالقيد الثانى تخرج المعونة وهو مايظهر من

وشرب على صورة خاصة مذكورة عندهم فى العمليات استغنى عن الغذاء وأمن من الأمراض والاسقام ولا يموت بشئ من ذلك لو طالت حياته حتى يأتى من يقتله اما موته بالاسباب العادية فلا وخواص النفوس لاشك فيها فليس كل أحد يؤذى بالعين والذين يؤذون بها تختلف أحوالهم فنهم من يصيد بالعين الطائر من الهواء و يقلع الشجر العظيم من الثرى وآخر انما يصل لتمريض لطيف ومن الناس من طبع على صحة الحزر ولا يخطئ غالبا ثم تجد واحدا له خاصية فى علم الكشف وآخر فى علم الرمل وآخر فى علم النجم ومن خواص النفوس مايقتل انتهى (قوله والطلسمات) وهى نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم فى أجسام من المعادن أو غيرها فلا بد فى الطلسم من هذه الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الفلك وجعلها فى جسم من الأجسام ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الاعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك (قوله والاوفاق) وهى ترجع الى مناسبات الاعداد وجعلها على شكل مخصوص وهذا كان يكون شكل من تسع بيوت مبلغ العددين من كل جهة خمسة عشر هو تيسير العسير واخراج المسجون ووضع الجنين ومنه كل ماهو من هذا المعنى وضابطه بطد زهج واح وكان الغزالى يعتنى به كثيرا حتى نسب اليه والذى نقله ابن حجر عن القرافى فيه زيادة قوله والرقى بعد قوله والاوفاق وهى ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الاسقام والادواء والاسباب المهلكة ولا يقال لفظ الرقى على مايحدث ضررا بل ذلك يقال له السحر وهذه الالفاظ منها مشروع كالفاتحة وغير مشروع كرقى الجاهلية والهندور بما كان كفرا فنهى مالك رحمه الله عن الرقى بالعجمية (قوله استدراجا لهم) أى مكرا بهم فى الدنيا وعقوبة لهم فى العقبى كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أى

عوام المسلمين عند اضطرارهم تخليصالهم من المحن والمكاره والفرق بين الكرامة والمعجزة مقارنة التحدى ودعوى النبوة وبانها اذا ظهرت على يد أحد من الأمة تكون من معجزة نبيه وقد أنكر الكرامة المعتزلة وأثبتها أهل السنة والجماعة الا بعض المالكية فقد أنكرها سدا للذريعة المتوصل بها الى كل باطل بالحقيقة وذلك قياس مذهب الامام مالك القائل بسد الذرائع لئلا تكون وسيلة الى تاله من أكرم بها أو تشتبه بغيرها فتشتعل على العوام نيران ضررها فانا نجد العوام بل الخواص يرون ان كل خارق للعادة كرامة وكل من ظهرت منه فهو ولى مطاع لا يعصى ولو بمعصية الله تعالى فبذلك نشأت الفتن فى الدين وضعف فى الله اليقين فتراهم بمجرد اعتقادهم فيه انه ولى وان كان عدوا قد رجوا منه غفران الذنوب وستر العيوب ووافقوه فى كل ما يريدوان كانت فى موافقته مخالفة الله تعالى ولم يعلموا ان الشيطان قد نصب لنا العداوات بنصب حبال التمويهات ومراده تحكيم هذا الاعتقاد الفاسد فيهم ليستغيثوا بهم اذا وقعوا فى الشدائد وربما ان ابليس يريهم انجاح مطلوبهم ويحسن لهم بما يقدر عليه استغاثتهم بهم وهذا المعتقد المسكين لا يدرى كيف يتلاعب به الشيطان واذا نهاه أحد أجابه بسوء القول مثل انك لا تعتقد ولا تحب أهل الكرامات ومادرى هذا الفقير الجاهل ان كل ذلك من تلبيس ابليس ليصده عن الهدى ويلقيه فى الغى والضلال والحاصل ان ههنا كرامات تختص بالأولياء وأحوالا شيطانية تظهر على يد الاشقياء فالخوارق التى للاولياء تظهر بما يحبه الله تعالى وتكون مسببة عن كمال الايمان وفرط التقوى والاحسان والأحوال الشيطانية تحصل باتباع الجن والشياطين كما ظهرت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لابن صياد وعلم انه من جنس الكهان الذين يكون لأحدهم قرين من الجن يخبره بكثير من المغيبات مما يسترقه من السمع مع خلط الصدق والكذب وبعده كالمتنبئين الذين ادعوا النبوة وغيرهم ممن كان لهم قرناء من الجن كالحارث الدمشقى وأمثاله فمن لم ينظر بنور الله ووافق هواه وحسن له ابليس الامر وأغواه انقاد لمثل هذه

نستدنيهم وتستقربهم الى العقوبة والنقمة ليتوهموا ان ذلك تقرب من الله واحسان وانما هو تبعيد وخذلان ففى الحديث اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب من النعمة وهو مقيم على المعصية فان ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ أى من النعم حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون أى متحيرون آيسون لان العقوبة اذا كانت مخبأة فى النعمة تكون أشد فى الصعوبة فتكون كثرة نعمهم الصورية موجبة لشدة نقمهم الاخروية (قوله من المحن) والمكاره (قوله تكون من معجزة نبيه) فان كرامة التابع كرامة المتبوع (قوله لابن صياد) وظن بعض الصحابة انه الدجال وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره حتى تبين له انه ليس الدجال وعلم الخ (قوله كالحارث الدمشقى الخ) الذى خرج

الخرافات ورر بما ضل بما يحسب ان فيه هداه فيستغيث به ويتوكل عليه ويندبه عند الكرب والشدائد ويقول ندبت شيخي فلانا فخلصني واذا جاءه ابليس ببعض التمويهات وقال له بعد ذلك يقول لك فلان لا تصلي أطاعه وماعصاه فانالله والامر كله لله واعلم ان المحققين من أهل المعرفة واليقين على ان الكرامة لا تحصل للولي غالبا الا في البدايات أما اذا كمل يقينه فلا تأتيه لما انها للتقوية في اليقين والرسوخ في الدين ولهذا كانت الخوارق في التابعين أكثر منها في الصحابة الربانيين قال في بحر الأفكار وطريق ضبط الخوارق ان يقال ان الخارق للعادة اما ان يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح أولا فان كان الاول فلا يخلو اما ان يكون مقرونا بكمال العرفان والطاعة حسب الامكان أولا الثاني المعونة والاول اما ان يكون مقرونا بدعوى النبوة أولا الاول المعجزة والثاني الكرامة والخارق قبل النبوة ارهاص واذا كان الخارق غير مقرون بالايمان والعمل الصالح فلا يخلو اما ان يكون مقرونا بمباشرة أعمال مخصوصة يجرى فيها التعلم والتلمذ أولا فالاول السحر والثاني اما ان يكون موافقا للدعوى أولا فالاول الاستدراج والثاني الاهانة انتهى هذا ما كان من بيان الفرق بحسب ماذكروه وبقيت أشياء من أعمال الجاهلية كالكهانة والعرافة والطيرة

بالشام في زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكان شيطانه يخرج رجله من القيد ويمنع السلاح ان ينفذ فيه وكان يرى الناس أشخاصا ركبانا في الهواء ويقول هي الملائكة وانما هي الجن والشياطين فلما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه رجل بالرمح فلم ينفذ فيه الرمح فقال له عبد الملك انك لم تسم الله تعالى فسمى الله فطعنه فقتله وقوله وأمثاله كمسيلمة الكذاب الذي كان معه من الجن من يخبره عن المخفيات ويعينه على بعض الحاجات وكالاسود العنسي الذي ادعى النبوة وكان له من الجن من يخبره ببعض الامور الغائبة فلما قاتله المسلمون ليقتلوه توهموا من الشياطين ان يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانت عليه امرأته حين تبين لها كفره فقتلوه وقد يكون خرق العادة اهانة بان يقع على خلاف الارادة كما نقل ان مسيلمة الكذاب دعا للاعور ان تصير عينه العورة سليمة فصارت عينه الصحيحة عوراء سقيمة **(قوله لما انها للتقوية في اليقين والرسوخ في الدين)** حتى ان كثيرا من الصالحين يعرض عنها ويستغفر الله ويتوب اليه كما يستغفر من الذنوب ويتوب عنها وقد كان تعرض على بعضهم فيسأل زوالها والمشايخ كلهم كانوا ينفرون المريدين السالكين غاية التنفير من الميل اليها فان السالك القاصد لرؤية الاشياء وحصول الخوارق واقع في شبكة الشيطان فاللازم له ان يخلص نفسه من الميل اليها اذ لا طائل تحتها بل اذا وقعت منه يخاف عليه من الاستدراج ولذا قال بعض الكبار اذا دخل سالك في بستان وقالت طيور أشجار ذلك البستان بألسنة فصيحة السلام عليك ياولي الله فان لم يتفطن انه مكر به والا أخذ من حيث لا يشعر وهذا التنفير من المشايخ

والطرق

والطرق والتنجيم والعيافة فهذه كلها كانت من أعمالهم فاما الكهانة فهي الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء علم الغيب وزعم ان الجن تخبره بذلك وأما العراف فهو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها وأما الطيرة فقد تقدم ذكرها وأما الطرق بفتح الطاء وسكون الراء فهو عبارة عن زجر الطير فان تيامن تيمن أو أيسر تشاءم ومنه الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن وأما علم النجوم فالمنهي عنه مايدعيه أهله من معرفة حوادث في مستقبل الزمان يزعمون انهم يدركونها بسير الكواكب وهذا دخول في علم الغيب ففي البعض يكون فسقا

عند ظنهم انها كرامات فكيف اذا تعين كونها من الجن والشياطين والكرامة الحقيقية عند كبار الصوفية هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها فالواجب على العبد ان لايحرص الا عليها ولا يكون له همة الا في الوصول اليها وأما الكرامة بمعنى ظهور الخارق فلا يحتاج اليها الا من كان ضعيف اليقين فاذا حصل له شئ منها يقوى يقينه وأما من كان كامل اليقين فلا يلتفت اليها لاستغنائه عنها ولذا كانت الخوارق الخ **(قوله فاما الكهانة الخ)** روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم **(قوله وهذا دخول في علم الغيب الخ)** قال شارح العقيدة الطحاوية الواجب على ولي الامر وكل قادر ان يسعى في ازالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصا والقرع والفالات ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو ان يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في ازالته مع قدرته على ذلك قوله تعالى كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يصنعون وهؤلاء الذين يفعلون الافعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع وهم الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل المحال من المشايخ النصابين والفقراء الكذابين المحتالين فهؤلاء يستحقون العقوبة البالغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات ويطلب تغيير شئ من الشريعة ونحو ذلك ونوع يتكلم بمثل هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بانواع السحر ثم ذكر تفسير السحر ومايترتب على الساحر من الأحكام ثم قال ونوع منهم لهم خبرة بالأحوال الشيطانية والكشوف بالرياضات النفسانية ومخاطبة رجال الغيب وان لهم خوارق تقتضي انهم أولياء الله وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول ان الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا وهؤلاء في الحقيقة اخوان المشركين ثم ذكر اختلاف أهل العلم في حق رجال الغيب الى ان قال

وفى آخر يكون كفرا والعرافة نوع من الكهانة وكذلك العيافة وبالجملة ففى كل ذلك اخبار عن مستقبل ربما يصادف الواقع وهى اما كفر أو تؤدى اليه على تفصيل فى جميعها وبقى من الأمور الخارقة مايخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم فلو أخبرنا أحد خبرا خارقا للعادة لم نحكم بما صدر منه ان يكون كرامة اذ كثيرا ماتقع مثل هذه الأحوال من الكفرة المشركين وهم أبعد الناس عنها وسبب وقوعها منهم ان الله تعالى قد أجرى العادة بوقوع مسببات عند مباشرة أسبابها وان الله سبحانه يخلقها عندها كما يخلق الرى عند الشرب ومثل ذلك لا يدل على كرامة من صدرت منه فلا بد لكل مسلم ان يحترس لمثل هذه الفروق ليعلم الصادق من الكاذب والمسلم من الكافر فان رأى خارقا على يد رجل صالح قد ظهر صلاحه فليصحبه على وجه ان يقتدى به وليطلب منه الدعاء ولا يقصر نظره عليه كما هو حال عوامنا فيرجوه ويخشاه وربما يختار محبته على كل طاعة لله كانه قد أمر بطاعته فى كل مايريدو حاشا هذا الصالح ان يامره الا بما فيه طاعة مولاه وربما يقدم طاعته على عبادة الله هذا ماعليه أهل هذا الزمان مع ان اللائق بصحبة الصالحين الأخيار السلوك فى مسالكهم والاقتباس من أنوار معارفهم المأخوذ كل ذلك من علوم الشريعة الغراء الموزون بميزان الملة المحمدية البيضاء والمقصود من هذا الباب تمييز المعجزة التى هى الآية الكبرى على تصديق الرسل الموجب للايمان بجميعهم فيما أمروا به أو نهوا عنه ليكون جل نظره التتبع لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فيجرى فى منهاجهم ويقتبس من سراجهم فتكون عبادته على صرف الاتباع غير مدمثة بالزيغ والابتداع فقهنا الله فى الدين ورزقنا اتباع سنة سيد المرسلين آمين

﴿الباب العاشر فى بيان الايمان بالرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام و بيان مايجب ويمتنع عليهم ومايجوز﴾

اعلم انه يجب الايمان بالرسل جميعهم بكونهم صادقين فى جميع ماأخبروا به عن الله تعالى وانه سبحانه

والحق ان رجال الغيب هم الجن ويسمون رجالا كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال ومن ظن انهم من الانس فمن غلطه وجهله وسبب الضلال فيهم وافتراق الناس فيهم عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان الى آخر ماقال **(قوله والعرافة نوع من الكهانة)** قال البغوى العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن **(قوله مايخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم)** المسماة بالفراسة الرياضية وهى التى تحصل بالجوع والسهر والتخلى فان النفس اذا تجردت عن العوائق والعلائق بالخلائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على الايمان ولا على ولاية ولا عن خلق نافع ولا عن

بعضهم

بعثهم الى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده وأيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فمن ثبت تعيينه وجب الايمان به تفصيلا ومن لم يثبت تعيينه وجب الايمان به اجمالا والاولى عدم التعرض لعدهم وان وردت فى ذلك أحاديث كثيرة ولكنها لاتخلو عما يوجب الضعف فى الاسناد القاصر عن نيل المراد فمن ذلك مارواه الطبرانى عن أبى ذر قال قلت يارسول الله من أول الأنبياء قال آدم قلت نبى كان قال نبى مكلم وفى سنده ابن لهيعة مختلف فيه ورواه أحمد فى مسنده لكن بسند ضعيف وفى رواية للطبرانى عن أبى ذر بهذا السند قال قلت يارسول الله أرأيت آدم نبى كان قال نعم كان نبيا رسولا كلمه الله قيلا قال له يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وأخرج أبو داود الطيالسى عنه أيضا ولفظه قلت فاى الأنبياء كان أول يارسول الله قال آدم قلت أونبى كان قال نعم مكلم قلت كم كان المرسلون يارسول الله قال ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا وأخرج أبو يعلى وابن راهويه ومحمد بن يحيى ابن أبى عمر وفى مسنده وفيه ان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل خمسة عشر

طريق مستقيم **(قوله بعثهم)** البعثة لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين لمافيها من حكم ومصالح لاتحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود البارى وعلمه وقدرته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومنها استفادته الحكمة من النبى صلى الله عليه وسلم فيما لا يستقل به العقل مثل الكلام والرؤية والمعاد الجسمانى ومنها بيان حال الأفعال التى تحسن تارة وتقبح أخرى عن غير اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الاغذية والأدوية ومضارها التى لاتفى بها التجربة الا بعد أدوار وأطوار مع مافيها من الأخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة فى العلميات والعمليات ومنها الأخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصى ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ولهذا قالت المعتزلة بوجوبها على الله تعالى والفلاسفة بلزومها فى حفظ نظام العالم **(قوله ووعده)** بنعيمه المقيم **(قوله ووعيده)** بنار الجحيم **(قوله الباهرات)** أى الغالبات يقال بهر القمر الكواكب أى غلب ضوؤه ضوأهم ويقال بهرت فلانة النساء أى غلبتهن فى الحسن قاله فى الصحاح **(قوله وفى سنده ابن لهيعة الخ)** هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمى قاضى مصر الحافظ وهو مختلف فيه قال أحمد بن صالح المصرى كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلابة للعلم وقال زيد بن الحباب سمعت سفيان الثورى يقول عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع وقال أحمد بن حنبل من كان بمصر مثل ابن لهيعة فى كثرة حديثه وضبطه واتقانه وقال ابن معين ليس بذاك القوى وقال السيوطى فى حسن المحاضرة عنه وثقه أحمد وغيره وضعفه يحيى القطان وغيره انتهى **(قوله وفيه ان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا)** والصحيح كما قال ابن حجر ان حديث كون الأنبياء مائة ألف وأربعة

وثلثمائة وان آدم أولهم فقد استفيد من هذه الاحاديث رسالة آدم وعدد الرسل والانبياء لكن لما كانت هذه الاحاديث لاتخلوأسانيدها عن ضعف اختلف فى رسالة آدم ولم يطلق العدد عليهم أحد من العلماء على ماعلمت وكما يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل بذواتهم يجب أيضا الايمان بانهم أرسلهم الله لهداية خلقه وتكميل معاشهم ومعادهم وانهم بلغوا رسالة ربهم و بينوا للمكلفين ماأمروا ببيانه وانه يجب احترام جميعهم لانفرق بين أحد منهم فى الايمان بهم وانه تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص فهم معصومون عن الصغائر والكبائر قبل النبوة و بعدها على المختار وما وقع فى قصص يذكرها بعض المفسرين لايلتفت اليه وماجاء فى القرآن من اثبات العصيان لآدم ومن

وعشرين ألفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وخمسة عشر صحيحان فاعلمه ولاتغتر بذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات **(قوله وان آدم أولهم)** والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب ويونس ومحمد وذوالقرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين **(قوله رسالة آدم)** أرسله الله لتكميل أولاده وتعليمهم الشرائع وماجاء فى الحديث من قول الناس لنوح وأنت أول الرسل فالمراد أولهم للدعاء للتوحيد **(قوله والرسل)** من عطف الخاص لأن من أوحى الله اليه ان أمره بان يبلغ غيره فهو نبى رسول وان لم يأمره بتبليغ غيره فهو نبى وليس برسول فالرسول أخص من النبى لأن الرسالة أعم من جهة نفسها والنبوّة جزء من الرسالة اذالرسالة تتناول النبوّة وغيرها فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها **(قوله معصومون)** العصمة عند أهل السنة بناء على ماتقتضيه أصولهم من استناد الأشياء كلها الى الفاعل المختار ابتداء هى ان لايخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة بناء على ماذهبوا اليه من القول بالايجاب واعتبار استعداد القوابل هى ملكة تمنع الفجور وتحصل هذه الصفة النفسانية ابتداء بالعلم بمثالب المعاصى ومناقب الطاعات وتتأكد بتتابع الوحى بالأوامر والنواهى والاعراض عما يصدر منهم من الصغائر وترك الأولى فان الصفات النفسانية تكون فى ابتداء حصولها أحوالا ثم تصير ملكات بالتدريج وقال قوم هى خاصية فى نفس الشخص أوفى بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب قال فى المواقف ويكذب هذا القول انه لوكان صدور الذنب ممتنعا لما استحق المدح بتركه الذنوب وأيضا فالاجماع منعقد على انهم مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولوكان الذنب ممتنعا عنهم لما كان الأمر كذلك وأيضا فقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى يدل على مماثلتهم لسائر الناس مما يرجع الى البشرية والامتياز بالوحى انتهى **(قوله والكبائر)** بجميع أنواعها

معاتبة جماعة منهم على أمور فعلوها فانما هو من باب أن للسيد ان يخاطب عبده بما شاء وان يعاتبه على خلاف الاولى معاتبة غيره على المعصية كما قيل ان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا خلاف بين العلماء فى عصمتهم عن تعمد الكبائر وانما الخلاف فى ان عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل فالاول مذهب أهل السنة والثانى قول المعتزلة وأما وقوع الصغائر فجوزه البعض والمحققون من المحدثين لم يجوزوا الاوقوع الصغائر سهوا وأما الكبائر مطلقا والصغائر عمدا فلا وعلى ذلك الكثير ويجب الايمان بعموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس وهو من خواصه وعموم بعثة نوح بعد الطوفان لم تكن فى أصل البعثة بل لما حدث من الانحصار فلو ادعى مدع عموم بعثته قبل الغرق متمسكا بان الله قد أغرق بالطوفان جميع أهل الارض الا نوحا ومن معه وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف عذب أهل الارض بالاغراق دون ان يبعث اليهم رسولا اذ لم يكن نوح مرسلا اليهم قلنا الجواب أولا ان المراد نفى عذاب الآخرة وان سلم ارادة نفى عذاب الدنيا أيضا فالمراد نفى العذاب قبل الارسال الذى تقوم به الحجة عليهم وان لم يكن ارسالا اليهم

(**قوله** وان يعاتبه على خلاف الأولى الخ) فتسميته خلاف الأولى ذنبا فى مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك والاعتراف بكونه ظلما كما فى قصة آدم لعله لعظمه عنهم أو عندهم لما نقل من ان حسنات الأبرار سيئات المقربين أو قصدوا به هضما لأنفسهم وكسرا لها بانها ارتكبت ذنبا تحتاج فيه الى الاستغفار والاعتراف به على سبيل الابتهال والتضرع كى يعفو عنها ربها وأما ما جاء فى الأحاديث والآثار فما كان منقولا منها بالآحاد وجب ردها لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصى الى الأنبياء وما ثبت منها تواترا فما دام له محمل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة وما لم نجد له محيصا حملناه على انه كان من قبيل ترك الأولى أو من صغائر صدرت منهم سهوا (**قوله** والثانى قول المعتزلة) بناء على أصولهم الفاسدة فى التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح لأن صدور الكبائر عنهم عمدا يوجب سقوط هيبتهم فى القلوب وانحطاط رتبتهم فى أعين الناس فيؤدى الى النفرة عنهم وعن الانقياد لهم ويلزم منه افساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة (**قوله** سهوا) الا الصغائر الخسيسة وهى ما يلحق فاعلها بالارذال والسفل والحكم بالخسة ودناءة الهمة كسرقة حبة أو لقمة فانها لا تجوز أصلا لا عمدا ولا سهوا (**قوله** مطلقا) أى عمدا أو سهوا (**قوله** والصغائر عمدا فلا) وهو المختار (**قوله** وعلى ذلك كثير) من المحدثين والأشاعرة وغيرهم (**قوله** الى جميع الناس) والى الجن أيضا (**قوله** وعموم بعثة نوح) جواب سؤال مقدر (**قوله** بالطوفان) أى طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل ونحوه

بل الرسول اذا بلغ قومه عن الله بدعائه اياهم الى توحيده وعبادته انتهض تبليغه اياهم حجة على جميع من وصل اليه انه بلغ قومه ذلك وان المعجزة دلت على صدقه اذ لا فرق فى ذلك بين انسان وانسان لكل منهما عقل يهتدى به ولذا عم الاغراق قوم نوح وغيرهم ممن بلغته الدعوة لانه لبث فى قومه يدعوهم الى الله ألف سنة الا خمسين عاما ثم ان معجزة نبينا الكبرى القرآن العظيم وهو باق دال

(قوله انه بلغ ذلك) لان اعلام الانبياء باهرة للعقول فكما لا يعذر من شاهدها ولم يؤمن وزعم انه يستدل كذلك من سمع خبرها بالبلاغ المطبق الذى لا يحتمل الكذب كما ذكر ذلك العلماء (قوله وان المعجزة دلت على صدقه) والمراد من الدلالة الدلالة العادية لا العقلية ولا السمعية قال فى شرح المواقف وهذه الدلالة ليست عقلية محضة كدلالة العقل على وجود الفاعل ودلالة احكامه واتقانه على كونه عالما صدر عنه فان الأدلة العقلية ترتبط بنفسها بمدلولاتها ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها وليست المعجزة كذلك فان خوارق العادات كانفطار السموات وانتثار الكواكب وتدكدك الجبال يقع عند تصرم الدنيا وقيام الساعة ولا ارسال فى ذلك الوقت وكذلك تظهر الكرامات على أيدى الأولياء من غير دلالة على صدق مدعى النبوّة ولا دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبى فيدور بل هى دلالة عادية كما أشار اليه بقوله وهى عندنا اجراء الله تعالى عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه أى عقيب ظهور المعجزة فان اظهار المعجزة على يد الكاذب وان كان ممكنا عقلا فمعلوم انتفاؤه فلا تكون دلالته عليه عقلية لتخلف الصدق عنه فى الكاذب بل عادية كسائر العاديات لأن من قال أنا نبى ثم نتق الجبل وأوقفه على رؤسهم وقال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم واذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة انه صادق فى دعواه والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب مع كونه ممكنا عنه امكانا عقليا لشمول قدرته تعالى للممكنات باسرها انتهى (قوله ألف سنة الخ) كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قوله القرآن العظيم الخ) وقد اختلف فى وجه اعجازه اختلافا كثيرا ولنقتصر على ما قاله القاضى عياض فى الشفاء قال اعلم ان القرآن منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشان والثانى صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ثم قال وكل من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع اعجازه على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما ثم قال الثالث ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البادية والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار

على

على صدقه على مرور الدهور وكر العصور والذى وجب على الرسل التبليغ وقد بلغوا كما وجب عليهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم كان كمنذر جيش يقول صبحكم مساكم ولم يزل يجتهد فى التبليغ الى جميع الناس فارسل رسله الى الملوك قاطبة وهو صلى الله عليه وسلم مثابر على مرضاة ربه حتى انه لما حج جمع الناس فقال للناس هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد يقول ذلك ثلاثا * و يستحيل عليهم الكذب والالم يكونوا أمناء وحيه سبحانه وقد علم الله سبحانه منهم الصدق والامانة فاختارهم لتبليغ رسالته وحفظ أماناته وأمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ومن المعلوم ان علمه تعالى محيط بما لا نهاية له فلزم ان تصديقه تعالى لهم مطابق لما علمه منهم وان جميع أقوالهم وأفعالهم على وفق ما يختاره سبحانه و يرضاه لكن تجوز الاعراض البشرية عليهم ولا يقدح ذلك فى نبوتهم وعلو منزلتهم عند الله بل تزيدها علوا وقدرا لان الذى ثبت لهم هو الرسالة لا الالوهية وفى حصول الاعراض لهم وطروها عليهم رفع لدرجاتهم أيضا من غير قدح فى رسالتهم اذ لا يخل شئ من الاعراض البشرية بمنصبهم ولا يمتنع فى حقهم الا ما يقدح فى ثبوت الرسالة وليس فى ذلك الا مضاعفة الأجور وفيها أيضا أعظم دليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام وانهم مبعوثون من عند الله سبحانه وتعالى وان تلك الخوارق التى ظهرت على أيديهم هى بمحض خلق الله تعالى تصديقا لهم عليهم الصلاة والسلام اذ لو كان لهم قوة على اختراعها لدفعوا عن أنفسهم ما هو أيسر منها من الأمراض والجوع وألم الحر والبرد وغير ذلك مما سلم منه كثير ممن لم يتصف بالنبوة وفيه أيضا رفق بضعفاء العقول لئلا

أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه و يأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الأربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه الى آخر ما قال (قوله وكر العصور) فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه مما أخبر به من المغيبات انه سيكون و يدل على صحة دعواه (قوله يقول) صفة منذر أو حال منه أو استئناف بيانى (قوله كمنذر جيش) من الانذار أى معلم الجيش بعدوله كمين (قوله صبحكم مساكم) أى العدو والفعلان بتشديد العين للمبالغة (قوله والالم يكونوا أمناء وحيه) لانهم أرسلوا ليعلموا الخلق بأقوالهم وأفعالهم فيلزم ان لا يكون فى جميعها مخالفة لامر الله تعالى الذى اختارهم على جميع خلقه وآمنهم على سر وحيه (قوله وحفظ اماناته) فيستحيل ان يكونوا فى نفس الامر على خلاف ما علمه الله تعالى منهم (قوله وأفعالهم) فانهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لانقلب المحرم والمكروه طاعة فى حقهم لان الله أمرنا بالاقتداء بهم والله تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه (قوله علوا وقدرا) باعتبار عظم أجرهم

يعتقدوا فيهم الألوهية بما يرون لهم من الخوارق والخواص التي خصهم الله بها ولهذا رد الله سبحانه على النصارى قولهم بألوهية عيسى وأمه بافتقارهما الى الاعراض البشرية من أكل الطعام وغيره هذا واعلم انه قد علم من دين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين هم حملة دين الله الاسلام الينا ضرورة اتباعه صلى الله عليه وسلم من غير توقف ولا تعلثم ولا نظر أصلا في جميع أقواله وأفعاله الا ما قام دليل على اختصاصه به وكانوا يتبعون أحواله صلى الله عليه وسلم فيجلسون اذا جلس ويخلعون جميع نعالهم اذا خلع الى غير ذلك من الأحوال والأقوال والأفعال وكانوا أيضا يبحثون عن هيئة جلوسه وكيفية أكله وغير ذلك حتى ان بعض السلف الصالح ترك أكل البطيخ لانه لم يبلغه كيفية أكله صلى الله عليه وسلم له ولقد أدار ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلته في مكان فلما سئل أجاب بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم أدار راحلته فيه ومن ذلك الاتباع أيضا قول عمر رضي الله عنه للحجر الاسود ولقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك وبالجملة فمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين وجدهم أحرص الناس على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله والحق ان أفعال الرسل دائرة بين الايجاب والندب لا غير لان المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة فقط كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم الا مصاحبا للنية يصير بها قربة وأقل ذلك ان يقصدوا التشريع وذلك من قربة التعليم والمؤمن لو نوى بمباحاته جميعها مثل ذلك من النيات انقلبت طاعات كما اذا نوى بنومه وأكله وشربه التقوى على

(قوله من أكل الطعام وغيره) كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الى قوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وفيه أيضا فائدة عظيمة وهي تشريع الاحكام للخلق المتعلقة بها كما عرف أحكام السهو في الصلاة من سهوه عليه الصلاة والسلام وكيفية أداء الصلاة في حال المرض والخوف من فعله صلى الله عليه وسلم وهيئة أكل الطعام وشرب الماء من أكله وشربه صلى الله عليه وسلم (قوله اذا خلع) وينزعون خواتمهم اذا نزع وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام عند ما رأوه صلى الله عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته في قضية الحديبية (قوله حتى ان بعض السلف الصالح) قال السنوسي وأظنه أحمد بن حنبل رحمه الله وقوله له فانه لما قيل له في ذلك قال يمنعني من أكله انه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فيه) وكذلك لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم اذا هل هلال ذي الحجة وانما يحرم في يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند في ذلك كله لفعله صلى الله عليه وسلم (قوله من قربة التعليم) وناهيك بمنزلة قربة التعليم وفضلها

طاعة الله سبحانه وتعالى فانه يكون عبادة فكيف بسيد المرسلين الذى فاق بالقيام بحقوق العبودية لما اختارها على الملك على جميع البرية وقد ثبت انه تفطرت قدماه من كثرة قيامه لمولاه مع ماحباه وأولاه واعلم أيضا انه وان جاز لحوق الامراض بهم فهى لا تتعدى أبدانهم الشريفة الى قلوبهم باعتبار مافيها من المعارف فلا يخل المرض بشئ منها ولا يكدر عليها صفوها ولا يوجب لهم ضجرا ولا ضعفا لقواهم الباطنة وكذلك النوم والجوع لا يستوليان على قلوبهم ولهذا كانت تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وكان ينهى غيره عن الوصال فى الصوم مع انه كان يفعله معللا له بانى لست كاحدكم ان ربى يطعمنى ويسقينى وفائدة اصابة ظواهرهم بالامراض مامر ذكره من تعظيم أجرهم والله قادر على ان يوصل ذلك اليهم من غير ذلك لكنه سبحانه اختار ذلك لحكمة ولو لم يكن منها الا مامر ذكره من زيادة تصديقهم والرفق بضعفاء العقول من تابعيهم لكفى وفى ذلك أيضا التشريع للامة ليكونوا لهم قدوة فلا يضجروا عند نزول الحوادث وليصبروا كما صبر من هو أفضل وأعلى منهم وليعلموا مقدار الدنيا فلو كانت عند الله سبحانه تساوى أدنى شئ لأفاضها على حبيبه وخاصته من أنبيائه وأوليائه واذا نظر العاقل بعين بصيرته الى ما كان عليه الانبياء والمرسلون من انحرافهم عن الدنيا وأخذهم قدر البلغة منها وكيف كان صلى الله عليه وسلم فى مأكله وملبسه وجميع أحواله علم يقينا ان لا قدر لها عند الله سبحانه وانها بجنب ما أعد الله لعباده من النعيم المقيم كالاقذار عند الازهار أو كالجيفة فى شاطئ الانهار ومن ينظر بنور ايمانه الى الجنان كيف يطمئن الى دار الهم ومكابدة الاحزان بل يسعى كل سعيد فى طلب رضا ربه الموجب لاستدرار فضله الذى يتلقى به كل احسان ويحظى باللذة الابدية فى بحبوحة الجنان رزقنا الله سبحانه رضاه والجنة وأبعدنا عن موجبات سخطه وعن كل محنة هادين مهديين غير مبدلين ولا محرفين آمين

﴿الباب الحادى عشر فى بيان كيفية حياة الأنبياء والشهداء ومقر أرواحهم المقدسة وما يتبع ذلك﴾

أخرج أبو يعلى والبيهقى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون

(قوله من المعارف) والأنوار التى لا يعلم قدرها الا الله تعالى الذى من عليهم بها (قوله بشئ منها) ولا بقلامة ظفر (قوله لقواهم الباطنة) أصلا كما هو موجود كذلك فى حق غيرهم فالمرض وان كان يقع بهم لخدمه منهم البدن الظاهر (قوله عن الدنيا) وعن زخرفها الذى غر كثيرا من الحمقاء (قوله أو كالجيفة الخ) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها جرعة ماء فينبغى للانسان ان يكون فى الدنيا شبه المسافر المستعجل كما قال صلى الله عليه وسلم كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

وأخرج أحمد ومسلم فى صحيحه والنسائى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى على موسى قائما يصلى فى قبره قال المناوى لفظ رواية مسلم مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو يصلى فى قبره أى يدعو ويثنى عليه ويذكره فالمراد الصلاة اللغوية وقيل المراد الشرعية وعليه القرطبى فقال الحديث بظاهره يدل على انه رآه رؤية حقيقية فى اليقظة وانه حى فى قبره يصلى الصلاة التى كان يصليها فى الحياة وذلك ممكن ولا مانع من ذلك لانه الى الآن فى الدنيا وهى دار تعبد فان قيل كيف يصلون بعد الموت وليس تلك حالة تكليف قلنا ذلك ليس بحكم التكليف بل بحكم الاكرام لهم والتشريف لانهم حبب لهم فى الدنيا الصلاة فلزموها ثم توفوا وهم على ذلك فشرفوا بابقاء ما كانوا يحبونه عليهم فتكون عبادتهم الهامية كعبادة الملائكة لا تكليفية ويدل عليه خبر يموت المؤمن على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه ولا تدافع بين هذا وبين رؤيته اياه تلك الليلة فى السماء لان للانبياء مراتع ومسارح يتصرفون فيما شاؤا ثم يرجعون أولان أرواح الأنبياء بعد مفارقة البدن فى الرفيق الأعلى ولها اشراف على البدن وتعلق به يتمكنون من التصرف والتقرب بحيث يرد السلام على المسلم وبهذا التعلق رآه يصلى فى قبره ورآه فى السماء فلا يلزم كون موسى عرج به من قبره ثم رد اليه بل ذلك مقام روحه واستقراره الى يوم معاد الارواح كما ان نبينا بالرفيق الاعلى وبدنه فى ضريحه يرد السلام على من يسلم عليه ومن كثف ادراكه وغلظ طبعه عن ادراك هذا فلينظر الى السماء فى علوها وتعلقها وتأثيرها فى الارض وحياة النبات والحيوان والى النار كيف تؤثر فى الجسم البعيد مع ان الارتباط الذى بين الروح والجسد أقوى وأتم وألطف واذا تأملت هذه الكلمات علمت ان لا حاجة الى التكلفات البعيدة التى منها ان هذا كان رؤية منام أو تمثيل أو اخبار عن وحى لا رؤية عين انتهى وقال الحافظ زين الدين بن رجب فى كتاب أهوال القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة فى البرزخ وان لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكن انما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة فى الجنة وان لم يكن على ذلك ثواب لان نفس الذاكر بالطاعة أعظم نعيما عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله انتهى وقد جعل الله الشهداء أحياء عنده يرزقون وهم بحسب رؤيتنا يتشحطون فى الدماء ولا مخالفة فى ذلك اذ لو كانوا فى رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لارتفع الايمان بالغيب قال السبكى عود الروح الى الجسد فى القبر ثابت فى الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى ان البدن يصير حيا بها كحالته فى الدنيا أو حيا بدونها وهى حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلى فهذا أى ان البدن يصير بها حيا كحالته فى الدنيا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء يشهد له صلاة موسى فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة

فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجساد ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التى نشاهدها بل يكون لها حكم آخر وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى وقال غيره اختلف فى الحياة هل هى للروح فقط أو للجسد معها بمعنى عدم البلاء له على قولين وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ماقبضوا اردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقال ابن القيم فى مسئلة تزاور الارواح وتلاقيها الارواح قسمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهى فى شغل عن التزاور والتلاقى وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى فان قيل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء كيف يكونون أمواتا أحياء قلنا يجوز ان يحييهم الله فى قبورهم وأرواحهم تكون فى جزء من أبدانهم يحس جميع بدنه بالنعيم واللذة لاجل ذلك الجزء كما يحس جميع بدن الحى فى الدنيا ببرودة أو حرارة تكون فى جزء من أجزاء بدنه وقيل المراد أجسامهم لا تبلى فى قبورهم ولا تنقطع أوصالهم فهم كالاحياء فى قبورهم وقال أبو حيان فى تفسيره عند هذه الآية اختلف الناس فى هذه الحياة فقال قوم معناها بقاء أرواحهم دون أجسامهم لما نشاهد فسادها وفناءها وذهب آخرون الى ان الشهيد حى الجسد والروح ولا يقدح فى ذلك عدم شعورنا به

(قوله حكم آخر) فليس فى العقل مايمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم (قوله فى شغل) فيما هى فيه من العذاب (قوله وتتزاور) وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ومايكون من أهل الدنيا (قوله الذى هو على مثل عملها) قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فان المرء مع من أحب فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء وقد وردت السنة بذلك كما روى ابن أبى الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يارسول الله لايزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل يتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذى نفسى بيده ياأم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤس الشجر وكان لايهلك هالك من بنى سلمة الاجاءته أم بشر فقالت يافلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام وقد وردت أحاديث كثيرة بان الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج اليهم كيف كان ماوراءك وفى أى الجسدين كنت فى طيب أم خبيث وماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قدمات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية (قوله بل أحياء عند ربهم) يرزقون

فنحن نراهم على صفة الاموات وهم أحياء كما قال سبحانه وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب وكما ترى النائم في هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم قلت ولذلك قال تعالى بل
أحياء ولكن لا تشعرون فنبه بقوله ذلك خطابا للمؤمنين على انهم لا يدركون هذه الحياة بالمشاهدة
والحس و بهذا يتميز الشهيد عن غيره ولو كان المراد حياة الروح فقط لم يحصل له تمييز عن غيره لمشاركة
سائر الاموات له في ذلك ولعلم المؤمنين بأمرهم حياة كل الارواح فلم يكن لقوله ولكن لا تشعرون
معنى وقد يكشف الله لبعض أوليائه فيشاهد ذلك وقد اختلفت الروايات في تعيين مقر أرواح
الشهداء ففي بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل تحت
العرش وفي بعضها على بارق بباب الجنة يخرج اليهم رزقهم من الجنة وفي بعضها في قباب في رياض
بفناء الجنة وفي بعضها تعلق من ثمر الجنة أي تأكل العلقة وهي ما يتبلغ به من العيش وفي بعضها عن
أرواح المؤمنين انها في حواصل طير خضر أيضا وانها تعلق أيضا وفي بعضها عن أرواح الشهداء في
حواصل طير بيض وعن أرواح المؤمنين في عليين وورد أيضا في السماء السابعة وفي برزخ من
الارض بين السماء والارض وورد باريحاء و بزمزم قال ابن القيم مسئلة الارواح بعد الموت عظيمة

والآية نزلت في شهداء أحد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
(قوله جامدة) ثابتة في مكانها (قوله مر السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا
تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (قوله الشهداء) جمع شهيد فعيل بمعنى مفعول
لأنه مشهود له بالجنة أو يبعث وله شاهد بقتله وهو دمه أو بمعنى فاعل لأن روحه تشهد الجنة قبل غيره
(قوله تحت العرش) كما في حديث عبد الله بن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أصيب اخوانكم يعني يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من
ثمارها وتأوى الى قناديل مظللة في ظل العرش رواه الامام أحمد وأبو داود و بمعناه في حديث ابن
مسعود رواه مسلم فانهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ
أبدانا خيرا منها تكون فيها الى يوم القيامة و يكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم
الأرواح المجردة عنها (قوله من الجنة) كما في حديث ابن عباس الآتي (قوله تعلق) روى
بفتح اللام وهو الأكثر و يروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الأكل والرعي يعني تأكل من ثمار
الجنة وتسرح بين أشجارها والعلوقة والعلاق والعلوق الأكل والرعي تقول العرب ماذاق اليوم
علوقا أي طعاما قال الربيع بن زياد يصف الخيل

وجنبات ما يذقن علوقة * يمضغن بالمهرات والامهار

(قوله من ثمر الجنة) كما في رواية ابن عباس (قوله طير بيض) كما في رواية معمر عن قتادة

لاتتلقى الامن السمع وقدقيل ان أرواح المؤمنين كلهم فى الجنة الشهداء وغيرهم اذالم تحبسهم كبيرة لظاهر الاحاديث ولقوله تعالى فاماان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قسم الارواح عقب خروجها من البدن الى ثلاثة مقربين وأخبرانها فى جنة نعيم وأصحاب يمين وحكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة وأخبران لها نزلا من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الى قوله وادخلى جنتى قال جماعة من الصحابة والتابعين انه يقال لها عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة وقال ابن حزم فى طائفة مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها أى عن يمين آدم وشماله وهذا مادل عليه الكتاب والسنة قال تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم الآية وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية فصح ان الله خلق الأرواح جملة وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخذ الله عهدها وشهادتها بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل ان تؤمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها فى الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها حيث

(قوله اذالم تحبسهم كبيرة) ولادين ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر وقوله لظاهر الأحاديث كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة وغيره من الأحاديث (قوله فاماان كان) أى المتوفى وقوله فروح فله استراحة وقوله وريحان ورزق وقوله وجنة نعيم ذات تنعم (قوله من البدن) بالموت (قوله وحكم لها بالسلام) قال تعالى وأماان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين (قوله وتصلية جحيم) كما قال تعالى وأماان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم (قوله المطمئنة) وهى التى اطمانت بذكر الله (قوله الى ربك) الى أمره وموعده بالموت راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلى فى جملة عبادى الصالحين وادخلى جنتى معهم (قوله بشارة) لاينافى ذلك قول من قال ان هذا يقال لها فى الآخرة لأنه يقال لها ذلك عند الموت وعند البعث وأول بشارة الآخرة عند الموت (قوله فى طائفة) أى معها (قوله من ظهورهم الآية) أى اقرأها وهى ذريتهم أى أخرج من أصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (قوله ثم صورناكم الآية) أى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين (قوله جنود مجندة) أى جموع مجموعة كما يقال ألوف مؤلفة (قوله فما تعارف منها ائتلف) أى كل روح شارك الآخر فى المعرفة ائتلف .بيانه انه تعالى عرف ذاته الأرواح بنعوته فعرفها بعض الأرواح بالقهر والجلال و بعضها باللطف والجمال و بعضها بالصبر ثم استنطقها بقوله ألست بربكم ثم أودع الأرواح فى الأجساد (قوله وماتناكر منها اختلف) أى كل

شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت ثم قال فصح ان الأرواح أجسام حاملة لاعراضها من التعارف والتناكر وانها عارفة مميزة فيبلوهم الله فى الدنيا بما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ثم قال هؤلاء بيمينه فى العلو والسعة وهؤلاء بيساره فى السفل والسجن وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء الى الجنة وقيل هى على أفنية قبورها وقال ابن القيم أيضا وهذا القول ان أريد به انها ملازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة وعرض المقعد لا يدل على ان الروح فى القبر ولا على فنائه بل على ان لها اتصالا به يصح ان يعرض عليها مقعدها فان للروح شأنا آخر فتكون فى الرفيق الأعلى وهى متصلة فى البدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهى فى مكانها هناك وهذا جبريل عليه السلام رآه النبى صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان سدا الأفق وكان يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه الى ركبتيه وكفيه على فخذيه وقلوب المخلصين تتسع للايمان بان من الممكن انه يدنيه منه وهو فى مستقره من السموات ثم قال وانما يأتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس

روح لم يشارك الآخر فى المعرفة المذكورة اختلف أى قلبه مع قلب الآخر وان تقارب جسداهما اذ الائتلاف والاختلاف للقلوب (قوله عند الموت) ففيه الاخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها على الأجساد أى انها خلقت أول خلقها على قسمين من الائتلاف والاختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والأخلاق فى مبدأ الخلق يقول ان الأجساد التى فيها الأرواح تلتقى فى الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل اليهم والشرير يحب الأشرار ويميل اليهم (قوله عن يساره) وذلك عند منقطع العناصر (قوله الى الجنة) قال ابن حزم وهذا قول جميع أهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى آخرها فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها فى الأجساد ثم رجوعها الى البرزخ وتقوم الساعة ويعيد الله عز وجل الأرواح الى الأجساد ثانية وهى الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق فى الجنة وفريق فى السعير مخلدين فيها أبدا انتهى (قوله على أفنية قبورها) وقد ذهب الى هذا جماعة منهم أبو عمرو بن عبد البر (قوله ولا على فنائه) أى دائما من جميع الوجوه (قوله به) أى بالقبر وفنائه (قوله وهى فى مكانها هناك) كروح نبينا صلى الله عليه وسلم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى

مايعهد من الأجسام التى اذا أشغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره وهذا اغلاط محض وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء موسى قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال فى البدن بحيث يصلى فى قبره ويرد على من يسلم عليه وهو فى الرفيق الأعلى ولاتنافى بين الأمرين فان شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الأرض وان كان غير تام المطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض للشمس وأما الروح فهى تنزل وأما رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة الاسراء فى السموات فالصحيح انه رأى الأرواح فى مثال الأجساد مع ورود انهم أحياء فى قبورهم يصلون ثم قال وهذا مع القطع بان روحه فى أعلى عليين أو الجنة أو السماء وان لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلى وتقرأ وانما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوى ليس فيه مايشابه هذا وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير هذا المألوف فى الدنيا انتهى وقال فى موضع آخر للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاول فى بطن الأم الثانى بعد الولادة الثالث فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه الرابع فى البرزخ فانها وان كانت فارقته بالموت فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لم يبق اليه التفات الخامس تعلقها يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا ثم سرد الأقوال فقال ولا يحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا بالبطلان بل الصحيح ان الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فان كلا

قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة أو السابعة فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال تسير كلمح البصر واما ان تكون متصلة بالقبر وفنائه كشعاع الشمس وجرمها فى السماء (قوله انتهى) وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وقال مالك بلغنى ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد أرواح الكفار فى النار وأرواح المؤمنين فى الجنة وقالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت وقال كعب أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد ابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت وبقيت أقوال أخر أعرضنا عنها وعن دلائل أصحاب هذه الأقوال خوف الاطالة (قوله متغايرة) أى فى الأحكام (قوله فى بطن الأم) أى جنينا (قوله فى البرزخ) هو الحاجز بين كل شيئين وهو هنا مابين الدنيا والآخرة (قوله بحيث لم يبق اليه التفات) البتة (قوله لما قبله) من أنواع التعلق (قوله ثم سرد الأقوال) فى مستقر الروح ومأخذ أربابها

منهاوارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم فى السعادة والشقاوة فنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين كما فى حديث البارق ومنهم من يكون على باب الجنة كما فى حديث ابن عباس ومنهم من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة ومنهم من يكون محبوسا فى الأرض لم تصل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان الانفس الارضية لاتجامع الانفس السمائية كما انها لاتجامعها فى الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها وأصحاب عملها ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة وأرواح فى نهر الدم الى غير ذلك فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتبين مقارها لها الاتصال باجسادها فى قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى بعد كلام على

(**قوله** كما فى حديث ابن عباس) أى المتقدم وكما فى المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال مالى ان قتلت فى سبيل الله قال الجنة فلما ولى قال الا الذى سارنى به جبريل آنفا وكما ورد فى الحديث الآخر رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة (**قوله** صاحب الشملة) التى غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا فى قبره (**قوله** وأصحاب عملها) والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به لتقرب اليه هى أرضية لاتكون بعد المفارقة لبدنها الا هنالك كما ان النفس العلوية التى كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب فى البرزخ ويوم القيامة (**قوله** فى نهر الدم) كما فى الحديث الطويل الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب فان منه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتينا على مثل التنور فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا فقال قلت ما هؤلاء قال انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على نهر أحمر مثل الدم فاذا فى النهر رجل يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما سبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لى انطلق انطلق ثم قالا له فى الجواب فى آخر الحديث أما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربا (**قوله** الى غير ذلك) مما وردت به السنة (**قوله** فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد) بل روح فى أعلى عليين وروح أرضية سفلية لاتصعد عن

نحو

نحو ماتقدم ومع ذلك فاذا نقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستقر وكذا لو تفرقت الاجزاء انتهى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه فى قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فان قيل الاموات كلهم كذلك فالجواب ان الكل ليس كذلك لان الموت عبارة عن ان تنزع الروح عن الاجساد لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية أى يأخذها وافية من الاجساد والمجاهد تنقل روحه الى طير أخضر فقد انتقل من جسد الى آخر بخلاف غيره فان أرواحهم تنفى من الاجساد وأما حديث كعب نسمة المؤمن فهذا العموم محمول على المجاهدين لانه قد ورد ان الروح فى القبر يعرض عليها مقعدها من الجنة والنار ولا نا أمرنا بالسلام على أهل القبور ولولا الارواح لما أمرنا بالسلام عليهم قال الامام السيوطى اختار فى أرواح الشهداء انها تكون فى طير لا انها نفسها طير كما عليه غيره ويؤيده ماورد عن ابن عمر انها تركب فى جسد آخر وهو وان كان موقوفا فله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى وقد رأيت له شاهدا مرفوعا انتهى وقال ابن القيم لامنافاة بين حديث انه طائر يعلق فى شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لانه لايدخله الا يوم الجزاء بدليل أن منازل الشهداء يومئذ ليست هى التى تأوى اليها أرواحهم فى البرزخ فدخول الجنة التام انما يكون للانسان التام روحا وبدنا

الأرض (قوله وافية من الأجساد) بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها (قوله من جسد الى آخر) فان قلت فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح فى أبدان غير أبدانها التى كانت فيها قلت هذا المعنى دلت عليه السنة الصريحة فهو حق يجب اعتماده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا وأما الباطل هو مايقوله أعداء الرسل من الملاحدة الذين ينكرون المعاد فانهم زعموا ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التى تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات لتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل فى أبدان اخر تناسبها وهكذا أبدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما تفقت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر (قوله وأما حديث كعب) ابن مالك الذى أخرجه فى الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله نسمة المؤمن أى روحه (قوله فهذا العموم محمول على المجاهدين) قال شارح العقيدة الطحاوية فقوله نسمة المؤمن تعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بان قال هى فى جوف طير خضر ومعلوم انها اذا كانت فى جوف طير صدق انها طير فتدخل فى عموم الحديث بهذا الاعتبار (قوله ليست هى التى تاوى اليها أرواحهم فى البرزخ) فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم فى تلك القناديل المعلقة فى العرش كما تقدم (قوله

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك وفى بحر الكلام للنسفى الارواح على أربعة أوجه أرواح
الانبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون فى الجنة تأكل
وتشرب وتتنعم وتأوى بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح الشهداء تخرج من جسدها
وتكون فى أجواف طير خضر تأكل وتتنعم وتأوى بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح
المطيعين من المؤمنين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر فى الجنة وأرواح العصاة من
المؤمنين تكون بين السماء والارض فى الهواء وأما أرواح الكفار فتكون فى سجين فى جوف
طير سود تحت الارض السابعة وهى متصلة بأجسادها فتعذب الارواح وتتألم الاجساد كالشمس فى
السماء ونورها فى الارض انتهى وحكى عن طائفة من المتكلمين ان الارواح تموت بموت الاجساد
ونسب الى المعتزلة وقال به جماعة من فقهاء الاندلس منهم عبد الاعلى بن وهب ومن متأخريهم جماعة
كالسهيلى وأبى بكر بن عربى وقد اشتد نكير العلماء على هذه المقالة فانها قول أهل البدع
والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الارواح بعد مفارقتها للابدان ترد ذلك وتبطله والفرق بين حياة
الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم فى الجنة من وجهين أحدهما ان أرواح الشهداء
يخلق لها أجساد وهى الطير التى تكون فى حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم
الارواح المجردة عن الاجساد فان الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل فى سبيل الله فعوضوا عنها بهذه
الاجساد فى البرزخ والثانى انهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت فى حقهم مثل ذلك وان جاء انهم
يعلقون فى شجر الجنة فقيل معناه التعلق وقيل الاكل من الشجرة وبكل حال فلا يلزم مساواتهم
للشهداء فى اكمال النعيم وفى هذا الباب فوائد منها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تأكل الارض
أجسادهم الشريفة بل هم طريون على ما كانوا عليه فى الدنيا وكذلك ما ورد فيه مثل ذلك نؤمن به
ومنها ان الاولى الامساك عن الكلام فى الروح لانها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك) ونظيره أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوا وعشيا
فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فى البرزخ فتنعم الأرواح
بالجنة فى البرزخ شئ وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شئ آخر فغذاء الروح من الجنة فى البرزخ
دون غذائها مع بدنها يوم البعث ولهذا قال تعلق فى شجر الجنة أى تأكل العلقة وأما تمام الأكل
والشرب واللبس والتمتع فانما يكون اذا ردت الى أجسادها يوم القيامة فظهر انه لا يعارض هذا
القول من السنة شئ وانما السنة تعاضده وتوافقه (قوله ان الأرواح تموت بموت الأجساد)
واستدلوا على موتها بانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الأدلة على انه لا يبقى الا الله
وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال كل شئ هالك الا

فوقوف

فوقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر ومنها ان أكثر المسلمين على ان الروح جسم لطيف لوصفها فى الآيات والاحاديث بصفات الاجسام والاعراض ليست بهذه الصفات والالقام العرض بالعرض وهو فاسد

وجهه قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت وقد قال تعالى عن أهل النار انهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فالموتة الاولى هى المشهورة للبدن والأخرى للروح وأجيب عن ذلك بان الأرواح مستثناة فى قوله تعالى الا من شاء الله من عموم كل من عليها فان وكل شئ هالك الا وجهه كما قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وأما قول أهل النار فتفسيرها الآية التى فى البقرة وهى قوله تعالى فكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا أمواتا وهم نطف فى اصلاب آبائهم وفى أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس فى ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيامة قال ابن القيم والصواب ان يقال ان موت النفوس مفارقتها الأجساد هلا خروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهى لا تموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم أو فى عذاب انتهى (**قوله** فوقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر) قال تعالى و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى (**قوله** على ان الروح جسم لطيف) نورانى علوى حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء و يسرى فيها سريان الماء فى الورد والدهن فى الزيتون فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف ساريا فى هذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الأرواح (**قوله** بصفات الأجسام) كما فى قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية ففيها الاخبار بتوفيها وامساكها وارسالها وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالاخراج والخروج والاخبار بعذابها بعد ذلك والاخبار عن مجيئها الى ربها الى غير ذلك من الصفات المذكورة فى الآيات والأحاديث كتوفيها بالليل و بعثها الى أجسادها بالنهار وتوفى الملائكة لها عند الموت والرجوع والدخول والرضى والصعود وغير ذلك من الصفات الدالة على انها جسم خفيف (**قوله** وهو فاسد) بل ممتنع كما ذهب اليه جمهور المتكلمين متمسكا بوجهين الأول ان معنى قيام العرض بالمحل انه تابع له فى التحيز فما يقوم به العرض يجب ان يكون متحيزا بالذات ليصح كون الشئ تبعا له فى التحيز والمتحيز بالذات ليس الا

ومنها وهو الصحيح ان الروح والنفس شئ واحد وقال كثير ومنهم ابن عبد السلام ان فى الجسد روحين احداهما روح اليقظة والاخرى روح الحياة وقد سمى بعضهم روح الحياة نفسا وفى ذلك كلام كثير واستدلال غزير لاتفى هذه العجالة ببسطه ومنها ان الروح فى القلب وبه جزم الغزالى وأورد له الامام السيوطى حديثا يستأنس به ومنها ما أجمع عليه أهل السنة من ان الروح

الجوهر الثانى لو قام عرض بعرض فلا بد فى الآخرة من جوهر ينتهى اليه سلسلة الاعراض ضرورة امتناع قيام العرض بنفسه وحينئذ فقيام بعض الاعراض بالبعض ليس أولى من قيام الكل بذلك الجوهر بل هذا أولى لأن القائم بنفسه أحق بان يكون محلا مقوما للاحال ولأن الكل فى حيز ذلك الجوهر تبعا له وهو معنى القيام وجوز الفلاسفة قيامه به والجواب عن دلائلهم و بيان بطلانها ودفع ما اعترضوا به على المتكلمين مبسوط فى الكتب الكلامية (قوله ان الروح والنفس شئ واحد) وعليه الجمهور (قوله لاتفى به هذه العجالة) ولكن ننقل ما قاله ابن القيم قال ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على أمور أحدها الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراشة

نجا سالما والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

أى بجفن ومئزر والنفس الدم يقال سالت نفسه وفى الحديث مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى تميم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم والنفس العين يقال أصابت فلانا نفس أى عين والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تسلموا على أنفسكم وقوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله كل نفس بما كسبت رهينة وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى ياأيتها النفس المطمئنة وقوله أخرجوا أنفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله ان النفس لأمارة بالسوء وأما الروح فلا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن الذى أوحاه الى رسوله قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وعلى الوحى قال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن وسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا امامن الشئ النفيس لنفاستها وشرفها وامامن تنفس الشئ اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها فى البدن سميت نفسا فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمى الدم نفسا لأن خروجه الذى يكون معه الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس انتهى ملخصا (قوله

مخلوقة

مخلوقة محدثة ومنها الاختلاف الواقع فى خلق الارواح قبل الاجساد أم بعدها عند نفخها فيها والاول هو المشهور المذكور ومنها بقاء الروح بعد موت البدن وتكون مستثناة فى قوله تعالى الا من شاء الله من عموم كل من عليها فان كما قيل فى الحور العين وفيه مباحث كثيرة والمقصود منه بيان كيفية الحياة ومقر الارواح وهو متحصل مما نقلته لك فمثل ذلك لا يؤخذ الا من السمع ولا مجال فيه للعقل فيجب الايمان به على حسب ما ورد ولا تتعرض لما فيه لدد ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

﴿الباب الثانى عشر فى أحكام زيارة القبور وما فيها من صدق وزور وفى بعض التعرض لحكم شد الرحال اليها وما فى حكم ذلك من أحكامها ومحظوراتها﴾

روى بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ففى هذا الحديث تصريح بوقوع النهى فى صدر الاسلام عن زيارتها لكونها مبدأ عبادة الاصنام وكان ابتداء ذلك الداء العضال فى قوم نوح النبى عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله سبحانه به فى كتابه فقال تعالى قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال ابن عباس وغيره من السلف

مخلوقة محدثة) اذ لا قديم عندهم الا الله وصفاته عند من أثبتها زائدة على ذاته لكنهم اختلفوا فى انها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن ثم أنشأناه خلقا آخر والمراد بهذا الانشاء افاضة النفس على البدن وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الأرواح قبل الأجساد بالفى عام قال فى المواقف وشرحه وغاية هذه الأدلة الظن دون اليقين الذى هو المطلوب أما الآية فلجواز أن يريد بقوله ثم أنشأناه جعل النفس متعلقة به وانما يلزم من ذلك حدوث تعلقها لا حدوث ذاتها وأما الحديث فلانه خبر واحد فتعارضه الآية وهى مقطوعة المتن مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فلكل رجحان من وجه فيتقاومان انتهى وأما الفلاسفة فانهم قد اختلفوا فى حدوثها فقال به ارسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقال بقدمها (قوله بعد موت البدن) منعمة أو معذبة (قوله فى الحور العين) وغيرهم من أهل الجنة ومن فى النار من أهل العذاب وخزنتها (قوله وفيه مباحث) أى فى هذا الباب (قوله مع الشاهدين) بوحدانيتك (قوله انهم عصونى) فيما أمرتهم (قوله الا خسارا) أى اتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارتهم فى الآخرة (قوله كبارا) أى كثيرا فى ايذائه واحتيالهم فى الدين وتحريش الناس على أذى نوح (قوله لا تذرن آلهتكم) أى عبادتها (قوله ولا سواعا) روى محمد بن جرير باسناده الى الثورى عن موسى عن محمد بن

كان هؤلاء قوماصالحين فى قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلماماتوا عكف الناس على قبورهم ثم صور واتماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم فلما كان منشأ عبادة الاصنام من جهة القبور نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أول الاسلام عن زيارة القبور سد الذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بكفر ثم لما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله وذلك فى الاحاديث الكثيرة بعضها فى الاذن و بعضها فى التعليم وفى ضمنها بيان الفائدة التى فى الاذن فمن ذلك مارواه الحاكم عن أبى ذر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له زر القبور تذكر بها الآخرة وذلك لان الانسان اذا شاهد القبر وتذكر الموت وانقطاع هذه الحياة وانقطاع ما ألفه من اللذات وشاهد ببصيرته مايصير اليه من ضيق اللحود وصولة الدود وهو لا يدرى مايصير اليه من الحساب وصعوبة الجواب صار له عظة واعتبارا وحق له ان يفيض من عينه على نفسه دمعا مدرارا

قيس قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم و بهم يسقون المطر فعبدوهم (قوله فعبدوهم) وقد انتقلت الى العرب فكان ود الكلب وسواع الهمدان و يغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسرا لحمير (قوله سد الذريعة الشرك الخ) فان الشرك بقبر الرجل الذى يعتقد نبوته أو صلاحه أقرب وقوعا من الشرك بخشبة أو حجر أو تمثال ولهذا تجد كثيرا من الناس عند القبور يتضرعون و يخشعون و يخضعون و يعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلون مثلها فى بيوت الله تعالى ولا فى وقت السحر (قوله ما ألفه) صاحب القبر المشاهد (قوله من اللذات) وصار تحت التراب وانقطع من الأهل والأصحاب و بعد ان جمع الأموال ونافس الأصحاب جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه وفى حال لم يرتقبه (قوله مايصير اليه) أى المقبور (قوله من ضيق اللحود وصولة الدود) وانه من حين دخل القبر وابتلى بالسؤال هل أصاب فى الجواب أم لا وهل كان قبره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ثم يجعل نفسه كانه مات ودخل القبر وذهب عنه أهله وولده ومعارفه و بقى وحيدا فريدا (قوله وهو) الآن يتساءل ولا يدرى الخ (قوله وصعوبة الجواب) ثم يتأمل حال من مضى من اخوانه وأقرانه الذين أملوا الآمال وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوههم وافترقت فى القبور أجزاؤهم وأرملت بعدهم نساؤهم وشمل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم أموالهم وليعلم ان ميله الى الدنيا كميلهم وغفلته كغفلتهم وانه لا شك صائر الى مصيرهم وليتحقق ان حاله كحالهم ومآله كمآلهم وان الموت السريع بين يديه فانه اذا تذكر ذلك صار له عظة الخ (قوله وحق له ان يفيض من عينه الخ) وانه عند ذلك يلين قلبه وتجتمع

وقد كان الربيع بن خيثم اذا وجد غفلة خرج الى القبور وبكى ويقول كنا وكنتم ثم يحيي الليل كله فيصبح كأنه نشر من قبره قال السبكي وهذا المعنى ثابت في جميع القبور ودلالة القبور على ذلك متساوية كما ان المساجد غير الثلاثة متساوية وقد روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وعن أبى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن بريدة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد ان يزور فليزر ولا تقولوا هجرا وعن أنس رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها ترق القلب وتتبع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا قال العلماء ليس للقلوب سيما القاسية أنفع من زيارة القبور فزيارتها وذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسي وتذهب الفرح وتهون المصائب وزيارة القبور تبلغ فى رفع رين القلب واستحكام دواعى التوبة من الذنب مالا يبلغه غيرها فانه وان كان مشاهدة المحتضر تزعج أكثر لكنه غير ممكن فى كل وقت وقد لا تتفق لمن أراد علاج قلبه بخلاف الزيارة وللزيارة آداب منها ان لا يكون عكوفه على الاجداث فقط فانها حالة تشاركه فيها البهائم بل يقصد بها وجه الله واصلاح فساد قلبه ومافيه نفع للميت بدعائه له وقد كان الاذن منه صلى الله عليه وسلم بعد ان تمهدت قواعد الاسلام وانمحقت كلمات الشرك فأمن مما كان يحذره على أمته ولكنه صلى الله عليه وسلم احتاط فنهى عن الهجر بضم الهاء وهو الباطل من القول قال ابن تيمية قد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فى زيارتها بعد النهى وعلله بانها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن اذنا عاما فى زيارة قبر المسلم والكافر

جوارحه ويزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ويقبل على أعمال الآخرة ويترك هواه ويتوجه الى طاعة مولاه (قوله فان فيها عبرة) رواه الامام أحمد (قوله فانها تذكركم الآخرة) رواه الامام أحمد (قوله فانها تزهد فى الدنيا) وتذكر الآخرة رواه ابن ماجه (قوله فانها تذكر الموت) رواه مسلم فى صحيحه (قوله ولا تقولوا هجرا) رواه الامام أحمد والنسائى (قوله وذكر الموت) الذى هو هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومؤتم البنين والبنات (قوله المحتضر) وهو من حضره الموت (قوله تزعج أكثر) لكون من شاهده يشاهد سكرات الموت ونزعاته وتغير حاله ويتأمل صورته بعد موته فان ذلك يقطع عن النفوس لذاتها وعن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والابدان من الراحة ويبعث على الطاعات (قوله علاج قلبه) فى ساعة من الساعات

والسبب الذى ورد عليه لفظ الخبر يتناول الكافر والعلة موجودة فى ذلك كله وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين انتهى واذا رأيت هذا الاذن لم تجده فى جميع رواياته مطلقا بل مقيدا بالنهى عما هو مخالف لما حمل الشارع على الاذن فيه من التعليل الذى هو المقصود من هذه الاباحة وقد علمنا صلى الله عليه وسلم كيفية الزيارة كما روى بريدة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية وروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أقول يا رسول الله فى زيارة القبور قال قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله عن قريب لاحقون وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم مر بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالاثر فانه صلى الله عليه وسلم بين لنا فائدة زيارة القبور وهى احسان الزائر الى نفسه والى أهل القبور أما احسانه الى نفسه فتذكر الموت والآخرة والزهد فى الدنيا والاتعاظ والاعتبار وأما احسانه الى أهل القبور فبالسلام عليهم كما كانوا فى حال حياتهم والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية لهم من جميع محنهم فانظر كيف مهد لنا صلى الله عليه وسلم أصول هذا الأمر الذى أباحه لنا

(قوله البقيع) بفتح الموحدة وكسر القاف وسكون التحتية مقبرة أهل المدينة (قوله فهذا المعنى يختص بالمسلمين) كما روى ذلك مسلم فى صحيحه (قوله يا أهل الديار) المراد بالديار المقابر وهو جائز لغة قال الخطابى انه يقع على الربع العامر المسكون والخراب وأنشد على ذلك قول النابغة

يا دار مية بالعلياء والسند * أقوت وطال عليها سالف الأمد

وأقوت الدار خلت (قوله وانا ان شاء الله بكم لاحقون) قيل التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتثال أمر الله تعالى وقيل بل الى تلك التربة بعينها (قوله سلف) بفتحتين قيل سلف الانسان من تقدمه بالموت من أقربائه وأقرانه والحاصل انكم مقدمون علينا فى هذا السفر (قوله تبع) بفتحتين أى تابعين على أعقابكم (قوله العافية) أى من العقوبة فى الدنيا والآخرة رواه مسلم فى صحيحه (قوله المتقدمين منا ومنكم) بالموت (قوله والمستأخرين) أى منا بالحياة (قوله لاحقون) رواه مسلم (قوله عن قريب لاحقون) رواه مسلم (قوله فاقبل عليهم) بوجهه (قوله بالاثر) رواه الامام أحمد والترمذى وحسنه والاثر بفتحتين وفى رواية بكسر فسكون

بجميع

بجميع أموره ولم يبق لنا شعبة نتشبث بها خوفا علينا من كيد الشيطان وشروره فان الشرك بقبر الرجل المعروف بالصلاح أقرب الى النفس من الشرك بالاحجار لما ان للشيطان من دسائس يلقيها فى قلوب بنى آدم وقد أدخلها فى قوالب يريهم انها شرعيات وهن تمويهات ثم اذا ألفوها لم تكد ان تفارقها النفوس ولو قطعت بالسيوف فمما ألقاه اليهم بكيده ان قال ان هؤلاء قوم صالحون وعند الله مقربون ولهم ما يشاؤن ولهم الجاه الأعلى والمقام الرفيع الاسمى فمن قصدهم لا يخيب سعيه ولا يطيش رأيه وان ببركتهم تدفع البليات وتقضى الحاجات وبشفاعتهم يتقرب زوارهم الى الله الغفار فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الأوزار الى غير ذلك من الدلائل التى يملأ بها قلوب أهل الامانى بمثل هذه المعانى فيتلاعب بعقولهم السخيفة وآرائهم النحيفة ويحسن لهم البدع والمنكرات بما يلقيه اليهم من الحكايات والخرافات ويحثهم على التقرب الى أهل القبور بما يقدرون عليه من النحر والنذور والتطواف والتزيين بالزين المحرمة من القصب والفضة والذهب وتعليق القناديل وايقاد شموع العسل وتصفيح الجدران والأعتاب والسقوف والأبواب بالفضة والذهب وغيرهما مما يجاوز الحساب ويفهمهم انهم كلما زادوا فى مثل ذلك أحسنوا كل الاحسان فدخلوا الجنان ثم ما كفاه ذلك حتى استخفهم فدعاهم الى أن يطلبوا منهم النصر على الأعداء والشفاء من عضال الداء فاجابوه الى ما دعاهم مسرعين وزادوا على ذلك بأن طلبوا منهم بقاء الحياة لأولادهم فتراهم يقولون قد علقنا أولادنا عليهم ومنهم من يطلب منهم النسل اذا كان عقيما والشفاء اذا كان سقيما وكثير ممن يطلب منهم منصبا فيه أخذ أموال العباد والسعى فى الأرض بكل فساد فيجىء اليهم ويلازمهم معتقدا ان من لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعايته واقترنت سعادته واذا فتحت أبواب بيوت قبورهم المذهبة

أى على عقبكم (قوله شعبة) الشعبة بالضم الطائفة من الشئ (قوله نتشبث) تتعلق (قوله من كيد الشيطان) الكيد المكر والخبث وهو الحاق الشر بالانسان من حيث لا يشعر (قوله من دسائس) الدس الاخفاء ودفن الشئ تحت الشئ (قوله فى قوالب) يفرغها فيها (قوله بكيده) بمكره وخبثه (قوله الجاه) القدر (قوله الرفيع) ضد الوضيع (قوله الأسمى) أى الأعلى (قوله لا يخيب سعيه) لا يحرم من قصده وعمله (قوله يطيش) أى يخف (قوله الأوزار) الآثام (قوله الأمانى) جمع أمنية وهو فى الأصل ما يقدره الانسان فى نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب (قوله السخيفة) الرقيقة (قوله النحيفة) الضعيفة الهزلة (قوله الخرافات) جمع خرافة وهو حديث مستملح كذب (قوله واقترنت سعادته) والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وازالة ضروراتها لاسيما من كان مضطرا يتشبث بكل سبب فاذا سمع أحدا ان قبر فلان ترياق مجرب يميل اليه فيذهب ويدعو عنده بذل وانكسار فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه

ورفعت ستور الأبواب المطلات المطرزة وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المخلقة وجد هذا الزائر فى فؤاده من الخشية والرعب مالا يجد أدنى معشار جزء عشره بين يدى خالق السموات والأرضين واله جميع العالمين فيدخل الى القبر خاشعا ذليلا متواضعا لا يخطر فى قلبه مثقال ذرة من غير اجلاله منتظرا فيض كرمه ونواله فأقسم بالله انه لم يتصوره بشرا قد وضع بأكفانه فى لحده ولو سلمنا انه خطرت له وهو عنده تلك الخطرة لتعوذ بالله منها ووقف عند حده وياخيبة من أنكر عليهم حالهم وياشناعة من رد عليهم أمرهم وياخسارة من علمهم وأرشدهم فان ذلك عندهم قد تنقص حق الأولياء وهضمهم مراتبهم من السمو والارتقاء فبالله عليك أيها الناظر الا ما قابلت أفعالهم هذه مع ماورد عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم متأملا كيفية اذنه بالزيارة بعد المنع وانظر الى سبب المنع والاذن وماعلل النبى صلى الله عليه وسلم الاذن به وجعله فى حكم الغاية له والشرط وقد نهى عن أشياء كثيرة ربما تقع كما ثبت كل ذلك فى الأحاديث الصحيحة وكان يعلمهم كيفية القول والعمل ويفعل امامهم ويفصل لهم هذه الجمل سد الذرائع وقطعا عن هذه المطامع ولم يزل هذا دأبه صلى الله عليه وسلم حتى أوصى بما يناسب ذلك ولم تزل الصحابة والسلف الصالح على هذا العمل المتبع الراجح الى أن ظفر ابليس بهؤلاء الاخلاف فحين دعاهم أجابوه من غير خلاف قال صاحب مجالس الأبرار واعلم ان الزيارة نوعان زيارة شرعية وزيارة بدعية والمقصود من الزيارة الشرعية التى أذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم شيآن أحدهما راجع الى الزائر وهو اتعاظه وزهده وعبرته وثانيهما راجع الى المزور وهو الدعاء له ومن جملته السلام عليه وأما الزيارة البدعية فهى زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من الحاجات التى كان عباد الأصنام يسألونها من أصنامهم فأصل هذه الزيارة البدعية ماخوذ منهم وليس شئ من ذلك مشروعا باتفاق المسلمين اذ لم يفعله رسول رب العالمين ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين بل قد أنكروا ما هو دون ذلك كما روى عن المعرور بن سويد ان عمر رضى

من الذل والانكسار لا لأجل القبر فانه لو دعا كذلك فى الحانة والحمام والسوق لاجابه فيظن الجاهل ان للقبر تأثيرا فى اجابة تلك الدعوة ولا يعلم ان الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا فليس كل من أجاب الله تعالى دعاءه يكون راضيا عنه فان الله تعالى يجيب دعاء البر والفاجر والمؤمن والكافر (قوله وعبرته) وقد أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله فانها تذكركم الآخرة (قوله عليه) ونزيد ثالثا وهو احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه صلى الله عليه وسلم (قوله وأما الزيارة البدعية) الزيارة البدعية الشركية أصلها مأخوذ من عباد الأصنام قالوا الميت المعظم

الله

الله عنه صلى صلاة الصبح فى طريق مكة فرأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم و يتخذونها كنائس و بيعا فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فليصلها فيها ومن لا فليمض ولا يتعمدها وكذلك لما بلغه ان الناس ينتابون الشجرة التى بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليها فقطعها فاذا كان عمر فعل هذا بالشجرة التى بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها الله فى القرآن حيث قال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فماذا يكون حكمه فيما عداها ولقد جرد السلف الصالح التوحيد حتى كانت الصحابة والتابعون حين كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل فيها أحد لا للصلاة ولا للدعاء ولا لغير ذلك مما هو من جنس العبادة بل كانوا يفعلون جميع ذلك فى المسجد وكان أحدهم اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وأراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا وهذا انما لا نزاع فيه بين العلماء وانما نزاعهم فى وقت السلام عليه قال أبو حنيفة يستقبل القبلة عند السلام أيضا ولا يستقبل القبر حتى لا يكون الدعاء عند القبر فان الدعاء

الذى لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى التفات الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب لانتفاعه به وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب وقالوا اذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح فاض عليها منها النور (**قوله** استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا) وذكر الامام أحمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وقال أصحاب مالك يدنو من القبر فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره وهذا اختلافهم انما نشأ لما يحصل فيه من استدباره فاما اذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف وصار فى الروضة أو أمامها (**قوله** وانما نزاعهم فى وقت السلام) فقال مالك وأحمد وغيرهما يستقبل قبره و يسلم عليه وهو الذى ذكره أصحاب الشافعى وقال أبو حنيفة بل يستقبل القبلة و يسلم عليه هكذا فى كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره اسمعيل بن اسحق فى المبسوط والقاضى عياض وغيرهما لا أرى ان يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم و يدعو ولكن يسلم و يمضى وقال أيضا فى المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه

عبادة كما ثبت فى الحديث والسلف الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى ولم
يفعلوا عند القبور شيأ منها الا ما أذن فيه النبى صلى الله عليه وسلم من السلام على أصحابها وسؤال
الرحمة والمغفرة والعافية لهم وسبب ذلك ان الميت قد انقطع عمله وهو محتاج الى من يدعوله ويشفع
لأجله ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء له وجوباً وندباً مالم يشرع مثله فى الدعاء للحى فانا لما كنا
اذا قمنا على جنازته ندعوله ونشفع لأجله فبعد الدفن أولى ان ندعوله ونشفع لأجله لانه فى قبره بعد
الدفن أشد احتياجا الى الدعاء له منه على نعشه لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره ثم قال فهذه سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهل القبور بضعا وعشرين سنة وهذه سنة الخلفاء الراشدين
وطريقة جميع الصحابة والتابعين فبدل أهل البدع والضلال قولا غير الذى قيل لهم فانهم قصدوا
بذلك سؤال الميت والاستغاثة به الى آخر ما قال وقال ابن القيم فى الاغاثة هذا يدل على ان العمل اذا
جرى على خلاف السنة فلا اعتبار به ولا التفات اليه وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ زمن
طويل فاذن لا بدلك ان تكون شديد التوقى من محدثات الأمور وان اتفق عليه الجمهور ف
يغرنك اطباقهم على ما أحدث بعد الصحابة بل ينبغى لك ان تكون حريصا على التفتيش عن

وسلم ويدعوله ولأبى بكر وعمر فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن أحد
من أهل الفقه ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها ولم يبلغنى عن أول هذه وصدرها انهم
كانوا يفعلون ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده وقد ورد من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافقه
(**قوله كما ثبت فى الحديث**) عنه صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة رواه الترمذى وغيره (**قوله
مالم يشرع مثله للحى**) قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت
من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء
والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من
داره وأهلا خيرا من أهله وأزواجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم
الى غير ذلك مما ورد من الأدعية فى صلاة الجنازة (**قوله لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره**) كما
روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه
وقال استغفروا الله لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل الى غير ذلك من الأحاديث التى فى
هذا الباب (**قوله والاستغاثة به**) فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه وقصدوا بالزيارة المشروعة التى هى
احسان الى الميت واحسان الى الزائر وتذكير بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص

احوالهم

أحوالهم وأعمالهم فان أعلم الناس وأقربهم الى الله أشبههم بهم وأعلمهم فى طريقتهم اذ منهم أخذ الدين وهم أصول فى نقل الشريعة عن صاحب الشرع فلا بد لك أن لا تكترث بمخالفتك لأهل عصرك فى موافقتك لأهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم اذ قد جاء فى الحديث اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم قال عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بأبى شامة حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لان الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم وقال الفضيل بن عياض ما معناه الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين فيه واياك وطرق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال ابن مسعود أنتم فى زمان خيركم فيه المتسارع فى الأمور وسيأتى زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات قال الامام الغزالى لقد صدق لان من لا يتثبت فى هذا الزمان بل وافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا فيه يهلك كما هلكوا فان أصل الدين وعمدته وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره وانما هو باحرازه من الآفات والعاهات التى تأتى عليه من البدع والمحدثات التى تؤدى الى تبدله وتغيره كما تبدل وتغير أديان الرسل من قبل بسبب ذلك انتهى فليصن المرء دينه

تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة (قوله قال عبد الرحمن الخ) أى فى كتاب الحوادث والبدع (قوله ولا تغتر بكثرة الهالكين) وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى انه قال السنة والذى لا اله الا هو بين الغالى والجافى فاصبروا عليها رحمكم الله فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف فى اترافهم ولا مع أهل البدع فى بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا وقال عمرو بن ميمون الاودى صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته بالتراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهى الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثون قال وما ذاك قلت تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهى الفريضة وصل مع الجماعة وهى نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظن انك من أفقه أهل هذه القرية تدرى ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفى رواية أخرى وضرب على فخذى قال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى قال نعيم بن حماد يعنى اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكره البيهقى وغيره (قوله من البدع والمحدثات التى تؤدى الى تبدله وتغيره الخ) ولذلك كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول

من العوائد التي استأنس بها فانها سم قاتل قل من سلم من آفاتها ألا يرى ان قريشا لأجل العوائد التي ألفتها نفوسهم أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وقد خالف هؤلاء المبتدعون ما جاءت به الرسل فلقد نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وعن اتخاذ قبره الذي هو أفضل قبر على وجه الأرض عيدا

اياكم وما يحدث من البدع فان الدين لا يذهب بمرة من القلوب بل الشيطان يحدث لكم بدعا حتى تذهب الايمان من قلوبكم هذا وانها لكثرتها وشيوعها صارت كانها من شعائر الدين أو من الأمور المفروضة علينا فياليتنا كنا نباشرها على انها بدعة اذ لو كان كذلك ليرجى منا التوبة والاستغفار ولكنا أخذناها طاعة وعبادة وجعلنا هادينا لنا مقتفين في ذلك آثار من سها أو غلط أو غفل من بعض من تقدمنا وجعلناه قدوة في ديننا فاذا جاء أحد وأنكر علينا ما ارتكبناه من تلك الأمور فان كان ممن له توقير في قلوبنا نقول له هذا جائز ذهب الى جوازه فلان وندكر له بعض من تقدمنا ممن سها أو غلط أو غفل وان كان ممن لا توقير له في قلوبنا يسمع منا ما لا يظنه ولا يخطر بباله ذلك بسبب الجهل المركب فينا لانا لو رأينا أنفسنا على ما هي عليه من الجهل لقبلنا جواب من أرشدنا على الحق وما أقنا من سها أو غفل أو غلط حجة في ديننا اذ لا يجوز ان يقلد الانسان في دينه الا من هو صاحب الشريعة أو من شهد له بالخير لا من شهد له بالكذب ونهى عن الاعتماد له بقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب فلا تعتمدوا أقوالهم وأفعالهم فان كل من أتى بعدهم يقول في بدعه انها مستحبة ثم يأتي على ذلك بدليل خارج عن أصولهم فذلك غير مقبول منه فان التقليد والاقتداء لمجرد حسن الظن انما يجوز ان كان مجتهدا عدلا الا لمن كان مقلدا لكن لما انقطع الاجتهاد منذ زمان طويل انحصر طريق معرفة مذهب المجتهدين في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء أو اخبار عدل موثوق به في علمه وعمله فلا يجوز العمل بكل كتاب اذ ظهر في هذا الزمان كتب جمعها ضعفاء الرجال ولا بقول كل عالم اذ غلب الفسق في الناس بعد القرون الثلاثة والمستور في حكم الفاسق فلا بد من العدالة المرجحة لجانب الصدق حتى يقبل قوله في الديانة (قوله عن اتخاذ القبور مساجد) كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهم خالفوه وبنوا عليها المساجد ونهاهم عن الصلاة عندها وهم خالفوه وصلوا عندها (قوله وعن اتخاذ قبره عيدا) كما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وهم خالفوه حيث انهم جعلوا القبور أعيادا يجتمعون عندها في أوقات مخصوصة

وعن تعليق القناديل عليها وزيادة تراب غير ترابها وأمر بتسوية القبور المشرفة ونهى عن رفعها وتجصيصها والكتابة عليها فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع ويبنونها بالجص والآجر العظام ويكتبون عليها الآيات القرآنية ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها وعلقوا عليها قناديل الذهب وبنوا عليها قبابا من الذهب أو الزجاج المنقوش وزخرفوا أبوابها وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفا عليها من اللصوص كل ذلك مخالف لدين الرسل وعين المحادة لله ورسوله فان كانوا متبعين فلينظروا اليه صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب ولينظروا الى قبره الشريف كيف كان وما عملت الصحابة فيه والا فليفعلوا ماشاؤا لا جازاهم الله الا بما يليق بهم هذا ما كان من التعظيم الغير اللائق بدين الله والمخالف لسنة رسول الله وأما الاحترام لها فهو مندوب فلا توطأ قبور المسلمين ولا يجلس عليها وتعامل قبورهم كما يعاملون في حياتهم وأما قبور الأنبياء والصالحين فيزاد احترامها كما يحترمون في حياتهم وليطبق الحال في القبور على حسب ما كانوا في الحياة من مراعاة الآداب وخفض الأصوات والوقوف على بعد زيادة في التوقير والاحترام قال العلامة ابن حجر في شرح المنهاج (ويقرب) ندبا (زائره) من قبره (كقربه منه) اذا زاره (حيا) احتراما له والتزام القبر أو ما عليه من تابوت ولو قبره صلى الله عليه وسلم بنحو يده وتقبيله بدعة مكروهة قبيحة انتهى قال بعضهم ومن البدع المنكرة اجتماع العامة في بعض أضرحة الصالحين في يوم مشهور فقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولا تتخذوا بيتي عيدا وصلوا علي وسلموا فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم قال المناوي معناه النهي عن اخلاء البيوت عن العبادة كالقبور وفيه معنى النهي عن الدفن في البيوت وانما دفن المصطفى صلى الله عليه وسلم في بيته مخافة اتخاذ قبره مسجدا ذكره القاضي ومعنى النهي عن اتخاذه عيدا النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد اما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم وقيل العيد ما يعاد اليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون اليه متى أردتم وان عليكم ان تصلوا علي فظاهره ينهى عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل اليه ويؤيده قوله وصلوا علي الى آخره أي لا تتكلفوا المعاودة الي الى آخر ما قال ثم قال تنبيه قولهم فيما سلف معناه

(قوله وعن تعليق القناديل عليها) وهم خالفوه وأوقدوا عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك أوقافا (قوله التوابيت) أي الصناديق (قوله فلا توطأ قبور المسلمين) قال ابن حجر في شرح المنهاج الا لضرورة كأن لم يصل الى قبر ميته وكذا ما يريد زيارته ولو غير قريب فيما يظهر أو لا يتمكن من الحفر الا به اهـ (قوله ولا يجلس عليها) وكذا لا يتكئ عليها

النهي عن الاجتماع الى آخره يؤخذ منه ان اجتماع العامة فى بعض أضرحة الأولياء فى يوم أو شهر مخصوص من السنة وربما يرقصون منهي عنه شرعا ويجب على ولى الأمر ردعهم عن ذلك وانكاره عليهم وابطاله انتهى وقال فى المنهاج وشرحه لابن حجر ماملخصه ويكره تجصيص القبر والبناء عليه فى حريمه وخارجه والكتابة عليه للنهى الصحيح عن الثلاثة سواء كتابة اسمه وغيره فى لوح عند رأسه أو فى غيره نعم بحث الأذرعى حرمة كتابة القرآن لتعريضه للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتى عند تكرر الدفن ووقوع المطر وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لاسيما لقبور الأنبياء والصالحين لانه طريق للاعلام المستحب ولما روى الحاكم النهى قال ليس العمل عليه الآن فان أئمة المسلمين من المشرق الى المغرب مكتوب على قبورهم فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنع هذه الكلية وبفرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها فى المقابر المسبلة كما هو مشاهد لاسيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهى عنه فكذا هى فان قلت هو اجماع فعلى وهو حجة كما صرحوا به قلت ممنوع بل هو أكثرى فقط اذلم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه وبفرض كونه اجماعا فعليا فمحل حجيته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد تعطل ذلك منذ أزمنة ولو بنى نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر أو نحو تحويط أو قبة عليه خلافا لمن زعم ان المراد الثانى وهل من البناء ما اعتيد من جعل أربعة أحجار لصق رأس كل منها برأس الآخر بجص محكم أولا لانه لايسمى بناء عرفا والذى يتجه الاول لان العلة السابقة من التأبيد موجودة هنا وذلك فى مقبرة مسبلة وهى ما اعتاد أهل البلد الدفن فيها عرف أصلها ومسبلها أم لا ثم قال جوابا بالو الواقعة فى المتن قبله هدم وجوبا لحرمته كما فى المجموع لما فيه من التضييق مع ان البناء يتأبد بعد انمحاق الميت فيحرم الناس تلك البقعة وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة مصر من البناء حتى قبة امامنا الشافعى رضى الله عنه التى بناها بعض الملوك وينبغى لكل أحد هدم ذلك مالم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام انتهى وقد اختلفوا فى زيارة النساء والكثير على الحرمة عليهن

(قوله تجصيص القبر) أى تبييضه لاتطيينه (قوله مما مر) فى كلامه وهو ما اذا خشى نبشه أو حفر سبع أو هدم سيل (قوله مسبلة الخ) ومثلها موقوفة بل هذه أولى لحرمة البناء فيها قضاء قاله الاسنوى (قوله الواقعة فى المتن قبله) وهو ما نقله عنه بقوله ولو بنى نفس القبر (قوله على الحرمة عليهن) للخبر الصحيح لعن الله زوارات القبور ولما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة خرجت الى مقبرة تلعنها ملائكة السموات السبع والأرضين السبع وتمشى فى لعنة الله تعالى ولما روى عن سلمان وأبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من المسجد فوقف على باب داره فأتت فاطمة

وقيل

وقيل يكره بشروط ان اختل شئ منها حرمت اجماعا وبالجملة فالبحث فى ذلك كبير شهير وأما القراءة عندهم فقيل مشروعة وعلى ذلك المتأخرون من الفقهاء أخذا من وضع الجريدة على قبر من رآه النبى صلى الله عليه وسلم يعذب لأجل تخفيف عذابه قالوا فالقراءة أولى ومنعها البعض وقالوا الابد للزائر أن يكون مشغولا بالاعتبار وقراءة القرآن يحتاج صاحبها الى التدبر واحضار الفكر فيما يتلوه والفكران لا يجتمعان فى قلب واحد فى زمان واحد فان قال قائل انى أعتبر فى وقت وأقرأ فى وقت آخر والقرآن اذا قرئ تنزل الرحمة فيرجى أن يلحق بأهل القبور شئ من تلك الرحمة فالجواب عنه من وجوه الأول ان قراءة القرآن وان كانت عبادة لكن كون الزائر مشغولا بما تقدم من الفكر والاعتبار فى حال الموت وسؤال الملكين وغير ذلك عبادة أيضا والوقت ليس محلا الا لهذه العبادة فقط فلا يخرج من عبادة الى عبادة أخرى لاسيما لأجل الغير والثانى انه لو قرأ فى بيته وأهدى ثوابها لهم بأن قال بلسانه بعد فراغه من قراءته اللهم اجعل ثواب ماقرأته لأهل القبور لوصل اليهم لان هذا دعاء بوصول الثواب اليهم والدعاء يصل بلا خلاف فلا يحتاج ان يقرأ على قبورهم الثالث ان قراءته على قبورهم قد تكون سببا للعذاب بعضهم اذ كلما قرئت آية لم يعمل بها يقال له أما قرأتها أما سمعتها فلم خالفتها ولم تعمل بها فيعذب لأجل مخالفته لها الرابع ان السنة لم ترد بها وكفى به منعا فاذا كان كذلك فاللائق بالزائر ان يتبع السنة و يقف عند ماشرع له ولا يتعداه ليكون محسنا الى نفسه والى أهل القبور وقال ابن حجر المكى فى

فقال من أين جئت قالت خرجت الى منزل فلانة التى ماتت فقال صلى الله عليه وسلم هل ذهبت الى قبرها فقالت معاذ الله تعالى ان أفعل شيأ بعد ماسمعت منك فقال لو زرت قبرها لم ترحى رائحة الجنة **(قوله وقيل يكره)** وعليه المتأخرون من الشافعية خشية الفتنة ورفع أصواتهن بالبكاء وقيل تباح اذا لم يخش محذورا لأنه صلى الله عليه وسلم رأى امرأة بمقبرة ولم ينكر عليها **(قوله بشروط)** كأمن الفتنة وعدم رفع الصوت وغيرهما **(قوله المتأخرون من الفقهاء)** وهو مذهب الامام أحمد و بعض أصحاب أبى حنيفة و بعض أصحاب الشافعى **(قوله ومنعها البعض)** وهو المشهور من مذهب مالك والشافعى **(قوله والدعاء يصل بلا خلاف)** بين أهل السنة وقال المعتزلة ان الدعاء من الأحياء للاموات غير نافع تمسكا بان القضاء لا يبدل وكل نفس مرهونة بما كسبت والمرء مجزى بعمله لا بعمل غيره وأجيب بان عدم تبديل القضاء بالنسبة الى الموتى لا ينافى نفع دعاء الأحياء لهم فان ذلك النفع بالدعاء يجوز ان يكون بالقضاء على انه قد ورد فى الأحاديث الصحيحة من الدعاء للاموات خصوصا فى صلاة الجنازة وقد توارثه السلف وهو مجمع عليه فلو لم يكن فيه نفع للاموات لكان عبثا بل جاء فى القرآن آيات كثيرة متضمنة للدعوات للاموات كقوله تعالى رب ارحمهما كما

زواجره بعد ان عد اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها من الكبائر وأورد الأحاديث الزاجرة عن ذلك تنبيه عد هذه الستة من الكبائر وقع فى كلام بعض الشافعية وكانه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح ثم بين دليل ذلك وقال بعده ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الأنبياء والأولياء تبركا واعظاما ثم قال وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح بالحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذى القبر وأما اتخاذها أوثانا فالنهى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد بعدى أى لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه فان أراد ذلك الامام بقوله واتخاذها أوثانا هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان أراد ان مطلق التعظيم الذى لم يؤذن به كبيرة ففيه بعد نعم قال بعض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ولرسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهى عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد و بناءها عليها والقول بالكراهة محمول على ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن فاعله وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور اذ هى أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى والعجب كل العجب ممن ألف رسالة أباح فيها جميع ما ذكرناه من اشراف القبور للصالحين و بنائها بالجص والآجر وتعليق القناديل ووضع التوابيت عليها وسترها بالثياب الفاخرة مما ورد النهى الصحيح عنه ولعن فاعله وما كفاه ذلك التجرى على الله ورسوله ومخالفة ما نص الرسول على النهى عنه حتى جعل ذلك سنة صالحة وطريقة فالحة وانها من شعائر الاسلام ولولا الحياء لأباح فى ذلك كل محرم وجعل نفسه

ر بيانى صغيرا وقوله رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان **(قوله من مسجد الضرار)** الذى هدمه صلى الله عليه وسلم كما روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيهم فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجد الذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت الآية وهى قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن

مشرعا فما أجرأ من شرع شرعا من عند نفسه سيما اذا كان بحكم وهمه وحدسه وكل هذه قياسات
فاسدة وهمية قد خالفت القواطع الشرعية ولم يزل يتسع الخرق بهذا التساهل حتى هان عليهم القياس
المخالف للاصول والدلائل مثلا جاء فقيه فقال من عند يأته يجوز كتابة اسم صاحب القبر اذا كان وليا
صالحا للاعلام به فجاء آخر فقال يستحب لان فيه اعزاز الدين فجاء آخر فقال وكذا بناؤه بالجص
ورفعه قياسا على ذلك ولان فى ذلك توقيراله وهو مأمور به ثم جاء آخر فقال وكذا وضع التوابيت
وستره وتعليق القناديل عليه ولم يزل الأمر كذلك الى ان أباحوا المحرمات مع ان القياس ان لا يؤخذ
بكلام الفقيه الا اذا كان مأخوذا عن مقلده فان أتى به من عنده لم يؤخذ به الا اذا كان موافقا الأصول
مذهبه أو مدللا بدليل من الكتاب والسنة الصحيحة فحينئذ يؤخذ به فكيف بمن قال قولا من عنده
وقد خالف به ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم انه ليس من دين الله لا شك ان قوله
حينئذ مردود عليه وقد جوز بعض الشافعية ستر قبور الانبياء بالحرير قياسا على الكعبة فجاء من
بعده فقاس قبور الصالحين على قبور الأنبياء فجوز سترها بالحرير وهكذا حتى اتسع الخرق ولم يبق من
فرق وقد رد على الأولين الامام عبد البر الاجهورى فقال مانصه ويجوز تزيين الكعبة بالحرير تعظيما
لها والاوجه جواز تزيين قبر النبى صلى الله عليه وسلم بالحرير وكذا سائر الانبياء كما جزم به الاشمونى
جريا على العادة المستمرة وكان شيخنا الزيادى يقول لم يستثنوا يعنى الاصحاب الا الكعبة وظاهره
الحرمة حتى قبر ذاك الرجل الكبير يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومثله بقية الانبياء والاولياء وقال
بعضهم مما يحرم ستر التابوت بالحرير مطلقا لانه يشبه ستر الجدران بالحرير وقال بعضهم هذا من باب
التكفين فمن جاز تكفينه بالحرير جاز ستر تابوته به والا فلا والمعتمد الحرمة مطلقا انتهى وبالجملة
فالزيارة مشروعة على الوجه السنى الذى فصلناه والبدع تختلف بحسب مبتدعيها وتتعرف أحكامها
من الكراهة والحرمة والكفر وغير ذلك من الاحوال التى أجريت فيها اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا
اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه آمين (وأما شد الرحال) الى القبور الفاضلة فجوزه
الكثير مستدلين بما روى الدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى وروى الطبرانى فى الكبير والاوسط والدارقطنى فى
أماليه وأبو بكر بن المقرى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا من جاءنى زائرا لا تعمله
حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وقد فهم من أورده عموم الزيارة فى
حياته وبعد وفاته وهذا الحديث أصح من الاول وفى سند الاول اضطراب واختلاف شديد بين
المحدثين وروى ابن الجوزى فى مثير العزم الساكن بلفظ من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن

عدى وعامر بن السكن وغيرهم فقال لهم انطلقوا الى مسجد هذا الظالم فاهدموه وأحرقوه ففعلوا

زارنى فى حياتى وصحبنى وروى ابن عدى فى الكامل والدارقطنى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى وادعى بعضهم الوضع فى هذا الحديث ورده آخرون وروى أبو داود الطيالسى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا من زار قبرى أو قال من زارنى كنت له شفيعا وشهيدا ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله عز وجل من الآمنين يوم القيامة ومثل ذلك أحاديث كثيرة بطرق مختلفة وروى أبو داود بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام صدر به البيهقى باب الزيارة واعتمد ذلك جماعة منهم الامام أحمد كما نقله السمهودى لتضمنه فضيلة رده صلى الله عليه وسلم وهى عظيمة وذكر ابن قدامة هذا الحديث من رواية أحمد بلفظ ما من أحد يسلم على عند قبرى فان ثبت فالمسلم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب المستدعى للرد ولذلك قال الامام أبو عبد الرحمن عبد الله المقبرى أحد كبار شيوخ البخارى هذا الحديث فى الزيارة اذا زارنى فسلم على رد الله على روحى حتى أرد عليه ويؤيده ان أصل السلام عرفا ما يواجه به المسلم عليه من قريب ويكنى به عن الزيارة وهو سلام التحية المستدعى للرد على المسلم بنفسه أو برسوله بخلاف السلام الذى يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور وهو الذى قيل باختصاصه به عن الامة كالصلاة فلا يقال فلان عليه السلام وهذا الحديث استدل به البيهقى على حياة الانبياء قال والمعنى الا وقد رد الله على روحى حتى أرد عليه وقيل هو خطاب على قدر فهم المخاطبين من انه لا بد من رد الروح ليسمع فكانه قال أسمعه تمام السماع وأجيبه تمام الاجابة مع دلالته بالرد عليه السلام عند سلام أول مسلم ولم يرد قبضها بعده ولا قائل به لتوالى موتات لا تحصر أو ان الرد معنوى من الاستغراق فى الشهود وفى هذا الاثر حيازة فضل رد السلام عليه مواجهة وقد سرد السمهودى الآثار الدالة على حياته ببنيته صلى الله عليه وسلم مع قوة النفوذ فى العالم واستغنائه عن المألوفات البشرية بخلاف غيره فانا نقطع بوجود الادراكات لهم وعذاب القبر ونعيمه من الاعراض المشروطة بالحياة لكن لا تتوقف على البنية واذا ثبتت حياته صلى الله عليه وسلم وصحت الاحاديث الحاثة على زيارته ومنها ما ذكره السمهودى فى قصة بلال وان عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد الى المدينة للسلام عليه فلا نزاع فى فضيلته اذ فيه حيازة فضائل عديدة من اتباعه ونيل الموعود به وغير ذلك وقد أطال البحث والانتصار السمهودى فى كتابه خلاصة الوفا فى أخبار دار المصطفى فذكر كل حديث فى الباب واستقصى جميع أقوال العلماء والفقهاء فى هذا الشان فان أردت استيفاء البحث فعليك به وقد منع آخرون شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث الحديث ونفروا فى هذه الاحاديث الواردة المفيدة لجواز شد الرحال

واتخذ مكانه كاسة (قوله الا الى ثلاث الحديث) تمامه للمسجد الحرام والمسجد الأقصى

والكلام

والكلام فى ذلك طويل عريض والمقصد فى ذلك جليل فلقد أنصف العلامة ابن حجر المكى وغيره فقالوا الاولى لمن أراد المدينة المنورة ان يقصد بشد رحله الصلاة فى مسجدها ليحصل له الامر على يقين وينال الامرين من غير خلاف بين المسلمين وفقنا الله لمرضاته وأدر علينا عوائد مبراته آمين

﴿الباب الثالث عشر فى بيان حكم الهجرة من دار الكفر وكيف حكمهما من دار امتلات بالمعاصى فهجر فيها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكيف يعمل من ابتلى بمثل هذا وخاف على دينه وخشى الاضطراب فى يقينه﴾

اعلم أولا ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم من أبواب الدين وعليه مدار المؤمنين وهما من شعب الايمان الظاهرة وقرينان لا يفترقان وشعبتان مرتبطتان لان الامر بالشئ نهى عن ضده والنهى عن ضده أمر به وكل منهما من أقوى شعب الايمان بوجه وأضعفها بوجه آخر كما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا

ومسجدى هذا قال فى اقتضاء الصراط المستقيم بعد نقله هذا الحديث عن الصحيحين ما لفظه وهذا النهى يعم السفر الى المساجد والمشاهد وكل مكان يقصد السفر الى عينه للتقرب بدليل ان بصرة بن أبى بصرة الغفارى لما رأى أبا هريرة راجعا من الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام قال لو رأيتك قبل ان تأتيه لم تأته لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فقد فهم الصحابى الذى روى الحديث ان الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة فى العموم وانه لا يجوز السفر اليها كما لا يجوز السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة وأيضا اذا كان السفر الى بيت من بيوت الله غير الثلاثة لا يجوز مع ان قصده لأهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى وقد جاء فى فضل المساجد من الفضل ما لا يحصى فالسفر الى بيوت عباده أولى ان لا يجوز اهـ **(قوله ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)** المعروف اسم لكل ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح والمنكر اسم جامع لما نهى الله عنه **(قوله لأن الأمر بالشئ نهى عن ضده والنهى عن ضده أمر به)** قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقد أثنى الله تعالى على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فجعل أصل ما فضلهم به على سائر الأمم انهم يأمرون وينهون ولعن قوما من بنى اسرائيل فذكر انهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه **(قوله من رأى منكم الخ)** أى علم اذ لا يشترط فى الوجوب رؤية البصر بل المدار على العلم ابصر أم لا ورأى مستعملة فى حقيقتها من الابصار ويكون حكم المعلوم غير المبصر مقيسا على حكم المبصر بجامع ان القصد دفع مفسدة المنكر مطلقا نعم من علم اختلاء جماعة بمنكر فان كان نحو قتل أو زنا مما

فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفى خبر آخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل قال الامام البيهقى فى شعبه ما ملخصه الامر بالمعروف هو الجنة لان الرسل أمرت بالمعروف والنهى عن المنكر هو الوقاية يقى الناس من العذاب قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أى أهل المنكر اذا لم يغير عليهم والمعروف والمنكر ضدان كالليل والنهار اذا ظهر هذا غاب هذا فان المعروف مأخوذ من العرف الذى هو العادة التى عرفها الناس وعلموها والمنكر هو الذى أنكرته العقول والقلوب عند رؤيته فان المعروف الحق الذى لم يزل ولا يزال هو الله تعالى ومخلوقاته فى الملك والملكوت والعرش والجبروت لم يعرفوا الا اياه ربا ولم تعرف طاعة الا طاعته فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط فلما خلق ابليس والثقلين وذريتهما وحدثت المعاصى عن أيديهما صار العصيان والمخالفات منكرا أى أنكرته العقول والقلوب لانها لم تألفه ولم تعهده ولا كان له أصل فى العرف الذى تقدم عند الخلائق كلها ولهذا اذا جاءت القيامة وفنيت الدنيا التى ظهرت فيها المناكر لم يكن للمنكر أثر ولا وجود وانقاد وطاع أهل المنكر حين يرون ان القوة لله جميعا ولم يبق فى الوجود مقدار ذرة من العصيان لان الهوى المعبود الذى اتخذ الها من دون الله وحسب الذين يتبعون الظن انه يضر وينفع فأطاعوه يغنى وجوده اذا ظهر الاله الحق فى الآخرة وقد شاهدت العقول حقيته وأنكرت ان يكون عند غيره معنى من الالهية وما كانت

لا يستدرك لزم الهجوم لازالته وان كان فيه تسور جدار وان كان غير ذلك فلا لأنه تجسس وقد نهينا عنه قاله ابن حجر (قوله فان لم يستطع فبقلبه) رواه مسلم انما قدم التغيير باليد لكونه أقوى فى المنع وأمانى العمل فينبغى ان يقدم المنع بالقول ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب رفقا عليه ثم فى الدفع بالقول حين ما يكون ألين يكون أحسن وان لم ينته بالقول فليغيره باليد فان قلت هذا الحديث مخالف لقوله تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قلت معنى الآية الزموا أنفسكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم ومما كلف به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن أمر ونهى ولم يمتثل به المخاطب لا يضره قيل هذا مختص بمن علم ان ما رآه منكرا بالنسبة الى الفاعل لأن الجاهل ربما يرى شيأ منكرا فى مذهبه ويكون جائزا فى مذهب الفاعل وقيل مختص أيضا بمن لا يفعل المنكر كيلا يدخل فى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ورد هذا بان النهى عن المنكر لدفع الاضرار عن الفاعل وهو لا يسقط بفعل الناهى المنكر غايته انه ترك واجبا عليه وبه لا يسقط عنه الواجب الآخر وهو النهى (قوله ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) ومنه يستفاد ان عدم انكار القلب للمسلم دليل على ذهاب الايمان منه ومن ثم قال ابن مسعود رضى الله عنه هالك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر أى لأن ذلك فرض لا يسقط عن

معصية قط الا بشرك خفي أو جلي واقبال على غير الله أو حب غير الله أو مشاهدة شيء يضر أو ينفع غير الله أو غفلة عن الله انتهى فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من تعين عليه عينا فان كانوا جماعة وجب على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين وان لم يفعلوه كلهم أثموا وكذلك من تمكن من العلم به ولم يغيره واستحق العذاب من تأهل للعلم ولو كان غير حاضر ويختلف ذلك بحسب اتساع البلد وتضيقها ففي الأحاديث الصحيحة الدالة على استحقاق من ترك ذلك شيء كثير منها ماروى عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال مامن رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون الا أصابهم منه بعقاب قبل أن يموتوا وانظر الى عاقر الناقة كان واحدا من قوم صالح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى به حيث قال فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وتبعه ثمانية وكانوا تسعة كما بينه الله تعالى بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فانزل الله العذاب على قوم صالح فشمل الأصاغر والأكابر وكذلك سائر الأمم يشمل العذاب صغارهم وكبارهم ونساءهم وحيواناتهم فمن قاعدة العذاب اذا نزل بقوم يعم المستحق وغيره ثم يبعثون على نياتهم كما جاء في الصحيحين وغيرهما كما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يارسول الله ان الله تعالى اذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم صالحون أفيهلكون بهلاكهم فقال ياعائشة ان الله اذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم صالحون فيصابون معهم ثم يبعثون على نياتهم والمرء لايسمى صالحا الا اذا أنكر بمقدار وسعه وأما من داهن ولم ينكر مع استطاعته فانه يكون من الفاسقين لامن الصالحين ومما ينبغي ان يعلم ان تغيير المنكر لايختص بالحكام ولا يتوقف على

أحد بحال والرضى به من أقبح المحرمات أو ان ذلك أقل ثمرة قاله ابن حجر **(قوله قبل ان يموتوا)** وفي حديث آخر ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم والأحاديث في ذلك كثيرة **(قوله فنادوا صاحبهم)** قدار بن سالف **(قوله فتعاطى فعقر)** اجترأ على تعاطي قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف **(قوله يفسدون في الأرض ولا يصلحون)** أي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح **(قوله فشمل الأصاغر والأكابر)** والبهائم من العذاب حين لم ينهوا عاقر الناقة عن عقرها **(قوله وكذلك سائر الأمم)** الهلكى وقوله يشمل العذاب صغارهم الى آخره ولهذا كان الله تعالى يأمر الانبياء ان يخرجوا مع المؤمنين من بين قومهم قبل نزول العذاب مع كون القدرة صالحة لانجائهم وان قعدوا في أماكنهم لكن لاتبديل لسنة الله **(قوله في الصحيحين)** عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على نياتهم **(قوله وسعه)** أي استطاعته **(قوله لامن الصالحين)** لأنه يكون راضيا والراضي بمنزلة العاصي فان المنكر اذا ظهر

اذنهم بل يجب على كل أحد بحسب استطاعته وان لم يكن مأذونا من جهتهم سواء كان رجلا أو امرأة أو حرا أو عبدا كما عليه الاجماع لما فى قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره الحديث المتقدم فقوله فليغيره أمر ايجاب بالاجماع وقوله من رأى منكم عام شامل جميع الأمة لكن قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر يدل على انه فرض كفاية والاشتغال بفرض الكفاية أفضل من الاشتغال بفرض العين لان من يترك فرض العين يختص هو بالاثم ومن يفعله يختص هو باسقاط الفرض عن نفسه واما فرض الكفاية فلو ترك يأثم الجميع ولو فعل يسقط الاثم عن الجميع ففاعله ساع فى صيانة جميع الأمة عن الاثم فعلى كل مسلم ان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بمقدار طاقته ثم ان كان الوالى راضيا بفعله فبها وان لم يرض فسخطه منكر يجب الانكار عليه وجميع العلماء على دخول الأمراء والسلاطين تحت ذلك وكيف يحتاج الى اذنهم فى الانكار عليهم وعلى هذا مضى سلف الأمة فكانوا ينكرون على الامراء والسلاطين كما هو مشهور لكن ينبغى ان يراعى فيه التدريج فيبدأ أولا بالاسهل الأرفق كالوعظ

بين الناس يجب على من رآه ان يغيره فاذا لم يغير فكلهم عاصون بعضهم برضائه و بعضهم بتعاطيه (قوله وان لم يكن ماذونا من جهتهم الخ) نعم ان خشى من عدم استئذان الامام مفسدة راجحة أو مساوية من انحرافه عليه بانه افتات عليه لم يبعد وجوب استئذانه حينئذ قاله ابن حجر (قوله أمر ايجاب) ووجوبه ثابت بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة (قوله فرض كفاية) ان علم به أكثر من واحد والا فهو فرض عين (قوله أفضل من الاشتغال بفرض العين) وهو ما عليه الأستاذ أبو اسحق الاسفراينى وامام الحرمين وأبوه الشيخ محمد الجوينى وهو المشهور وان قال الجلال المحلى فى شرحه على جمع الجوامع ما قال (قوله فعلى كل مسلم ان يامر بالمعروف الخ) لاشك ان من قام مقام جميع المسلمين فى اقامة مهم من مهمات الدين يكون أفضل ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله تعالى فى أرضه وخليفة كتابه ورسوله وانما كان كذلك لأن الأنبياء ما بعثوا الا للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن تبعهم وأمر ونهى كان نائبا عنهم فى هذا الأمر العظيم (قوله تحت ذلك) أى العموم (قوله كما هو مشهور) فى حكايات كثيرة مسطورة فى التواريخ بالانكار (قوله فيه) فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (قوله فيبدأ أولا بالأسهل الأرفق الخ) و ينظر الى العاصى بنظر الرحمة و يرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه لكون المسلمين كنفس واحدة فان من أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فهو على شفير جهنم فاياك ان تدفعه فى قعر جهنم اذ قد يتعلق بك فتقع معه فيها وذلك انك ان امرته بالغلظ فلعله يتقوى عليك بالأذى باليد واللسان فتكون قد زدته شرا على شره فتهلكه بعد اهلاكه نفسك

والنصيحة والتخويف بالله فان لم يرجع أغلظ له الكلام وسبه من غير فحش مثل يافاسق أو ياجاهل أو يامن لايخاف الله تعالى وليحذر فى استرسال غضبه من كذب صريح وفحش قبيح وليحذر مما يفعله كثير من الاسترسال فى الضرب بعد زوال المنكر فان ذلك للحاكم فقط فان لم يقدر بفعله ككسر أوانى الخمر وآلات اللهو وغير ذلك ولا بقوله على ما فصل يجب الانكار بقلبه بان يحزن ويكره ذلك ويود ان له قدرة فيغيره وهذا أمر صعب فانه يظهر فى كل حين وزمان كثير من المنكرات فلا تغير بل يقع السكوت عنها لاستئناس النفوس بها وكلما وجد منكر وجاء بعده غيره صار سنة قد ألفتها النفوس فكانه قد زالت منكريته قال بعض العلماء والله ما أبالى بكثرة المنكرات والبدع وانما أخاف من تأنيس القلب بها ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم وذلك أضعف الايمان أخبر فى هذا الحديث ان التغيير بالقلب أضعف الايمان وهو ما يجده المؤمن فى قلبه من البغض لذلك الفعل المرئى وانزعاجه وقلقه وهو فى الغالب انما يحصل فيما يندر وقوعه وأما الاشياء التى تشاهد فى كل حين وزمان فتستأنسها النفس فلا يوجد فى القلب القلق والانزعاج الذى هو أضعف الايمان ويزيده وضوحا ما ذكر فى قوت القلوب ان الحسن البصرى قال أول بدعة رأيتها بلت الدم ثم بعد ذلك بلت أصفر ثم عاد الأمر الى العادة فانه لقوة ايمانه ورؤيته مالم يعهده قوى انزعاجه حتى تغير مزاجه وظهر أثره فى مائه فلما استمرت تلك البدعة ولم يقدر على تغييرها تغير ذلك الانزعاج الاول لاستئناس النفس بها وبقى عنده من الانزعاج قدر ما يلزمه من التغيير بالقلب الذى لايسقط بوجه من الوجوه قال العلامة ابن حجر المكى فى شرح الأربعين النووية ينبغى لطالب الآخرة والساعى فى رضا الله عز وجل ان يعتنى بهذا الباب فان نفعه عظيم ولا ينبغى له ان يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فانه سبحانه وتعالى قال ولينصرن الله من ينصره والأجر على قدر النصب ولا يحابى نحو صديق فان حق الصديق ان ينصح صديقه ويهديه الى مصالح آخرته وينقذه من مضارها ويسعى فى عمارة آخرته وان نقصت دنياه ثم قال ومما يتساهل فيه الناس انهم يرون من يبيع المعيب فلا يبينونه للمشترى ولا ينكرونه على البائع وهم مسؤلون عنه والدين النصيحة انتهى فقد علم مما تقدم ان الأمر

(قوله اغلظ له) بالوعظ والنصيحة (قوله أو يامن لايخاف الله تعالى) ونحو ذلك ويراعى فيه الصدق فان مثل هذا الكلام صدق فى الحقيقة اذ كل من يرتكب المنكر فاسق جاهل لايخاف الله تعالى (قوله وغير ذلك) كمنع ظالم من نحو ضرب (قوله وظهر أثره فى مائه) فان مزاج الانسان اذا تغير يظهر أثره فى مائه ألا ترى الأطباء يستدلون على داء المريض برؤية مائه (قوله بوجه من الوجوه) اذ لامانع يمنعه منه وذلك أضعف الايمان (قوله فى شرح الأربعين النوويه) ناقلا عن المصنف (قوله والدين النصيحة) ومن لم ينصح فقد غش وقد نص العلماء على انه يجب على

بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان باليد فان لم يقدر فباللسان ولا يكفى اللسان مع القدرة عليه باليد كما انه لا يكفى الانكار بالقلب مع القدرة باللسان وأقل الايمان الانكار بالقلب بمعنى ان التقرب الى الله بالأمر والانكار الحاصلين بالقلب ليس كالتقرب الذى فى اليد واللسان وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ضعف هذا التقرب القلبى بقوله وذلك أضعف الايمان ليعلم المكلف حقارة ماحصل له فى هذا القسم فيعرض الى غيره ثم انه كما يجب الأمر والنهى فى الواجبات والمحرمات يستحبان أيضا فى المندوبات والمكروهات ولذلك شروط مذكورة فى المطولات قال العلامة ابن حجر فى شرح المنهاج والكلام فى غير المحتسب اماهو فينكر وجوبا على من أخل بشئ من الشعائر الظاهرة ولوسنة كصلاة العيد والأذان ويلزمه الأمر بهما ولكن لو احتيج فى انكار ذلك لقتال لم يفعله الا على انه فرض كفاية وبهذا يجمع بين متفرقات كلماتهم انتهى وقال الامام الحليمى فى شعب الايمان ورأس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الدعاء الى الاسلام والقتال على الكفر والأصل ان يقوم بهما سلطان المسلمين لان اقامة الحدود والتعزيرات اليه والحبس والاطلاق له دون غيره فينبغى له ان ينصب فى كل بلد وقرية رجلا صالحا قويا عالما أمينا ويأمره بمراعاة مايجرى من الأحوال فلا يسمع منكرا الاغيره ولا يترك معروفا محتاجا الى الأمر به الا أمر به ولا حدا وجب على فاسق الا أقامه ولم يعطله وكما لا ينبغى ان يعطل حدا بعد ماوجب لا ينبغى أيضا ان يسرف فى ذلك فيحد أو يقطع أو يقتل من غير وجوب ويسمى ذلك سياسة فليس بممكن ان يكون أحد أعلم بمصالح العباد وطريق سياستهم من الله تعالى فلو علم ان الحدود التى شرعها لا تكفى لزاد فيها هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لعن الله من بلغ حدا فى غير حد فهو من المعتدين وكل من جمع بين العلم والصلاح فعليه ان يدعو الى المعروف ويزجر عن المنكر بقدر طاقته فان أطاق ابطال المنكر بنفسه أو باستعانة غيره فعليه مايطيقه الا ما كان طريقه الحد والعقوبة فان ذلك للسلطان لا غير وان لم يطق الا القول قال أو الانكار بالقلب أنكر وكذلك الأمر بالمعروف يتصور فيه الفعل والقول والارادة بالقلب قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا الحديث فقوله فيه وذلك أضعف الايمان أى أضعف الايمان الذى هو انكار المنكر فلا يرد الاشكال بأن هذا الحديث جعل فيه الانكار القلبى آخر درجات الايمان وفى قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة قد جعل أدناها اماطة الاذى ويجوز ان يفرق بين الأضعف والأدنى بأن الأدنى مابعد عن معانى القرب وان كان مرجعه اليها والأضعف مايظهر وجه القربة فيه الا انه يكون من نوعه ماهو أقوى منه كانكار المنكر باليد ابطالا له ومعاقبة لمتعاطيه وكانكاره باللسان زجرا عنه فان كلا منهما أقوى من انكاره بمجرد القلب مع ظهور القربة

من علم ذلك ان ينكر على البائع ويعرف المشترى

فيه برجوعه الى تعظيم أمر الله والتهيب له وهو فرض مكتوب على المكلف بخلاف اماطة الأذى عن الطريق فانها بعيدة من معانى القرب ووجه القربة فيها أن لا يؤذى مسلم ومعلوم انه يمكن السلامة منه مع عدم الاماطة واذا أماطه فلا يسلم منه المسلم وحده بل كل مار فى ذلك الطريق مسلما كان أو كافرا فلا يمكن القطع بأن ما فعل حصل منه النفع للمسلمين أوان حصل كان لهم دون أعدائهم ثم هو فى نفسه خفيف الكلفة لا يكاد يكون فى القرب أخف منه فلهذا كان أدنى شعب الايمان وكان أقل من أضعف الايمان الذى هو انكار المنكر فى القلب ثم قال وينبغى للمصلحين فى جميع الاوقات ان يجانبوا المفسدين ولا يخالطوهم بضيافة وغيرها ولا يشاوروهم ولا يصغوا اليهم فان ذلك نوع استدلال لهم يرجى ان يردهم عن الباطل الذى هم فيه انتهى وقد تبين لك ان من خاف على دينه حيث تعطل أمره فشاعت المنكرات وتركت العبادات وحكمت العادات ان يتجنبهم الا القدر الذى تدعوه اليه الضرورات ومع ذلك فليبغضهم فى الله وليهجرهم لله ولا يستأنس بهم وليضطرب قلبه على قدر ايمانه بالله وغيرته على ارتكاب معصية الله فالانكار بالقلب فرض عين لا يتصور ان يكون فرض كفاية وكلما بعد عنهم قوى ايمانه بالله وكان من صرف توفيق الله قال الامام الحليمى عند عده مباعدة الكفار والمفسدين شعبة من شعب الايمان ما ملخصه بعد ان سرد الآيات الدالة على ان المسلم لا ينبغى ان يواد كافرا كائنا من كان وأشد الآيات على ذلك قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم فليجتهد أن لا يكون من قلبه ولا من لفظه ولحظه بالميل اليه نصيب وليكن عليه أشد منه على قاتل أبيه أو ابنه وكيف لا وقد علم انه عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء فاذا أفكر المؤمن فى حال الكافر وانه يتكلم فى الله تعالى بما لا يرضاه ويكذب رسوله ويتكلم فيه بما أجل الله عنه قدره وجب ان يكون ذلك أشد عليه من ان يناله بما يكره فى نفسه أو والديه أو ولده فلا يزور كافرا ولا يعوده اذا مرض الا ان يتألفه فاذا دخل

(**قوله** عن الباطل الذى هم فيه) الى الحق الذى تركوه (**قوله** قال الامام أبو عبد الله) الحليمى فى المنهاج (**قوله** بعد ان سرد الآيات الخ) منها قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الى غير ذلك مما ذكر (**قوله** فانه منهم) أى ومن والاهم منكم فهو من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم انا برىء من أهل ملتين تتراءى ناراهما كما يأتى فى كلام البيهقى (**قوله** أولياء) فتعتمدوا عليهم وتعاشروهم معاشرة الأحباب (**قوله** الا ان يتألفه) بذلك على الاسلام قال الله تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة أو يكون جاراله فيكون فى عيادته مراعاة حق الجار أو يخافه

عليه لم يدع له بالعافية الا ان يقرنها بالهدى ولا يبدأه بسلام ولو بغير لفظه الشرعى لان فى ذلك تأنيساله
و ينبغى ان يلجأه فى الطريق الى أرذله ففى الحديث اذا لقيتم المشركين فى الطريق فلا تبدؤهم بالسلام
واضطروهم الى أضيقه ولا يصافحه فان مد الذمى يده اليه أعطاه يده فى كمه واذا رأى على وجه كافر أو
ثوبه قذاة لم يطها عنه ولا يقدمه على نفسه فى مدخل ولا مخرج ولا يخاطبه الا بما يخاطب به ولا يطعمه
من طعامه ولا يعيره ثوبا أو قلما أو مدادا يكتب به الباطل ولا يزوره اذا قدم من سفر ولا يهنيه بعيده
ولا ينبغى للامام ان يسامحهم فى أمر الغيار وشد الزنار وركوب الخيل ويمنعهم من اظهار كفرهم واسماع
مقالاتهم للسلمين و يمنع المسلمين من الاصغاء الى ذلك الا ان يجادل المسلم مشركا رغبة فى اسلامه
ولا ينبغى للسلم ان يقبل هدية مشرك لان النبى صلى الله عليه وسلم قال انا لا نقبل زبد المشركين
و يحتمل ان يكون ذلك لان الهدية تعلق بالقلب فتميله وربما يريد مكافأته فيصير ذلك من جوالب
المودة ولا يوادهم أو يفشى اليهم سرا ولا يتوكل عنهم فى مخاصمة ولا ينبغى للمسلم ان يتكفل عن كافر
مالا لئلا يحبس وليتحر المسلم أن لا يكون جار الكافر لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما أى
يرى هذا نار ذاك وذاك نار هذا ولا ينبغى للسلم ان يسلط كافرا على مسلم بتوكيل ونحوه فان فى ذلك

(قوله الا ان يقرنها بالهدى) فيقول شفاك الله وهداك أو أقامك مهديا فى عافية ونحو ذلك (قوله
و ينبغى ان يلجئه فى الطريق) وجوبا عند ازدحام المسلمين فيه (قوله الى أرذله) لكن
بحيث لا يتأذى بنحو وقوع فى وهدة أو صدمة جدار (قوله اعطاه يده فى كمه) ولا ينتظر ان يكون
هو النازع ليده كما يفعله بالمسلم (قوله ولا يقدمه عليه فى مدخل ولا مخرج) ولا يرفع مجلسه
ولا يلقى له وسادة ولا يعينه على كروب ولا يقوم له من مجلسه (قوله الا بما يخاطب به) ولا يهدى
اليه مالا (قوله ولا يعيره ثوبا) يشهد فيه الكنيسة أو البيعة أو بيت النار أو يقرأ فيه المحرف
من التوراة أو الانجيل (قوله اذا قدم من سفر) الا ان يكون جاره (قوله ولا يهنيه بعيده)
أو نيروز أو مهرجان ولا يتابعهم على شئ مما يفعلونه فى هذه الأوقات (قوله الزنار) وهو خيط
غليظ فيه ألوان يشد بالوسط (قوله وركوب الخيل) لما فيها من العز والفخر (قوله واسماع
مقالاتهم للسلمين) كقولهم بالاقانيم الثلاثة وقولهم فى عزير والمسيح انهما ابنا الله والقرآن انه ليس
من الله وغير ذلك (قوله فتميله) أى نحو المهدى (قوله وربما يريد مكافأته) لانها نقيض
المكافأة فاذا وقع التهادى بين مسلم وكافر فيصير الخ (قوله فى مخاصمة) لمسلم قال تعالى ولا تكن
للخائنين خصيما ولا يضمن عن كافر جزية ليخفف عنه بضمانه أو يدفع به صغارا عنه (قوله ان
لا يكون جار الكافر) و ينأى عنه ما أمكن فان حدث له جار كافر فلا بأس باستمراره فى موضعه
(قوله ناراهما) أى لا ينبغى ان ينزل المسلم بقرب الكافر فيرى الخ

صغارا

صغار الاخوانه المسلمين ولا يعمل الوالى منهم جلادا ونحوه فانه يتشفى بما يناله من المسلمين ولا ينبغى للمسلم ان ينظر فى كتب المشركين ومقالاتهم قبل ان يحكم قواعد دين الله ويرسخ فى علمه ويستبصر بأصوله وحججه فيكون نظره حينئذ على بصيرة قاصدا بذلك ان يريه الله تعالى فضائحها وقبائحها فيزيل الشبهات ويكشف عن وجوه الضلالات فى تلك المقالات والفساق فى كثير من المعانى التى مر ذكرها كالكفار فلا ينبغى ملاينتهم لان ملاينة العدل للفاسق تجبره وتنقص من عدالة العدل كما ان ملاينة المسلم للكافر نقص من اسلامه فلا يجوز له ذلك ومن ملاينة الفاسق ان يراه متجاهرا بفسقه وهو يقدر على ردعه فلا يردعه لحاجة له عنده يرعاها وذلك قبيح لانه باع دينه بدنياه وتلك منه خيانة للامانة والحذر كل الحذر من الدخول على الظلمة انتهى وبالجملة فكل من الكافر والفاسق المتجاهر بفسقه لا تجوز موالاته ومودته بوجه من الوجوه الا لضرورة دعت فيباح له قدر الذى يدفع ضرورته الا انه يكره الكافر لكفره والفاسق المتجاهر لفسقه هذا ما كان من أحكام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الاجمال وقد ضيع ذلك من أزمنة متطاولة فلم تبق فى قلوب المؤمنين الا الكراهة التى هى من صرف الايمان حيث لا مفر ولا مقر فكراهة كل ما لا يرضى الله طاعة وايمان كما انه لو أحب ذلك واستحسنه كان كفرا وخسرانا وليستغث المسلم بربه ان يثبته على الدين القويم ويهديه الصراط المستقيم ويصرف عن قلبه الاستئناس بكل قول سقيم او فعل وخيم وهذا بعض من الكلام فى هذه الأحكام (وأما أحكام الهجرة) فقد قال العلامة ابن حجر المكى فى شرح المنهاج ما ملخصه والمسلم بدار كفر أى حرب والظاهر ان دار الاسلام التى استولوا عليها كذلك ان أمكنه اظهار دينه وأمن فتنة فيه ولم يرج ظهور الاسلام بمقامه فيه استحب له الهجرة الى دار الاسلام لئلا يكثر سوادهم وربما كادوه والا لم تجب لقدرته على اظهار دينه ولم تحرم لان من شأن المسلم بينهم القهر والعجز ومن ثم لو رجى ظهور الاسلام بمقامه كان مقامه أفضل أو قدر على الامتناع

(قوله من المسلمين) وذلك صغارهم (قوله كما ان ملاينة الخ) أى من غير عذر (قوله خيانة للامانة) ودخول فى جملة أهل الخيانة وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم (قوله من الدخول على الظلمة) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله من نبى الا كان بعده خلفاء يقولون ما يفعلون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون بعدى أمراء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون قالوا كيف نصنع يا رسول الله قال من اعتزلهم سلم ومن فارقهم نجا ومن كان معهم هلك (قوله اظهار دينه) لشرفه أو شرف قومه (قوله أو قدر على الامتناع) والاعتزال وفيه ما ذكره ابن قاسم بانه قد يقتضى وجوب المقام على الامام أو نائبه مع من معه من المسلمين اذا دخلوا دار الحرب وقدروا على الامتناع كما هو الغالب ولم يختل أمر دار الاسلام بمقامهم هناك ولا يخلو عن البعد

ولم يرج نصرة المسلمين بالهجرة كان مقامه واجبا ثم انه فصل حكم دار الاسلام بعد ارجاعها هل تعود أملاك المسلمين اليهم كما كانت أم تصير دار حرب فاطال فى المقال وآخر ما قال مانصه فكلامهم صريح فيما ذكرته ان ماحكم بأنه دار اسلام لا يصير بعد ذلك دار كفر مطلقا وقال أيضا والا يمكنه اظهار دينه أو خاف فتنة فى دينه وجبت الهجرة ان أطاقها وأثم بالاقامة ولو امرأة وان لم تجد محرما لكن اذا أمنت على نفسها أو كان خوف الطريق دون خوف الاقامة فان لم يطقها فعذور لقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية وللخبر الصحيح لا تنقطع الهجرة ماقوتل الكفار وخبر لا هجرة بعد الفتح أى من مكة لانها صارت دار اسلام الى يوم القيامة واستثنى من فى اقامته مصلحة للمسلمين أخذا مما جاء ان العباس رضى الله عنه أسلم قبل بدر واستمر مخفيا اسلامه الى فتح مكة يكتب باخبارهم الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم عليه فيكتب له ان مقامك بمكة خير والاستدلال بذلك يتوقف على ثبوت اسلامه قبل الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كتب اليه ذلك ولم يثبت كل ذلك وهو قد كان آمنا غير خائف من فتنة ومن هو كذلك لا تلزمه الهجرة فلا دليل فى ذلك أصلا وذكر صاحب المعتمد ان الهجرة كما تجب هنا تجب من بلد اسلام أظهر بها حقا أى واجبا ولم يقبل منه ولا قدر على اظهاره ويوافقه قول البغوى فى تفسير سورة العنكبوت يجب على كل من كان ببلد تعمل فيها المعاصى ولا يمكنه تغييرها الهجرة الى حيث تتهيأ له العبادة لقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين نقل ذلك جمع من الشراح وغيرهم منهم الأذرعى والزركشى وأقروه وينازع فيه بما مر فى الوليمة ان من بجواره آلات لهو لا يلزمه الانتقال وعلله السبكى بان فى مفارقة داره ضررا عليه ولا فعل منه فان قلت ذاك مع النقلة يصدق عليه انه فى بلد المعصية فلم يلزمه بخلاف هذا فانه بالنقلة يفارق بلد المعصية بالكلية قلت قضية هذا بل صريحه ان ذاك يلزمه الانتقال

فليتأمل اه (قوله واجبا) لان محله دار اسلام فلو هاجر لصار دار حرب ثم ان قدر على قتالهم ودعائهم للاسلام لزمه والا فلا (قوله مطلقا) وقد ذكر الائمة الحنفية فى ذلك تفصيلا حسنا قال فى التنوير وشرحه للعلائى ما لفظه لا تصير دار الاسلام دار حرب الا بامور ثلاثة باجراء أحكام أهل الشرك وباتصالها بدار الحرب وبان لا يبقى مسلم أو ذمى آمنا بالامان الاول على نفسه ودار الحرب تصير دار اسلام باجراء أحكام أهل الاسلام فيها كجمعة وعيد وان بقى فيها كافر أصلى وان لم تتصل بدار الاسلام اه ومثله فى الدرر (قوله فلا دليل فى ذلك أصلا) قال ثم رأيت شيخ الاسلام الحافظ فى الاصابة قال فى ترجمته حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل ان يسلم وشهد بدرا مع المشركين مكرها فافتدى نفسه وعقيلا ورجع الى مكة فيقال انه أسلم وكتم قومه ذلك فكان يكتب لالاخبار اليه صلى الله عليه وسلم ثم هاجر قبل الفتح بقليل اه وهو صريح فى ذكرته ثم قال وذكر الخ (قوله بعد الذكرى)

من البلد وهذا لم يلزموه به لانه اذا لم يلزمه من الجوار فاولى البلد على ان قضية كلام السبكى المذكور انه لا نظر لبلد ولا لجوار بل للمشقة وهى فى التحول من البلد أشق و بفرض اعتماد ذلك فيجب تقييده بما اذا لم يكن فى اقامته مصلحة للمسلمين أخذا من نظيره فى الهجرة من دار الكفر بالأولى ثم رأيت البلقينى صرح به و بان شرط ذلك أيضا ان يقدر على الانتقال لبلد سالمة من ذلك وان يكون عنده المؤن المعتبرة فى الحج والحاصل ان الذى يتعين اعتماده فى ذلك ان شرط وجوب الانتقال بهذه الشروط المذكورة ان تظهر المعاصى المجمع عليها فى ذلك المحل بحيث لا يستحى أهله كلهم من ذلك لتركهم ازالتها مع القدرة لان الاقامة حينئذ معهم تعد اعانة وتقريرا لهم على المعاصى انتهى قال البيهقى فى شعبه عند ذكر الهجرة ما نصه فالظاهر منها أى من الهجرة هو الفرار بالجسد من الفتن لقول النبى صلى الله عليه وسلم انا برىء من أهل ملتين تتراءى ناراهما فتبرأ النبى صلى الله عليه وسلم منهم لعدم هذه الشعبة فيهم وهى الهجرة فهى اذا من أعظم شعب الايمان ولقول النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الفتن فقال لا يسلم لذى دين دينه الامن فر من شاهق الى شاهق وقال الله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الآية وفى البخارى والفرار من الفتن من الايمان فما كان من الايمان فهو من شعبه بلا شك فالفرار ظاهرا من بين ظهرانى المشركين واجب على كل مسلم وكذلك كل موضع يخاف فيه الفتنة فى الدين من ظهور بدعة أو ما يجر الى كفر فى أى بلد كان من بلاد المسلمين فالهجرة منه واجبة الى أرض الله الواسعة انتهى قال الامام الغزالى بعد سوقه كلاما كثيرا عن السلف ما نصه فهذا يدل على ان من بلى ببلدة يكثر فيها المعاصى و يقل فيها الخير فلا عذر له فى المقام بها بل ينبغى ان يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغى ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس بل ينبغى ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل الطائعين والعاصين انتهى وقال الامام الحليمى فى شعب الايمان ما نصه ومن الشح بالدين

أى بعد ان تذكره (قوله ظالمى أنفسهم) أى فى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة (قوله قالوا) أى الملائكة توبيخا لهم (قوله فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم من أمر دينكم (قوله قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا بما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته وقوله قالوا أى الملائكة تكذيبا لهم أو تبكيتا وقوله فيها أى الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (قوله الآية) أى اقرأها وهى فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (قوله توفاهم) يحتمل الماضى والمضارع بحذف التاء

ان يهاجر المسلم من موضع لايمكنه ان يوفى الدين فيه حقوقه الى موضع يمكنه فيه ذلك فان أقام بدار الجهالة ذليلا مستضعفا مع امكان انتقاله عنها فقد ترك فرضا فى قول كثير من العلماء لقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية لايقال ليس فى الآية تصريح بذكر المؤمنين فيجوز ان يكون المراد بها الكافر الذى مال الى الايمان وأيضا فانها نزلت قبل فتح مكة فلما فتحت قال صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لانا نقول ذكر العفو عمن استثنى منهم يرد ذلك فان الله تعالى لايعفو عن الكافر وان عزم على الايمان مالم يؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح معناه لاهجرة من مكة بعد ان صارت دار اسلام فلا يدل على نفى وجوب الهجرة من غيرها اذا لم يمكن اقامة الدين فيه فانه كمكة قبل الفتح ولو صارت مكة والعياذ بالله بحيث لايمكن المقيم بها اقامة دينه وجبت الهجرة منها أيضا لانها انما وجبت منها أولا لهذا المعنى فحيث وجدت هذه العلة ثبت الحكم وكل بلد ظهر فيه الفساد وكانت أيدى المفسدين أعلى من أيدى أهل الصلاح أو غلب الجهل على أهله وسعت الاهواء فيهم وضعفت العلماء وأهل الحق عن مقاومتهم واضطروا الى كتمان الحق خوفا على أنفسهم من الاعلان به فهو كمكة قبل الفتح فى وجوب الهجرة منه عند القدرة عليها ومن لم يهاجر منه والحالة هذه لم يكن من الأشحاء بدينه بل من السمحاء به المتساهلين فيه انتهى وقال فى المجالس والمهاجر ليس من هاجر من مكة الى المدينة قبل فتح مكة فقط حتى تنقطع الهجرة بعد فتح مكة بل الهجرة باقية الى يوم القيامة لانها انتقال من الكفر الى الايمان ومن دار الحرب الى دار الاسلام ومن السيا آت الى الحسنات وهذه الأشياء باقية مادام التكليف باقيا فالمهاجر الكامل هو الذى يترك جميع مانهى الله تعالى عنه من المعاصى ويشتغل بما أمر الله تعالى به من محاسن الأعمال كما جاء فى حديث آخر انه عليه الصلاة والسلام قال المهاجر من هجر مانهى الله تعالى عنه فانه عليه الصلاة والسلام بين فى هذا الحديث ان الهجرة التامة الكاملة هى هجران الفواحش والمنكرات والجد فى الطاعات والعبادات لكن ينبغى ان يعلم ان صحة الطاعات والعبادات موقوفة على صحة الاعتقاد لان الايمان أصل والعمل فرع والعبد اذا لم يعرف ما الايمان والهداية لايعرف ما الكفر والضلالة فتارة تجرى على لسانه كلمة التوحيد على طريق الاعتياد لا بالعلم والاعتقاد وتارة يتلفظ بألفاظ الكفر فيدخل فى حيز الارتداد ومن كان فى الاعتقاد بهذه المرتبة لو بقى ألف سنة فى الصوم والصلاة لن

وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (قوله فانها نزلت الخ) فى ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قوله عمن استثنى منهم) حيث قال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوّا غفورا (قوله بعد ان صارت دار اسلام) وزال المعنى الموجب للهجرة منها (قوله والعبادات)

ينفعه ذلك الاعتقاد يوم العرض الأكبر ومصيره الى النار ومن زعم انه مسلم وتقاعد عن تعلم قدر ما هو فرض عين عليه من الايمان لا يوجد فيه من الايمان الا مجرد الدعوى وهذا النوع من الايمان انما يظهر فائدته فى الدنيا حيث لا يؤخذ منه الجزية كما تؤخذ من الكفار لكن يتعذر له الوصول فى العقبى الى درجة الأبرار فان العبد بمجرد الاتيان بكلمتى الشهادة وتقرير ألفاظ الايمان على طريق العادة وعد نفسه من المؤمنين من غير فهم معناها لا يصير مؤمنا بينه و بين الله تعالى حتى يصدق بقلبه جميع شرائعه و ينقاد فى جميع أحكامه ولا يتشكك ولا يتردد فى شئ منها ولوجود هذا التصديق والانقياد فى القلب علامات منها ان لا يفرغ عن أمر دينه بل يسعى فى اصلاحه بتعلمه من أهله والعمل به ومنها ان لا يشق على قلبه اذا أخبر عن شئ من أمر دينه ولا يتهاون به ولا يتكبر عنه بل يقبله و يطيعه وان كان ذلك الأمر فى غاية الصعوبة والمخبر فى غاية الحقارة ومنها ان لا يكون هواه أميرا والشرع تابعا له بان لا يأخذ من الشرع شيأ الا ما يوافق هواه بل يجب ان يكون الشرع أميرا وهواه أسيرا فلا يأخذ من هواه ومراده شيأ الا باذن الشرع وان كان فيه نقصان المال والجاه والعرض كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به فاذا وجد فى العبد تلك العلامات كان مؤمنا حقا وهذا هو الايمان المنجى من العذاب الأبدى لكن بشرط التحفظ من جميع ما يهدم هذا التصديق و ينافيه مما يجرى على قلبه ولسانه وسائر جوارحه مما يوجب الكفر فان الايمان لا يزول الا بالكفر والكفر ثلاثة أنواع النوع الأول كفر جهلى وسببه عدم الاصغاء وعدم الالتفات وعدم التأمل فى الآيات والدلائل مثل كفر العوام فان أكثرهم لا يعرفون ما وجب عليهم معرفته من عقائد الايمان بل بعضهم ينطق بكلمتى الشهادة لكن لا يعرف معناهما ولا يميز بين الله تعالى ورسوله والنوع الثانى كفر جحودى وسببه اما الاستكبار مثل كفر فرعون وملئه أو خوف زوال الرياسة وعدم الوصول اليها مثل كفر هرقل أو خوف الذم والتعيير

كما قال صلى الله عليه وسلم من جملة الحديث الذى رواه عنه فضالة بن عبيد والمهاجر من ترك الذنوب والخطايا وهذا الحديث رواه البغوى فى حسان المصابيح (قوله كفر جهلى) والجهل هو عدم العلم عمن من شأنه ان يكون عالما وهو نوعان بسيط ومركب (قوله والدلائل) الدالة على الوحدانية (قوله عدم الاصغاء) أى الاستماع (قوله ولا يميز بين الله تعالى ورسوله) فهم كالانعام بل هم أضل (قوله كفر جحودى) وعنادى أى جحد للدين الحنيفى بعد تيقنه (قوله اما الاستكبار) عن الحق (قوله مثل كفر فرعون وملئه) قال تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين أى عن الدخول عنادا او كبرا وقالوا أى فرعون وقومه أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (قوله مثل كفر هرقل) وقد جاء فى حقه كما فى فتح البارى مرفوعا آثر دنياه على آخرته (قوله

مثل كفر أبي طالب والنوع الثالث كفر حكمي وهو الذي جعله الشرع من علامات التكذيب كشد الزنار وسجود للصنم أو كان عن استخفاف ما يجب تعظيمه كالقاء المصحف في المزبلة واستهزاء العلم والعلماء وما هو من أمور الدين أو عن استحلال ما حرم لعينه وثبت حرمته بدليل قطعي كالزنا وشرب الخمر انتهى وهذا آخر ما أردنا ذكره من بيان الاساس الذي بني عليه الاسلام فقيام الدين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بأهله تناط الاحكام ويتم النظام وفيه بيان ما قالته العلماء فيمن وجبت عليه الهجرة وفيمن لم تجب عليه ممن لم يقدر عليها العارض مرض أو غيره أو لم يجد أحسن منها في اصلاح دينه واظهار يقينه ولو تتبعت ما بسطت العلماء فيه أقوالهم وأطلقت اللسان في الناس مبينا أحوالهم ا ال المقال واتسع المجال ففات المقصود من بيان أصول المسائل الدينية على وجه الاجمال وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهدا كم أجمعين

﴿الباب الرابع عشر في بيان أحكام المرتدين وأحكام تارك الصلاة ومانعي الزكاة مع بيان حكم من ترك شيأ من باقي شرائع الدين وهل يجب مقاتلتهم على الامام وهم تحت اسم الاسلام﴾

اعلم ان الردة أعاذنا الله منها لغة الرجوع وقد تطلق على معنى الامتناع عن الحق كمانعي الزكاة في زمن أبي بكر الصديق المدعي بعضهم عدم وجوب أدائها الى الامام فهم أهل بغي أطلقت عليهم لدخولهم في غمار أهل الردة وسموا مرتدين بهذا المعنى الثاني وشرعا قطع الاسلام ممن صح عنه وهي أفحش أنواع الكفر وأغلظها حكما وانما تحبط العمل عند امامنا الشافعي ان اتصلت بالموت أما احباط ثواب الأعمال قبلها فبالوفاق ولا تصح ردة صبي ومجنون ومكره اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان ولو ارتد فجن لم يقتل في جنونه ومذهب الشافعي وغيره صحة ارتداد السكران وتقبل الشهادة بالردة مطلقا من غير تفصيل فلا يحتاج الشاهد الى تفصيلها لانها لخطرها لا يقدم العدل على الشهادة بها الا بعد مزيد تحر وقيل يجب التفصيل قال بعض الفقهاء وهو القياس ويجب استتابة المرتد والمرتدة لاحترامهما بالاسلام وربما عرضت لهما شبهة فتزاح وفي قول آخر تستحب كالكافر الأصلي وهو على القولين في الحال للخبر الصحيح من بدل دينه فاقتلوه فان أصر اقتلا والنهي عن قتل النساء محمول على

مثل كفر أبي طالب) الذي مات عليه كما ورد انه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم التكلم بكلمتي الشهادة قال له لولا مخافة ان يعيرني قريش تقول انما حمله عليه الجزع لاقررت بهما عينيك (قوله كفر حكمي) أي حكم عليه به شرعا كما قال (قوله من علامات التكذيب) أي للرسول (قوله فبالوفاق) كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولكن النزاع فيما اذا ارتد

الحربيات وللسيد قتل قنه والقتل بضرب العنق ولا يتولاه الا الامام أو نائبه وان أسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وقيل لا يقبل اسلامه ان ارتد الى كفر خفي كالزنادقة والباطنية قال العلامة ابن حجر المكي فى التحفة لان التوبة عند الخوف عين الزندقة والزنديق من يظهر الاسلام ويخفي الكفر وفرقه بعضهم عن المنافق بانه من لا ينتحل دينا والباطني من يعتقد ان للقرآن باطنا غير ظاهره وانه المراد وحده أو مع الظاهر وليس منه خلافا لمن وهم فيه اشارات الصوفية التى فى تفاسيرهم كتفسير السلمي والقشيرى لان أحدا منهم لم يدع انها مرادة من لفظ القرآن وانما هى من باب ان الشئ يذكر ماله به نوع مشابهة وان بعدت ولا بد لقبول اسلامه من النطق بالشهادتين ولا يكفي الرجوع فقط لان تركه التلفظ بهما مع قدرته عليه وعلمه بشطريته أو شرطيته لا يقصر عن نحو رمى مصحف بقذر ولا بد من البراءة من كل دين يخالف دين الاسلام أو برجوعه عن الاعتقاد الذى ارتد بسببه انتهى واعلم ان الصلاة من أهم أركان الاسلام وأقوى الذرايع للدخول فى دار السلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بين العبد والكفر ترك الصلاة ومعناه ان بين العبد وبين ان يصل الى الكفر ان يترك الصلاة وقد اتفق على تاكد وجوبها والتهديد على تركها الكتاب والسنة واجماع الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ووردت الوعيدات الشديدة والتهديدات الغليظة على تاركها فمن جملتها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا فهى كما ورد عماد الدين ومن هدمها فقد هدم الدين وقد اختلف العلماء فى كفر تاركها عمدا بلا عذر فقال جماعة من الصحابة منهم عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف ومن غيرهم كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم بن عتبة وأبى أيوب السختياني وأبى داود الطيالسي وأبى بكر بن أبى شيبة وغيرهم الى كفره وذهب آخرون الى انه لا يكفر وحملوا الأحاديث التى تدل على كفر تاركها على من تركها جاحدا أو على الزجر والوعيد بمعنى ان المؤمن لا يتركها ومن أدلتهم على عدم كفره قوله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات افترضهن الله تعالى من أحسن وضوأهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل ليس له على الله عهد ان شاء غفر له

ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التى عملها قبل الردة أم لا تحبط الا اذا مات مرتدا على قولين مشهورين بين الشافعية والحنفية **(قوله بين العبد والكفر ترك الصلاة)** رواه مسلم **(قوله وذهب آخرون الى انه لا يكفر)** واما حديث مسلم بين العبد وبين الكفر الخ فهو محمول على تركها

مثل كفر أبى طالب والنوع الثالث كفر حكمى وهو الذى جعله الشرع من علامات
كشد الزنار وسجود للصنم أو كان عن استخفاف ما يجب تعظيمه كالقاء المصحف
واستهزاء العلم والعلماء وما هو من أمور الدين أو عن استحلال ما حرم لعينه وثبت حرمته بدليل
كالزنا وشرب الخمر انتهى وهذا آخر ما أردنا ذكره من بيان الاساس الذى بنى عليه الاسلام
الدين بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ بأهله تناط الاحكام ويتم النظام وفيه بيان ما
العلماء فيمن وجبت عليه الهجرة وفيمن لم تجب عليه ممن لم يقدر عليها العارض مرض أو غيره
يجد أحسن منها فى اصلاح دينه واظهار يقينه ولو تتبعت ما بسطت العلماء فيه أقوالهم وأطلقوا
اللسان فى الناس مبينا أحوالهم لطال المقال واتسع المجال ففات المقصود من بيان أصول المسائل الد
على وجه الاجمال وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين

﴿الباب الرابع عشر فى بيان أحكام المرتدين وأحكام تارك الصلاة ومانعى الزكاة مع بيان حكم من ترك شيأ من باقى شرائع الدين وهل يجب مقاتلتهم على الامام وهم تحت اسم الاسلام﴾

اعلم ان الردة أعاذنا الله منها لغة الرجوع وقد تطلق على معنى الامتناع عن الحق كمانعى الزكاة فى زمن أبى بكر الصديق المدعى بعضهم عدم وجوب أدائها الى الامام فهم أهل بغى أطلقت عليهم لدخولهم فى غمار أهل الردة وسموا مرتدين بهذا المعنى الثانى وشرعا قطع الاسلام ممن صح عنه وهى أفحش أنواع الكفر وأغلظها حكما وانما تحبط العمل عند امامنا الشافعى ان اتصلت بالموت أما احباط ثواب الأعمال قبلها فبالوفاق ولا تصح ردة صبى ومجنون ومكره اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان ولو ارتد فجن لم يقتل فى جنونه ومذهب الشافعى وغيره صحة ارتداد السكران وتقبل الشهادة بالردة مطلقا من غير تفصيل فلا يحتاج الشاهد الى تفصيلها لانها لخطرها لا يقدم العدل على الشهادة بها الا بعد مزيد تحر وقيل يجب التفصيل قال بعض الفقهاء وهو القياس ويجب استتابة المرتد والمرتدة لاحترامهما بالاسلام وربما عرضت لهما شبهة فتزاح وفى قول آخر تستحب كالكافر الأصلى وهو على القولين فى الحال للخبر الصحيح من بدل دينه فاقتلوه فان أصرا قتلا والنهى عن قتل النساء محمول على

مثل كفر أبى طالب) الذى مات عليه كما ورد انه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم التكلم بكلمتى الشهادة قال له لولا مخافة ان يعيرنى قريش تقول انما حمله عليه الجزع لاقررت بهما عينيك (قوله كفر حكمى) أى حكم عليه به شرعا كما قال (قوله من علامات التكذيب) أى للرسول (قوله فبالوفاق) كما ورد ذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولكن النزاع فيما اذا ارتد

دة وأما أولوالقوة

صحيح أمرت

يؤتوا الزكاة

قال ابن حجر

مأموربه

الأمر

بل

عادة



وان شاء عذبه فقوله ان شاء غفر له دليل على عدم كفره للاجماع على ان الكافر لا مغفرة له قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم اختلفوا فى حد تاركها بلا عذر فقال حماد بن زيد ومكحول والشافعى ومالك وأحمد بن حنبل يقتل الا انه عند أحمد يقتل كفرا وعند غيره من هؤلاء يقتل حدا لا كفرا وحملوا الأحاديث الدالة على كفر تاركها على استحقاق جزاء الكفر وليس للكفر فى الدنيا جزاء غير القتل وعند أبى حنيفة لا يكفر ولا يقتل بل يحبس أبدا وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يسيل منه الدم مبالغة فى الزجر وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يصلى أو يموت * وأما الزكاة فالممتنع منها لا يقتل وانما لم نقل بقتله وان قال به جماعة لانه ان امتنع أمكن تحصيلها منه بالقتال والا أمكن تحصيلها منه بلا قتال فلم يجز القتل هنا اذ لا ضرورة اليه بخلافه فى تارك الصلاة لأنه اذا امتنع لم يمكن استيفاؤها منه فغلظت عقوبته بالقتل ما لم يتب بان يصلى وعلى كل حال فهى قرينة الصلاة حثا وزجرا ولما كان فى منع الزكاة ماورد من التشديدات العظيمة والتهديدات الجسيمة كان وجه الحكمة فى ايجابها هو الامتحان فى التوحيد لأن التلفظ بكلمة الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بانفراد المعبود وادعاء لمحبته فان من يقول اشهد ان لا اله الا الله يصير كأنه قال رأيت بقلبى وعلمت بعقلى ان لا معبود ولا محبوب الا الله فالتزمت عبادته ومحبته ولا أعبد ولا أحب الا اياه فيلزم الوفاء بما ادعاه من التوحيد فى المحبة وتمام الوفاء ان لا يبقى للموحد محبوب سوى المنفرد الواحد لأن المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل النفع وانما يظهر درجة المحبة بمفارقة المحبوبات والأموال محبوبة للخلق لكونها آلة لتنعمهم وقضاء حاجاتهم فى الدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا فى صدق دعواهم فى المحبة

جحدا أو المراد بين ما يوجبه الكفر جمعا بين الادلة (قوله وان شاء عذبه) رواه أبو داود وصححه ابن حبان (قوله يقتل) ولو ترك الطهارة للصلاة قتل كما جزم به الشيخ أبو حامد لانه ترك لها و يقاس بها الاركان وسائر الشروط نعم محله فى المتفق عليه أو كان فيه خلاف واه بخلاف القوى ففى فتاوى القفال لو ترك فاقد الطهورين الصلاة متعمدا أو مس شافعى الذكر أو لمس المرأة أو توضأ ولم ينو وصلى متعمدا لا يقتل لان جواز صلاته مختلف فيه وقيده بعضهم بما اذا قلد القائل بذلك والا فلا قائل حينئذ بجواز صلاته قال والذى يتجه قتله لانه تارك لها عند امامه وغيره فعلم ان ترك التيمم كترك الوضوء ان وجب اجماعا ومع خلاف ولم يقلد القائل بعدم وجوبه انتهى والاوجه الاخذ بالاطلاق كما قاله ابن الرملى (قوله محبوبة للخلق) قال تعالى وآتى المال على حبه وقال وانه لحب الخير لشديد يعنى لحب المال وانما كانت الاموال محبوبة لهم لكونها آلة لتنعمهم الخ (قوله مع ان فيه لقاء المحبوب) ولذلك صاروا لاجل المال يركبون البحار ويقتحمون الاسفار ويواصلونها

يبذل

ببذل المال الذى هو معشوقهم هذا اما كان فى حق المنفرد الممتنع عن الصلاة والزكاة وأما أولو القوة كالقبائل والقرى فيقاتلهم الامام على ترك الصلاة وأداء الزكاة وجوبا للحديث الصحيح أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال العلامة ابن حجر المكى فى شرح هذا الحديث ما ملخصه عند قوله يقيموا الصلاة أى يأتوا بها على الوجه المأمور به ويداوموا عليها وفيه دليل لقتل تاركها غير الجاحد لوجوبها وهو ما عليه أكثر العلماء لأنه غيا الأمر بالقتال بفعلها فما لم يفعلها فهو مقاتل وجوبا ويلزم من قتاله قتله غالبا أو احتمالا فدل على جواز بل وجوب قتله وسياق الحديث وان كان فى الكافر لكن المسلم أولى منه بذلك لأنه تركها مع اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر ومن ثم قضى المرتد ما فاته فى زمن ردته بخلاف الكافر الأصلى ثم قال عند قوله دماءهم وأموالهم وهى كما صح ايراد نحو البيع عليه وأريد به هنا ما هو أعم من ذلك حتى يشمل الاختصاصات ولا ينافى ما تقرر ما هو معلوم بالضرورة انه صلى الله عليه وسلم كان يعصم الدم بالشهادتين ومن ثم اشتد نكيره على اسامة لقتله من قالهما لأنه وان كان يقبل بمجرد النطق بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك صلاة ولا زكاة ومن ثم أمر معاذا لما بعثه صلى الله عليه وسلم الى اليمن ان يدعوهم أولا الى الشهادتين وان من أطاعه بهما أعلمه بالصلاة ثم بالزكاة فيعلم انه بهما يعصم ويحكم باسلامه ثم ان أتى بشرائع الاسلام فظاهر والا قوتل ذو المنعة ثم انه أتى بروايتين أخريتين وقال وليس فى الأحاديث الثلاثة ذكر الصوم والحج فيحتمل ان هذه الثلاثة كانت قبل فرضهما فيعطيان حكمهما من المقاتلة عليهما ولك ان تقول انهما داخلان فى قوله فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وبما جئت به فانه شامل لذينك وغيرهما من جميع ما علم من دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة وقد استدل الصديق رضى الله عنه بالرواية الأخرى التى ليس فيها الا حق كلمة الشهادة فجعل بكمال استنباطه ودقة فهمه مقاتلة مانعى الزكاة من أعلى حق وكلمة الاسلام وبالجملة فالواجب على الامام مقاتلة من ترك الصلاة أو منع الزكاة أو ترك حقا من حقوق الاسلام الظاهرة التى هى من شعائره وقد أجمعوا على جواز أخذ أموالهم اذا أصروا وعاندوا وأجمعوا على عدم جواز سبى ذراريهم فهم والمرتدون فى هذا الحكم من واد واحد * واعلم انه يجب على الامام انفاذ الحدود الشرعية وله ان

بسببه ويقاتلون عنه كما يقاتلون عن نفوسهم ويشحون به كما يشحون باولادهم **(قوله فجعل)** أى الصديق رضى الله عنه وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال أى كما ان الصلاة حق البدن وقد قرن الله بينهما فلا أفرق فكما كنت أقاتلهم على الصلاة لو تركوها فكذلك أقاتلهم على الزكاة اذا منعوها

يعزر فى كل معصية لا حد فيها ولا كفارة بحبس أو ضرب أو صفع أو توبيخ على حسب اجتهاده فى جنسه وقدره لأنه مأخوذ من العزر وهو المنع والنكال والاجبار على الأمر والتوقيف على الحق وكل ذلك غير مقدر فوكل الى رأيه لاختلافه باختلاف مراتب الناس ويجب على الامام ان لا يقطع الجهاد فى كل سنة الا اذا قامت الأعذار الواضحة الموجبة لتأخيره فله حينئذ ذلك وان يبث السرايا فى كل جهة من جهات العدو ويؤمر الصالحين العارفين بطرق الحروب ويوصيهم بتقوى الله بعد ان يستعرض الجيش فمن رآه ضعيفا أخره وان رأى فى دوابهم مالا يصلح أمر بابداله وكذلك أسلحتهم ومن كان منهم غير تام السلاح أمر باتمامه ويرد الجبان المخذل ان علمه ويأمر الجند ان يطيعوا أميرهم ولا يدعوا له النصيحة ولا يخذل بعضهم بعضا وان أظفرهم الله بعدوهم لم يغلوا ولم يخونوا الى غير ذلك من الآداب التى يحتاجون الى معرفتها قال الامام الحليمى لا يخفى ان الجهاد من أعظم أركان الدين لأنه لا شئ أعز على أحد من الحياة فاذا بلغ به تعظيم الله تعالى وحبه والغيظ على من يشرك به ويعصيه رضى بما قد يؤول أمره اليه من ان يقتل ولم يرض ان يرى عدو الله ماشيا على وجه الأرض متنعما بالحياة متقلبا فى نعم الله تعالى وهو مع ذلك يكفر به اما بان يجحده أو يشرك به مالا خلق له

(قوله فى كل معصية) لله أو لآدمى (قوله لا حد فيها) أراد به ما يشمل القود ليدخل نحو قطع الطرق (قوله أو صفع) وهو الضرب بجمع الكف أو بسطها (قوله أو توبيخ) باللسان (قوله من العزر) بفتح فسكون (قوله باختلاف مراتب الناس) والعاصين (قوله فله حينئذ ذلك) ويسن ان يبدأ بقتال من يلونا الا ان يكون الخوف من غيرهم أكثر فيجب البداءة بهم وان يكثره ما استطاع (قوله السرايا) جمع سرية وهى من مائة الى خمسمائة (قوله ويؤمر الصالحين) فان أمر فاسقا حرم (قوله العارفين بطرق الحروب) لأن القوم الى أمرائهم ينظرون وان رأوا من أميرهم كسلا كسلوا أو فشلا فشلوا وان ثبت ثبتوا وان رجع أو جنح للسلم أوجدهم كذلك (قوله بتقوى الله) وطاعته والتيقظ ويحذرهم الشتات والفرقة والاهمال والغفلة (قوله ضعيفا) بكبر أو مرض (قوله ويرد الجبان المخذل ان علمه) ومن صحب الجيش من غير المقاتلة فمن علم فيه فائدة للمقاتلة خلاه ومن خاف ان يصير كلا عليهم رده (قوله الجند) بالضم العسكر والأعوان والأنصار (قوله ان يطيعوا أميرهم) ويسمعوا ولا يختلفوا عليه (قوله ولا يخذل بعضهم بعضا) ولا جماعتهم الامير (قوله ولم يخونوا) ولم يقتلوا امرأة لا تقاتلهم ولا وليدا ولا يعقروا دابة لا تكون تحت مشرك وانهم ان وصلوا الى قرية لا يدرون حالها امسكوا ولم يشنوا عليهم الغارة حتى يعلموا حالها (قوله الجهاد) هو بذل الوسع فى القتال فى سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك

ولا

ولا رزق ولا نفع ولا ضر ودعته الحمية الى ان يجاهده فاما ان يرده الى الحق واما ان يقتله أو يقتله العدو ثم قال وينبغي ان تكون نية الامام صيانة حوزة الاسلام واعلاء كلمة الله تعالى وحمل عباده على دينه وطاعته واتباع أمره وعبادته ثم قال بعد ما تكلم واذا مضوا باسم الله فلقوا العدو فليتعوذوا بالله منهم وليقولوا اللهم انا ندرأ بك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا قاتلوا فليقولوا اللهم بك نصول و بك نحول وليقولوا اياك نعبد واياك نستعين اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وليكن شعارهم حم لا ينصرون الى غير ذلك من الآثار المذكورة فى هذا الباب و بالجملة فليكن نظر امام المسلمين الجمع على معنى كلمة التوحيد فيقاتل المشركين على شركهم والكفار على كفرهم والعاصين على معصيتهم عاملا بكتاب الله متبعا لسنة رسول الله فبهذا أمر المسلمون ولمثل هذا فليعمل العاملون

﴿الباب الخامس عشر فى معرفة البدع وأنواعها﴾

اعلم ان البدعة لغة المحدثة مطلقا واصطلاحا اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدثة فى الدين اما بزيادة أو نقصان وهى السيئة التى ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة أو سند صحيح استنبطه علماء الأمة فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الأصول فهى قد تكون مباحة كالمواظبة على أكل لب الحنطة والشبع منه مثلا

(قوله وعبادته) وكذلك ينبغى ان تكون نية الجند وأميرهم (قوله ندرأ) نمنع (قوله بك فى نحورهم) بضمتين جمع نحر وهو موضع القلادة من الصدر وهو المنحر والمعنى كما قال صاحب المفاتيح اللهم انا نجعلك فى ازاء أعدائنا حتى تدفعهم عنا انتهى (قوله ونعوذ بك الخ) كالعطف التفسيرى (قوله نصول) أى نسطو ونقهر من الصولة وهى الحملة والوثبة (قوله نحول) أى نتحرك وقيل نحتال وقيل ندفع فنمنع من حال بين الشيئين اذا منع أحدهما عن الآخر (قوله منزل الكتاب) بالتخفيف ويجوز تشديده والمراد جنسه أو القرآن (قوله الاحزاب) الطوائف من الكفار مفرده حزب وقوله واهزمهم بكسر الزاى اغلبهم والضمير راجع الى الأعداء الموجودين وقوله وزلزلهم أى اجعل أمرهم مضطربا (قوله من الآثار المذكورة فى هذا الباب) كان يقول فى عامة أحوالهم حسبنا الله ونعم الوكيل وان حصبوهم فليقولوا شاهت الوجوه وان رموهم فليقولوا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (قوله كالمواظبة على أكل لب الحنطة) فالمبالغة فى تطييب الدقيق وتحسينه واذهاب نخاله وأخذ لبابه أمر مبتدع (قوله والشبع منه) بكسر أوله وفتح ثانيه وسكونه مصدر شبع امتلأ بطنه و بعضهم يجعل الساكن اسم ما يشبع به من خبز ولحم وغيرهما وقد قيل إن أول بدعة حدثت الشبع مطلقا والزيادة عليه حرام ان أضرت أو كانت

وقد تكون مستحبة كبناء المنارة وتصنيف الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة وقد وقع من ذلك عن الصحابة شئ كثير كما وقع لأبى بكر وعمر ولزيد بن ثابت فى جمع القرآن فان عمر أشار به على أبى بكر خوفا من اندراس القرآن بموت الصحابة رضوان الله عليهم لما كثر فيهم القتل يوم اليمامة وغيره فتوقف أبو بكر رضى الله عنه لكونه صورة بدعة ثم شرح الله صدره لفعله لأنه ظهر له انه يرجع الى الدين وانه غير خارج عنه ولما دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له كيف تفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله انه حق وكما وقع لعمر فى جمع الناس لصلاة التراويح فى المسجد مع تركه صلى الله عليه وسلم لذلك بعد ان كان فعله ليالى وقال أعنى عمر نعمت البدعة هى لأنها وان سماها بدعة باعتبار معناها اللغوى فليس فيها رد لما مضى وزيادة فى الدين بل هى من الدين لأنه صلى الله عليه وسلم علل الترك بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم فمنشأ الذم ما قاد الى شئ من مخالفة السنة ودعا الى الضلالة قال ابن حجر المكى ما حاصله والحاصل ان البدع منقسمة الى الأحكام الخمسة لأنها اذا

من طعام الغير ولم يعلم رضاه بذلك والا فلا حرمة (قوله المنارة) فى المصباح المنارة التى يوضع عليها المصباح وهى بفتح الميم مفعلة من الاستنارة والقياس كسرها لأنها آلة والمنارة التى يؤذن عليها وجمعها مناور بالواو ولا بالهمزة لأنها أصلية كما لا تهمز ياء معايش لذلك وبعضهم يهمزها يقول منائر تشبيها للاصلى بالزائد كما قيل مصائب والأصل مصاوب انتهى (وتصنيف الكتب) فى العلوم المندوب نقلها اما ما يجب تعلمه ولو كفاية فالتصنيف لكتبه فرض كفاية صرح به الزركشى من الشافعية وغيره (قوله وشبه الفرق) بضم ففتح جمع شبهة وذلك فرض كفاية على الصالحين له ويجب أن يكون فى كل ناحية من له قدرة على القيام بذلك ودفع الشبهة أما رد كل من أصحاب المذاهب الأربعة على مخالفيهم فى الحكم فهذا كما قال التاج السبكى فى معيد النعم مما لا ينبغى بل الذى يطلب منهم تأييد بعضهم لبعض والاجتماع على رد ذوى الزيغ والبدع وتنازعهم فيما بينهم يشغلهم عن ذلك فيفرح المبتدعة (قوله انه لحق) ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره للذى شرح له صدرهما (قوله ليالى) أى ثلاث وفى الليلة الرابعة دخل الى الحجرة بعد ما صلى الفريضة ولم يخرج اليهم فلم يزالوا ينتظرون خروجه وظنوا انه نام فجعل بعضهم يتنحنح وبعضهم يقول الصلاة فخرج اليهم وقال خشيت ان تفرض عليكم فصلوا أيها الناس فى بيوتكم فان أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة (قوله باعتبار معناها اللغوى) وهو ان عمر رضى الله عنه جمعهم على امام واحد وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة عملا لم يكونوا يعملونه من قبل فسمى بدعة باعتبار المعنى اللغوى ولم تكن بدعة شرعية لأن السنة اقتضت انه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض زال بموته صلى الله

عرضت

غرضت على القواعد الشرعية لم تخل عن واحد من تلك الأحكام فمن البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف واللغة والمعانى والبيان ومن المحرمة مذاهب سائر البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومن المندوبة احداث نحو المدارس وكل احسان لم يعهد فى العصر الأول ومن المكروهة زخرفة نحو المساجد ومن المباحة التوسع فى لذيذ المآكل والمشارب انتهى والقول الفصل الموضح لما تقدم هو ان البدعة لها معنيان أحدهما لغوى وهو المحدث مطلقا سواء كان من العادات أو العبادات وثانيهما شرعى وهو الزيادة فى الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا اشارة فالبدعة التى هى ضلالة كما فى الحديث هى بحسب معناها الشرعى فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التى هى لأصول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع مخالفات فالمنارة عون للمؤمنين لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم ونظم الدلائل لرد الشبه ذب عن الدين فكل ذلك مأذون فيه لأن البدعة الحسنة مالم يحتج اليه الأوائل واحتاج اليه الأواخر وعند الاستقراء لا توجد هذه البدعة فى العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة بل لا تكون البدعة فيها الا سيئة قال صاحب مجالس الأبرار ما ملخصه لأن عدم وقوع الفعل فى الصدر الأول اما لعدم الحاجة اليه أو لوجود مانع أو لعدم تنبه أو لتكاسل أو لكراهة أو لعدم مشروعية والأولان منتفيان فى العبادات البدنية المحضة لأن الحاجة فى التقرب الى الله لا تنقطع و بعد ظهور الاسلام لم

عليه وسلم فانتفى المعارض وهكذا جمع القرآن فان المانع من جمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ان الوحى لا يزال ينزل فيغير الله مايشاء فلو جمع فى مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت فلما استقر القرآن واستقرت الشريعة بموته صلى الله عليه وسلم أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه وأمنوا من زيادة الايجاب والتحريم والمقتضى للعمل قائم بسنته صلى الله عليه وسلم فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وان كان يسمى فى اللغة بدعة **(قوله ودعا الى الضلالة)** ثم البدعة لا تخلو اما ان تكون فى الاعتقاد أو فى العبادة أو فى العادة فالتى فى الاعتقاد يكون بعضها كفرا و بعضها ليس بكفر لكنها أكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا وليس فوقها الا الكفر والتى فى العبادة وان كانت دون الاولى الا ان فعلها عصيان وضلال لاسيما اذا صارت سنة والتى فى العادة ليس فى فعلها عصيان وضلال بل ترك الاولى **(قوله الى الأحكام الخمسة)** وهى الايجاب والندب والتحريم والكراهة وخلاف الاولى **(قوله والبيان)** بخلاف العروض والقوافى ونحوهما **(قوله المدارس)** جمع مدرسة وهى محل الدرس للعلم **(قوله زخرفة نحو المساجد)** كتزويق المصاحف **(قوله فالمنارة عون لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم)**

يكن منه امانع ولا يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم عدم التنبه أو التكاسل فذاك أسوأ الظن المؤدى الى الكفر فلم يبق الا كونها سيئة غير مشروعة وكذلك يقال لكل من أتى فى العبادات البدنية المحضة بصفة لم تكن فى زمن الصحابة اذ لو كان وصف العبادة فى الفعل المبتدع يقتضى كونه بدعة حسنة لما وجد فى العبادات ماهو بدعة مكروهة ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها ومثل أنواع النغمات الواقعة فى الخطب وفى الأذان وقراءة القرآن فى الركوع مثلا والجهر بالذكر امام الجنازة من البدع المنكرة فمن قال بحسنها قيل له ماثبت حسنه بالأدلة الشرعية فهو اما غير بدعة فيبقى عموم العام فى حديث كل بدعة ضلالة وحديث كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد على حاله أو يكون مخصوصا من هذا العام والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه فمن ادعى الخصوص فيما أحدث أيضا احتاج الى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو اجماع مختص بأهل الاجتهاد ولا نظر للعوام ولعادة أكثر البلاد فيه فمن أحدث شيأ يتقرب به الى الله تعالى من قول أو فعل فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله تعالى فعلم ان كل بدعة فى العبادات البدنية المحضة لاتكون الاسيئة والحاصل كلما أحدث ينظر فى سببه فان كان لداعى الحاجة بعد ان لم يكن كنظم الدلائل لرد الشبه التى لم تكن فى عصر الصحابة أو كان قد ترك لعارض زال بموت النبى صلى الله عليه وسلم كجمع القرآن فان المانع منه كون الوحى لا يزال ينزل فيغير الله مايشاء وقد زال كان حسنا

فكل منهما قربة مطلوبة شرعا والوسيلة للقرب قربة (قوله غير مشروعة) وهذا المعنى أراد عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما أخبر بالجماعة الذين كانوا يجلسون بعد المغرب وفيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا فيفعلون فحضرهم فلما سمع مايقولون قام فقال أنا عبد الله بن مسعود فوالله الذى لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء أو لقد فقتم على أصحاب محمد علما يعنى ان ماجئتم به اما ان يكون بدعة ظلماء أو انكم تداركتم على الصحابة مافاتهم لعدم تنبههم له أو لتكاسلهم عنه فغلبتموهم من حيث العلم بطريق العبادة والثانى منتف فتعين الاول أى كونه بدعة ظلماء (قوله مثل صلاة الرغائب) وهى مايصليها بعضهم فى أول جمعة من رجب وفى ليلة النصف من شعبان قال النووى هى أى صلاة الرغائب بدعة منكرة من البدع التى هى ضلالة وجهالة قاتل الله واضعها أو مخترعها قال وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة فى تقبيحها وتضليل من يصليها ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلها أكثر من ان تحصر (قوله للعوام) أو ماهم فى حكمهم من الزهاد والعباد الذين لا علم عندهم (قوله مالم يأذن به الله تعالى) فمن تبعه فقد اتخذه شريكا ومعبودا كما قال تعالى فى حق أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال عدى بن حاتم للنبى صلى الله عليه وسلم ماعبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم

والا فاحداثه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغيير لدين الله تعالى مثلا الأذان فى الجمعة سنة وقبل صلاة العيد بدعة ومع ذلك فانه يدخل فى عموم قوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله فيقول القائل هذا زيادة عمل صالح لا يضر لأنه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل فان الزيادة لو جازت لجاز ان يصلى الفجر أربعا والظهر ستا و يقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر لكن أهل السنة يتبعون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الفعل والترك فان الله سبحانه قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين فهذا هو من غير زيادة أو نقص فالزيادة عليه كالنقصان فنعبده بما شرع ولا نعبده بالبدع فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة وآراؤنا اذا كاسدة خاسرة والعقول لا تهتدى الى الأسرار الالهية فيما شرعه من الأحكام الدينية أوما ترى كيف ندبت الى الصلاة دائما ونهيت عنها فى الأوقات الخمسة وذلك ينتهى الى قدر ثلث النهار فينبغى لك ان تكون حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم فهم السواد الأعظم ومنهم يعرف الحسن من القبيح والمرجوح من الرجيح واذا وقع أمر ينظر فيه الى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف فان وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه والا فلينبذه وراء ظهره وليتبصر فى جلية أمره ولا تغرنك عوائد

أطاعوهم فمن أطاع أحدا فى دين لم يأذن به الله تعالى فقد عبده واتخذه ربا (قوله والا) بان كان المقتضى لفعله فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم موجودا من غير وجود المانع ومع ذلك لم يفعله صلى الله عليه وسلم (قوله تغيير لدين الله تعالى) اذ لو كان فيه مصلحة لفعله صلى الله عليه وسلم أو حث عليه فلما لم يفعله ولم يحث عليه علم ان ليس فيه مصلحة بل هو بدعة قبيحة سيئة (قوله فيقول) أى فان كان يقول (قوله زيادته لا تضر) وليس لأحد ان يقول ذلك ثم ان من فعل ذلك ان كان معتقدا عدم مشروعيته يكون فاسقا غير مبتدع وان اعتقد مشروعيته يكون فاسقا مبتدعا لان الفسق أعم من البدعة فكل بدعة فسق من غير عكس ولذا قيل البدعة شر من الفسق (قوله وأتم لنا الدين) كما قال فى كتابه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى (قوله من الأحكام الدينية) قال الامام الغزالى فى كتاب الأربعين فى أصول الدين اياك ان تتصرف بعقلك وتقول كلما كان خيرا ونافعا فهو أفضل وكلما كان أكثر كان أنفع فان مثلك لا يهتدى الى اسرار الأمور الالهية وانما يتلقاها قوة النبى صلى الله عليه وسلم فعليك بالاتباع فان خواص الأمور لا تدرك بالقياس أوما ترى الخ (قوله الى قدر ثلث النهار) وقال فى الاحياء فكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الأدوية مع ان التجربة سبيل اليها كذلك تقصر عن ادراك ما ينفع فى الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما يكون ذلك لو رجع الينا بعض الاموات وأخبرونا عن الأعمال المقربة الى الله تعالى والمبعدة عنه وذلك مالا مطمع فيه (قوله والمرجوح من الرجيح) فان أعلم

الناس فانها السموم القاتلة والداء العضال وعين المشقة المؤدية إلى الضلال وقد كان هشام بن عروة يقول لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فانهم قد أعدوا له جوابا لكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وأخرج أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها وأخرج البيهقي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال أبغض الأمور الى الله تعالى البدع قال الامام ابن حجر المكي في شرح الأربعين مانصه وان البدع السيئة وهي ما خالف شيأ من ذلك صريحا أو التزاما قد ينتهي الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى والى ما يظن انه طاعة وقربة فمن الاول الانتماء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشايخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر ومنه ما عمت به البلوى من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء أو قضاء حاجة وقبائحهم في هذا ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان وقد صح ان الصحابة رضي الله عنهم مروا بشجرة سدر قبل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها بها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن

الناس وأقربهم الى الله تعالى أشبههم بهم وأعرفهم بطريقهم اذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع (قوله أبغض الأمور الى الله البدع) لما تضمنته من التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله عنادا أو جهلا وهي أحب الى ابليس من كبار الذنوب كما قال بعض السلف البدعة أحب الى ابليس من المعصية لأن المعصية يتأبى منها والبدعة لا يتأبى منها وقال ابليس أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رأيت ذلك نفثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان ضرر المذنب على نفسه وأما المبتدع فضرره على النوع وفتنة المبتدع في أصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه فلهذه الفروق وغيرها كانت أبغض الأمور الى الله وأحب الى ابليس من المعاصي (قوله قال قوم موسى لموسى) لما جاوز ببني اسرائيل البحر ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم (قوله اجعل لنا الها) نعبده وقوله كما لهم آلهة يعبدونها وقوله من كان قبلكم رواه مالك والنسائي والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح عن الزهري عن سنان بن أبي سنان

سنان

سنن من كان قبلكم ومن الثانى ومنشؤه ان الشارع يخص عبادة بزمن أو مكان أو شخص أو حال فيعممونها جهلا وظنا انها طاعة مطلقا نحو صوم يوم الشك أو التشريق والوصال ومنه التعريف بغير عرفة ثم قال ومنه الصلاة ليلة الرغائب أول جمعة فى رجب وليلة النصف من شعبان فهما بدعتان مذمومتان ثم قال والكلام فى خصوص احيائهما بالكيفية المشهورة بين العوام فلا ينافيه الأمر بالقيام ليلتها أى ليلة النصف من شعبان الى آخر ما قال (أقول) ومن أعظم البدع الغلو فى تعظيم القبور فلقد اتخذوها فى هذا الزمان معابد يعتقدون ان الصلاة عندها أفضل من الصلاة فى جميع بيوت الله وهم وان لم يصرحوا ولكن طبعت قلوبهم على ذلك فتراهم يقصدونها من الأماكن البعيدة وربما ان تكون بحذائهم مساجد مهجورة فيعطلونها واذا الحقوا على الصلاة فيها ولو فى أوقات الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة فى الأوقات الفضيلة فى المساجد وتلك المساجد التى بحذاء القبور ليست مقصودة لكونها بيوت الله بل لكونها حضرات لمن انتسبت اليه من أهل تلك القبور يدل على ذلك كله انهم لا يسمونها الا حضرات فاذا قلت لأحدهم اين صليت قال لك صليت فى حضرة الشيخ فلان وليس مقصودهم الا التقرب به وبحضرته وكلما أكثر الرجل التردادا الى القبور ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباج والترصيع بالفضة والعقيان أى الذهب الخالص فضلا عن غيرها كان مشهورا بين الناس بالديانات مغفور الزلات مقربا عند أصحاب تلك الحضرات ولقد امتلئت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم فتراهم اذا اعضلت عليهم الأمور أوصى بعضهم بعضا بقصد أصحاب القبور وكذلك اذا وقع على أحد يمين بالله حلف به من غير أدنى وجل أو حذر واذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالغسل لهذا اليمين ليكون ذلك من أقوى العبادات خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه فلو سلمنا انه أدخل الى قبره ارتعدت فرائصه وانحلت قواه وربما ان أحدهم لكثرة أوهامه وشدة خوفه تبطل حواسه فيزدادون كفرا وتضحك عليهم الشياطين جهرا وترى كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم فيأخذون المريض وهو فى غاية شدته فيدخلون على قبره والسعيد عندهم من يدخلوه داخل شباكه ويتعلق بستر قبره والرزية العظمى انهم فى حالتى السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم فان مات مريضهم قالوا ما قبلنا الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر وان صادف القدر فعوفى سيما اذا وافق مطلوبهم ذلك الوقت فرحوا بما عندهم من الكفر فأرسلوا القرابين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم اظهار القدرة صاحب القبر وتنبيها على فضيلته وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل

الدولى عن أبى واقد الليثى انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وذكر الحديث المذكور (قوله والعقيان) أى الذهب الخالص

الجهل من الاعراب من ان من فعل شيأ عظيما نشرت له راية بيضاء وقد رأيت من لم يفعل ذلك
ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب بأعلى صوته الراية
البيضاء المبنية لفلان بيض الله وجهه وبالجملة فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك حتى انى
رأيت بدمشق الشام اناسا ينذرون للشيخ عبد القادر الجيلى قنديلا يعلقونه فى رؤس المنابر
ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح وهم يعتقدون ان ذلك من أتم القربات اليه
كأنهم يقولون بلسان حالهم أينما توقدوا فثم عبد القادر فيالله العجب ماهذه الخرافات وأين دين الله
الذى قدمات بال الشيطان فى عقولهم وأضلهم عن سبيلهم ولا ترى أحدا ينهى وينكر عن
أمثال ذلك وأعظم مما هنالك ومن أقبح المنكرات مايستعمله جميع النساء عند وضع الاناث ولا
سيما فى شدة الطلق فانهن يستغثن بعلى بن أبى طالب وكلما اشتد الطلق صاحت النساء بأعلى أصواتهن
داعيات ومستغيثات به ليفرج عنهن ماقد كربهن ومن يسمعهن يتيقن اشراكهن وقلما تسلم امرأة
منهن فى هذا الحال العظيم والخطب الجسيم وكثير منهن يزعمن انه الموكل بالأرحام والموكول اليه فى
هذه الأحوال العظام ومن البدع المنكرة ان كثيرا من أهل الهند وأهل الأماكن القاصية يرسلون
الهدايا العظيمة والأموال الكثيرة اما لاجراء القنوات لأجل المجاورين عند قبورهم فانهم عندهم
أفضل خلق الله ومن جاور عندهم فكأنما ابتاع منهم قطعة من الجنان واما العمل قبابهم بصفائح
الذهب العقيان وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة أعلاما ينشرونها على فلكهم اذا وقعوا
فى شدتهم فيكون اسمه المكتوب فى تلك الاعلام المرسلة اليهم كشافا الكربتهم نفاعا لهم بانجاح
بغيتهم وأكثر نساء بغداد اذا قلن صحيحات من وضعهن يخبزن خبزا يسمينه عباس المستعجل يزعمن
ان العباس بن على بن أبى طالب هو المتكفل بهذه الأمور العظام ومن ذلك عند الناس شئ كثير من
أحجار وآبار وصخور وأشجار يزعمون منها شفاء الأمراض وقضاء الحاجات وتفريج الكربات. ولو
بسطت الكلام فى ذلك مما يستعمله الرجال والنساء أو يختص بالنساء من أشياء يعلقنها عليهن ويبين
خواصها وتأثيراتها فى أزواجهن ويسمينها بأسماء لورجعت الجاهلية الأولى لعجزت عن أقل القليل
من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات لاحتمل مجلدات والويل كل الويل لمن أنكر ذلك أو تكلم
بأدنى شئ ينجى من تلكم المهالك ومن أسخف البدع انك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب
بالطسوس والنحاس شيأ عظيما ولا تكاد تسمع برجل دخل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى فى
بيته أو استغفر أو تاب أو تصدق فبالله نستعين على زمان أميتت فيه السنن واستؤنس بالبدع اللهم
اذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين آمين ومن البدع المنكره مايستعمله المتصوفة
من أذكار اشتملت على الدفوف والطبلات والغناء وأنواع الرقص ويسمونه حالا وتراهم يعملون

ذلك ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على مالا يرضى الله تعالى ويحضره الفسقة والمرد والنساء فيحصل من ذلك ماتظهر به شعائر الفسق والعصيان وترى الشيخ لوحصلت له مواجهة الظلمة وظفر بدراهمهم لعدها من أطيب المكاسب وأقرب المراتب لاأكثر الله من أمثالهم ولا تتعب بنا تنابذكر سوء فعالهم وكذلك لانلوث ألسنتنا بقاذورات كلمات الفلاسفة التى انبنت عليها أصولهم الفاسدة وان كنت قدوعدت بايراد بعض منها فى صدر هذه العجالة فالقصد بيان علوم الرسالة فكيف نخلطها بأقوال أهل الضلالة وعسى الله تعالى ان يفسح فى الأجل فنعمل رسالة نلخص فيها قواعدهم ونذكر مايتفرع على كل قاعدة من مفاسدهم والله المستعان والحاصل لوأراد الانسان ان يفصل منكرات القبور وتكيات المتصوفة ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والأحجار والتماثيل وكذا منكرات المساجد والحمامات والطرقات والأسواق والبوادى والأمصار فضلا عن الدخول فى منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء ومماابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها الضاق عنه نطاق التحرير وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطير وعسى الله سبحانه وتعالى ان يرسل فى هذه الامة من يجدد لها أمر الدين ويتبع سبيل المسلمين ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مؤمنين آمين

﴿الخاتمة رزقنا الله حسنها وفيها فصول ثلاثة﴾

﴿الفصل الأول فى النذر﴾

اعلم ان النذر لغة الوعد بخير والايجاب وشرعا الزام مكلف مختار عبادة غير لازمة له بأصل الشرع وهو أقسام نذر معصية فيحرم الوفاء به قطعا ولا يصح وفاقا بين الشافعى وأصح الروايتين عن أحمد لخبر مسلم لانذر فى معصية الله ولا فيما لايملكه ابن آدم وعند أبى حنيفة وهو الرواية الاخرى عن أحمد ينعقد وحرمة الوفاء به لاتمنع انعقاده ويكفر كفارة يمين وأما فى غير هذه الصورة من المعصية فهو قسمان أحدهما نذر لجاج وهو ماعلق على شئ لقصد المنع منه أو الحث عليه والغالب فيه ان يكون ناشئا من الغضب كان كلمته

(قوله ربنا أفرغ علينا صبرا) أى افض علينا صبرا يغمرنا كما يغمر الماء أوصب علينا مايطهرنا من الآثام والصبر على هذه المنكرات (قوله وتوفنا مؤمنين) أى ثابتين على الايمان (قوله رزقنا الله حسنها) جملة دعائية والمراد من الخاتمة هنا ومن الضمير العائد اليها آخر العمر وعاقبته ففى الكلام طريق الاستخدام (قوله عبادة غير لازمة له باصل الشرع) وأركانه ناذر ومنذور وصيغة وشرط الناذر اسلام واختيار ونفوذ تصرفه فيما ينذره (قوله لانذر فى معصية الله الخ) وكالمعصية المكروه لذاته أو لازمه وهو ماصرح به بعض الشافعية (قوله فهو) أى النذر (قوله لجاج) بفتح اللام وهو التمادى فى الخصومة (قوله وهو) أى نذر اللجاج (قوله كان كلمته) أو ان لم أكلمه أو ان لم يكن الامر

فلله على عتق أو صوم وفيـه عنـد الامام الشافعي ثلاثة أقوال أصحها انه مخير قبـل فعله بين ان يفعل ما التزم أو يكفر كفارة يمين وهـذا هو الرواية الصحيحة عن أحمـد بن حنبل وثانيها ماندر تبرر وسمي به لانه لطلب البر أو التقرب الى الله كما ينـذر لله بلا تعليـق من الطاعات كصلاة وصوم وحج وغـير ذلك فيلزم الوفاء به وكذا المعلق اذا حصل المعلق عليه عند أكثر العلماء لخبر البخارى من نذر ان يطيع الله فليطعـه وقد جعل الشافعيـة من اللجاج ماهو تبرر وفرقوا بينـه و بين اللجاج ان الاول تعليق بمرغوب فيه والثانى بمرغوب عنـه ومثل له القفال حيث قال لو قالت لزوجها ان جامعتنى فعلى عتق عبد فان قالته على سبيل المنع فلجاج أو الشكر لله حيث يرزقها الاستمتاع بزوجها لزمها الوفاء به انتهى بنقـل ابن حجر وعلى كل حال فالنذر اللجاج مكروه عنـد الامام الشافعي ونذر التبرر مباح و يثاب بفعل ماعاقه عليه من الطاعة وعند الامام أحمد كلاهـما مكروه وان أثيب على مايفعله فى صورة التبرر لقوله صـلى الله عليه وسـلم فيما يرويه عن الله عز وجل (لا يأتى ابن آدم) بالنصب مفعول مقدم وفاعله (النذر) بفتح النون (بشئ لم أكن قدرته ولـكن يلقيه النذر الى القدر) يعنى لا يأتى النذر بشئ غـير مقدر فان وجد شئ فالقدر هو الذى يلقى ذلك المطلوب لا النـذر (وقد قدرته له استخرج به من البخيل فيؤتينى عليه مالم يكن يؤتينى عليه من قبـل) قال النووى معناه ان الناذر لا يأتى مبتدئا بهذه القربة تطوعا بل فى مقابلة بنحو شـفاء مريض مما علق النـذر به وقال الخطابى فيه اشارة الى ذم ذلك وفى قوله استـخرج اشارة لوجوب الوفاء به وأما مدح الوافين به قال بعضهم فلا يدل على استحسانه ومشروعيته بل على جوازه والوفاء به ولذلك لم يفـعله النبى صـلى الله عليه وسـلم ولا امر به بل نهى عنه وأخـبر انه لا يرد قضاء ولا يأتى بخير بقى عنـدنا صورة أخرى عليها مدار الناس فى هذا الزمان وهو النذر لغير الله كالنذر لابراهيم الخليـل أو النبى صـلى الله عليه وسـلم

كما قلته (قوله فلله على) أو فعلى (قوله عتق أو صوم) أو عتق وصوم وحج (قوله وفيـه) عند وجود المعلق عليه (قوله ثلاثة أقوال) أحدها ان فيه كفارة يمين لخبر مسلم كفارة النذر كفارة يمين ولا كفارة فى نذر التبرر قطعا فتعين حمله على نذر اللجاج وثانيها على ما التزم لخـبر من نذر وسـمى فعليـه ماسمى وثالثها وهو أصحها الخ (قوله أو يكفر كفارة يمين) لأنه يشـبه النذر من حيث انه التزم قربة واليمـين من حيث ان مقصوده مقصود اليمـين ولا سـبيل للجمع بين موجبيهـما ولا لتعطلهما فوجب التخيير (قوله وكذا المعلق الخ) كان شفى الله مريضى فلله على أو فعلى (قوله فليطعه) وظاهر كلامه انه يلزمه الفور بادائه عقب وجود المعلق عليـه وهو كذلك (قوله انتهى بنقـل ابن حجر) فعـلم من كلامه ان نذر التبرر قسمان معلق وغـيره وهو كذلك (قوله اشارة لوجوب الوفاء به) أى لأن غير البخيل يعطى باختياره بلا واسطة النذر والبخيل انما يعطى بواسطة

او

أو النذر للاموات الصالحين فقد جرت هذه العادة الخبيثة في هذا الوقت من نذرهم الطعام والزيت والشموع والقرابين لاهل القبور من الاموات وقد اضطربت أقوال العلماء في ذلك فقال ابن حجر المكي في التحفة يقع لبعض العوام جعلت هذا القبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصح كما بحث لانه اشتهر في النذر في عرفهم ويصرف لمصالح الحجرة النبوية بخلاف متى حصل لي كذا أجيء له بكذا فانه لغو وقال في مكان آخر منها ومنها التصدق على ميت أو قبره ان لم يرد تمليكه واطرد العرف بأن ما يحصل له يقسم على نحو فقراء هناك فان لم يكن عرف بطل قال السبكي والاقرب عندي في الكعبة والحجرة الشريفة والمساجد الثلاثة ان من خرج من ماله عن شيء لها واقتضى العرف صرفه في جهة من جهاتها صرف اليها واختصت به انتهى ثم قال ومنها اسراج نحو شمع أو زيت في مسجد أو غيره كمقبرة ان كان ثم من ينتفع به ولو على ندور فيجب الوفاء به والا فلا انتهى وسئل في فتاويه عن أحكام النذر لقبور الأولياء والمساجد وللنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأجاب بقوله النذر للولي انما يقصد به غالبا التصدق عنه لخدام قبره وأقاربه وفقرائه فان قصد الناذر شيأ من ذلك أو أطلق صح وان قصد التقرب لذات الميت كما يفعله أكثر الجهلة لم يصح وعلى هذا الأخير يحمل اطلاق أبي الحسن الأزرق عدم صحة النذر للقبر مطلقا ثم قال فيها وحيث قالوا في باب الوقف انه يعمل فيه بالعادة الموجودة في هذه الشروط وانها بمنزلة شرط الواقف فكذلك نقول هنا العادة المذكورة بمنزلة شرط الناذر فيعمل بجميع ما حكمت به وقال علاء الدين الحنفي في شرح الملتقى واعلم ان النذر الذي يقع للاموات من أكثر العوام تقربا اليهم فهو بالاجماع باطل حرام مالم يقصد واصرفها الى فقراء الأنام وقد ابتلي الناس بذلك ولاسيما في هذه الأيام انتهى وسئل خير الدين الرملي الحنفي في فتاويه عن النذور المتعلقة بالأنبياء والأولياء يقبضها قوم ويزعمون ان ما يتناولونه حقا من حقوقهم الى آخر السؤال فأجاب هذه المسئلة جعل فيها شيخ الاسلام الشيخ محمد الغزي رسالة حاصلها ان النذر لا يصح الا اذا كان من جنسه واجب مقصود اذ ليس للعبد ان ينصب الأسباب ويشرع الأحكام ثم قال وفي شرح الدرر للعلامة قاسم وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام كان يقول ياسيدي فلان يعني به وليا من الأولياء أو نبيا من الأنبياء ان رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو الطعام أو الشراب أو الزيت كذا فهذا باطل بالاجماع لأنه نذر لمخلوق وهو لا يجوز لأنه أي النذر عبادة لا تكون لمخلوق والمنذور له ميت والميت لا يملك وانه ان ظن

النذر الموجب عليه (قوله صرفت اليها واختصت به) فان لم يقتض العرف شيأ فالذي يتجه انه يرجع في تعيين المصرف لرأي ناظرها وظاهر ان الحكم كذلك في النذر الى مسجد غيرها خلافا لما يوهمه كلامه (قوله من أكثر العوام) زاد في شرح التنوير وما يؤخذ من الدراهم والشمع

ان الميت يتصرف فى الأمور كفر ثم قال فاذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها فتنقل الى ضرائح الأولياء تقربا اليهم لا الى الله فحرام باجماع المسلمين مالم يقصدوا الفقراء الأحياء قولا واحدا وقد علم بما نقلناه ان ماينذره العوام للشيخ مروان وعلى بن عليل وروبيل لايصح ولا يلزم وليس للخادم أخذه على انه نذر صحيح الا اذا أخذه على وجه الصدقة المبتدأة وكان فقيرا هذا بعض من كلام شارح الدرر ثم قال المستفتي أقول قد استباح هذا المحرم المجمع على حرمته جماعة يزعمون انهم متصوفة الى آخر ما قال فى الرد وأطال فى الذم قال بعضهم لو نذر للانبياء أو للاولياء أو للملائكة فلا خلاف بين من يعلم ذلك ويتبينه انه من شرك الاعتقاد لأن الناذر لم ينذر هذا النذر الا لاعتقاده فى المنذور له انه يضر وينفع ويعطى ويمنع اما بطبعه واما بقوة السببية فيه والدليل على اعتقادهم هذا الاعتقاد قولهم وقعنا فى شدة فنذرنا لفلان فانكشفت شدتنا ويقول بعضهم هاجت علينا الأمواج فندبت الشيخ فلان فسلمت سفينتنا وبعضهم يقول خرجت علينا الأعداء وكدنا نستأسر فندبت فلان ونذرت له الشئ الفلانى فسلمنا وتراهم اذا لم يفوا وحصلت لهم بعض الآلام قيل للناذر أوف بنذرك والا يفعل بك كذا وكذا فيسارع بالوفاء ولو انه يستدين على ذمته ولو كان مديونا أو مضطرا أو ربما لا يعبأ بوفائه وربما يموت وهو مديون كل ذلك خوفا من المنذور له وطلبا لرضاه وهل هذا الامن سوء اعتقاده وقلة دينه وكساده وغاية جوابه اذا عذلته ان يقول لك مقصودى يشفعون لى ووالله ماتخطر الشفاعة على قلبه ولا يعرف الاان ذلك المنذور له هو القاضى لحاجته والمهيئ لبغيته وبعضهم يقول نذرت لفلان فرأيت أشخاصا جاؤا وأنا بين النوم واليقظة فدفعوا السفينة أو العدو مثلا فانتبهت وقد حصل المطلوب وتم المرغوب وبعد هذا لا يعرف غيره ويعتقد ان لا خير الا خيره ولا ضير الا ضيره عافانا الله فى الدين الى يوم الدين آمين

﴿الفصل الثانى فى النحر وأحكام الذبائح﴾

اعلم ان المراد بالنحر حيث أطلق نحر الابل فهو خاص بها كما ان الذبح يعم غيرها من سائر المأكولات وقد خصه الله سبحانه بقوله فصل لربك وانحر لأن البدن كانت خيار أموال العرب وقد قرن الله سبحانه النحر بالصلاة اهتماما بشأن تخصيصه به والمعنى انحر لربك مخالفا لقومك من نحرهم للاوثان فان من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر قال محمد ابن كعب ان اناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون فامر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد وانحر نسكك وقال الله تعالى قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين

والمراد

والمراد من النسك كما قال المفسرون اما العبادة كلها أو القربان ومعنى محياى ومماتى ما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الطاعة الفائضة عن الايمان لله رب العالمين خالصة له لا أشرك فيها غيره فقد قرن سبحانه فى هذه الآية الشريفة القرابين التى امتاز بتخصيصها الله وحده الموحدون عن المشركين بالصلاة التى هى عماد الدين * واعلم ان الذبح للحيوان المأكول المبيح لاكله هو المفروض والمراد به قطع الحلق وهو أعلى العنق أو اللبة وهى أسفله والتذكية لغة التطييب ومنه رائحة ذكية والتتميم ومنه فلان ذكى أى تام الفهم سمى بها الذبح المبيح لانه يطيب المذبوح باباحته اياه والتذكية الشرعية لا تحصل الا بقطع كل الحلقوم والمرىء فالتذكية أخص من الذبح المطلق والمراد بالحلقوم مخرج النفس وبالمرىء مهموزا مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم ويستحب قطع الودجين بفتح الواو والدال وهما عرقان فى صفحتى العنق يقال لهما الوريدان وأوجب قطعهما الامام أبو حنيفة ويسن جعل الذبح للغنم والبقر والنحر للابل أى طعنها بماله حد فى منحرها وهو الوهدة التى فى أسفل العنق للامر به فى سورة الكوثر والتسمية عند الذبح عند الشافعى سنة مؤكدة يكره تركها عمدا وعند أبى حنيفة شرط حالا فلا يحل عنده متروك التسمية عمدا وأما نسيانا فتحل وعند الامام مالك لا تحل مطلقا وانما كره تعمد ترك التسمية ولم يحرم عند امامنا الشافعى لانه تعالى أباح لنا ذبائح الكتابيين وهم لا يسمون غالبا والدلائل من الجانبين كثيرة فلا نطيل الكلام

والزيت ونحوها الى ضرائح الأولياء الكرام (قوله لله رب العالمين) ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم فى قربانه يقول اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر اتباعا لقوله تعالى ان صلاتى ونسكى الى آخر الآية (قوله عن الايمان) أو طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير أو الحياة والممات أنفسهما (قوله لا أشرك فيها غيره) وبذلك الاخلاص وعدم الشرك أمرت وأنا أول المسلمين (قوله واللبة) بفتح أوله (قوله والتذكية) بالذال المعجمة (قوله سمى بها) شرعا (قوله لانه يطيب) أكل الحيوان (قوله الشرعية) لكل حيوان برى وحشى أو انسى قدر عليه (قوله بقطع كل الحلقوم والمرىء) لأن الحياة انما تنعدم حالا باعدامهما (قوله مخرج النفس) يعنى مجراه دخولا وخروجا قال بعضهم ومنه المستدير الناتىء المتصل بالفم كما يدل عليه كلام أهل اللغة فتى وقع القطع فيه حل كما يدل عليه كلام الشافعية (قوله صفحتى العنق) يحيطان بالحلقوم وقيل بالمرىء (قوله واجب قطعهما) لأنه من الاحسان فى الذبح المأمور به اذ هو أسهل لخروج الروح (قوله فى أسفل العنق) المسمى باللبة (قوله فى سورة الكوثر) وفى الصحيحين ولأنه أسرع لخروج الروح لطول العنق ومن ثم بحث ابن الرفعة وتبعوه ان كل ما طال عنقه كالاوز كالابل (قوله يكره تركها عمدا) ولا يقال المقام لا يناسب الرحمة لأن تحليل ذلك لنا

فيما قال ابن حجر المكي فى شرح المنهاج (ولا يقول باسم الله واسم محمد) أى يحرم عليه ذلك للتشريك لان من حق الله تعالى ان يجعل الذبح باسمه فقط كما فى اليمين باسمه نعم ان أراد اذبح باسم الله وأتبرك باسم محمد كره فقط كما صوبه الرافعي ولو قال باسم الله ومحمد رسول الله بالرفع فلا بأس وبحث الاذرعى تقييده بالعارف والا فهما سيان عند غيره ومن ذبح تقربا لله تعالى لدفع شر الجن عنه لم يحرم أو بقصدهم حرم وكذا يقال فى الذبح للكعبة أو قدوم السلطان ولو ذبح مأكولا لغيره كله لم يحرم وان أثم بذلك انتهى قال ابن قاسم العبادى عبارة الروض ولا تحل ذبيحة كتابى للمسيح ومسلم لمحمد أو للكعبة فان ذبح للكعبة أو للرسل تعظيما لكونها بيت الله أو لكونهم رسل الله جاز انتهى وبه يعلم ان تسميته محمدا على الذبح عند الانفراد أو عطفه على اسم الله يحرم ان أطلق ولا يحرم ان أراد التبرك وتحل الذبيحة فى الحالين وأما اذا قصد الذبح له فان أطلق حرم وحرمت الذبيحة وان قصد التعظيم والعبادة كفر وحرمت الذبيحة قال علاء الدين الحنفى فى شرح التنوير (ذبح لقدوم الأمير ونحوه) كواحد من العظمة (يحرم) لانه أهل به لغير الله تعالى (ولو) وصلية (ذكر اسم الله تعالى ولو) ذبح (للضيف لا) يحرم لانه سنة الخليل واكرام الضيف اكرام الله تعالى والفارق انه ان قدمها ليأكل منها كان الذبح لله والمنفعة للضيف أو للوليمة أو للربح وان لم يقدمها ليأكل منها بل يدفعها لغيره كان لتعظيم غير الله فتحرم وهل يكفر قولان بزازية وشرح وهبانية قلت وفى صيد المنية انه يكره ولا يكفر لانا لا نسيء الظن بالمسلم انه يتقرب الى الآدمى بهذا النحر ونحوه فى شرح الوهبانية عن الذخيرة انتهى وقد روى الامام مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وفى رواية من أهل وهو بمعناه ومعنى صدر الحديث النهى عن لعن أبوى غيره فيلعن أبويه فبتسببه كان كأنه قد لعن أبوى نفسه وأما

غاية الرحمة بنا ومشروعية ذلك فى الحيوان رحمة له لما فيه من سهول خروج روحه (قوله عبارة الروض) ولا يجوز ان يقول الذابح باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد أى ولا باسم الله ومحمد رسول الله بالجر كما فى أصله للتشريك فان قصد التبرك فينبغى ان لا يحرم كقوله باسم الله ومحمد رسول الله برفع محمد (قوله انتهى) كلام صاحب الروض (قوله فى صحيحه) عن على رضى الله عنه (قوله لغير الله) تمامه ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض (قوله كأنه قد لعن أبوى نفسه) فيكون ما باب التسبيب هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر قال بعضهم ولعل الوجه فى تفسيره السب بكذا هو استبعاده بان يسب الرجل والديه بالمباشرة فان وقع سب الوالدين يكون واقعا بالسببية سبحان الله اذا استحق من يكون سبب السب لعنه فكيف حال المباشرة

آخره فقال المناوى بأن يذبح باسم غير الله كصنم أو صليب أو لموسى أو عيسى أو الكعبة فكله حرام ولا يحل ذبيحته بل ان قصد به تعظيم المذبوح له كفر انتهى وقال ابن حجر المكى فى زواجره الكبيرة السابعة والستون بعد المائة الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به بان لم يقصد تعظيم المذبوح له كنحو التعظيم بالعبادة والسجود كذا عد هذه الجلال البلقينى وغيره ويستدل له بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق أى والحال انه كذلك بأن ذبح لغير الله اذ هذا هو الفسق هنا كما ذكره الله تعالى بقوله أو فسقا أهل لغير الله به وبهذا بان ان متروك التسمية حلال ويؤيد ذلك ان ابن عباس قال فى تفسير الآية يريد الميتة والمنخنقة الى قوله وماذبح على النصب قال الكلبى يعنى مالم يذك أو ذبح لغير الله تعالى وقال عطاء نهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان قيل ومعنى انه لفسق أى أكل مالم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أى خروج عن الدين الى آخر ما قال فى الدليل ثم قال وقوله تعالى وان أطعتموهم انكم لمشركون والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يسم عليها ذكر ذلك الواحدى وغيره ثم قال وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة ان يقول باسم الله واسم محمد او محمد رسول الله بجر الثانى أو محمد ان عرف النحو فيما يظهر أو ان يذبح كتابى لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى ومسلم للكعبة أو لمحمد صلى الله عليه وسلم أو تقربا بالشيطان أو لغيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهو كبيرة على مامر انتهى فقد

(قوله فقال المناوى) وكذلك ذكر النووى (قوله وانه) الضمير راجع الى ماويجوز أن يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا (قوله أهل لغير الله به) أى رفع الصوت لغير الله به (قوله يريد الميتة) أى مافارقه الروح من غير تذكية (قوله والمنخنقة) أى التى ماتت بالخنق (قوله النصب) وهى كل ماتنصب لتعبد من دون الله وفى تفسير قتادة المشهور عنه ان النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فنهى الله عز وجل عن ذلك وفى تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون لها ويهلون عليها وفى تفسير مجاهد المشهور عنه من رواية ابن أبى نجيح فى قوله تعالى وماذبح على النصب قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية ويبدلونها اذا شاؤا بحجارة أعجب اليهم منها وروى ابن أبى شيبة حدثنا محمد ابن فضيل عن أشعث عن الحسن وماذبح على النصب قال هو بمنزلة ماذبح لغير الله (قوله من الميتة) وهى مامات حتف أنفه (قوله ثم قال وقوله تعالى) وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم أى بقولهم تأكلون ماقتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهذا يؤيد التأويل بالميتة (قوله وان أطعتموهم) فى استحلال ماحرم (قوله انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك (قوله والشرك فى استحلال الميتة) لان الله حرم الميتة

تبين لك من هذه النقول كلها ان مايقرب لغير الله تقربا الى ذلك الغير ليدفع عنه ضيرا أو يجلب له خيرا تعظيما له من الكفر الاعتقادى والشرك الذى كان عليه الأولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل هذه الأمور العظام بالاله الحق المعبود العلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع وصح نهيه صلى الله عليه وسلم عمن استأذنه فى الذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم أكان فيها صنم قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين قال لا قال له فاوف بنذرك أخرج ذلك أبو داود فى سننه وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذى فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعا فلما علم صلى الله عليه وسلم ان ليس هناك شئ من ذلك أجازه ولو علم شيأ مما سئل عنه لمنعه صيانة لحى التوحيد وقطعا لذريعة الشرك وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب قالوا كيف ذلك يارسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لايجاوزه أحد حتى يقرب له شيأ قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله

فان قلتم بتحليلها من غيره فقد أشركتم وقد استثنى الله تعالى من تحريم الميتة حالة الاضطرار فقال فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم وشروط ذلك مذكورة فى كتب الأحكام (قوله ببوانة) بضم الباء الموحدة اسم موضع فيه يقول وضاح اليمن

أيا نخلتى وادى بوانة حبذا * اذا نام حراس النخيل جناكما

(قوله أخرج ذلك أبو داود فى سننه) روى أبو داود فى سننه قال حدثنا داود بن رغنيه حدثنا شعيب بن اسحق عن الأوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى ابن أبى قلابة حدثنى ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى نذرت ان انحر ابلا ببوانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوف بنذرك فانه لاوفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم أصل هذا الحديث فى الصحيحين واسناده على شرطهما ورجاله كلهم ثقات مشاهير وهو متصل فهذا الحديث يدل على ان الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه احدها ان قوله فاوف تعقيب الوصف بالحكم بالفاء وذلك يدل على ان الوصف هو سبب الحكم فيكون سبب الامر بالوفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به الثانى انه عقب ذلك بقوله لاوفاء لنذر فى معصية الله الثالث انه لو كان الذبح فى موضع العيد جائز السوغ صلى الله عليه وسلم للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف ان تضرب به فهذا الحديث يقتضى ان كون البقعة مكانا لعيدهم مانع من الذبح بها وان نذر كما ان كونها موضع أوثانهم كذلك والا لما انتظم الكلام ولا حسن الاستفصال (قوله حتى يقرب اليه شيأ)

فدخل

فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال ما كنت أقرب شيأ لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة ففي هذا الحديث من الفوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم وانه كان مسلما والالم يقل دخل النار وفيه ماينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر الى فؤادك في جميع ماقالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق فان الحق أبلج والباطل لجلج فبالنظر التام الى ما كان عليه المشركون من تقريبهم لأوثانهم لتقربهم الى الله لكونهم شفعاء لهم عند الله وشفاعتهم بسبب انهم رسل الله أو ملائكة الله أو أولياء الله يعلم ضعف ماقاله ابن قاسم العبادي فيما نقلناه عنه فيما سلف ويتبين لك ماعليه الناس الآن والله المستعان

﴿الفصل الثالث في الاستعاذة﴾

اعلم ان الاستعاذة الالتجاء من كل شر فمن استعاذ بغير الله فقد خسر وخاب وان المستعيذ بغير الله تعالى متخذ من استعاذ به وليا ونصيرا من دونه لقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الى قوله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن استعاذ بغير الله على وجه التخليص من الشرور التي لايدفعها الاعلام الغيوب فهو بمن استعاذ به مشرك وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر فأمسى في أرض خالية قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فأنزل الله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي فزاد الانس الجن المستعاذ بهم رهقا أي سفها قال الخطابي لايستعاذ بغير الله أو صفاته اذ كل ماسواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال ومامن مخلوق الا وفيه نقص والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده انتهى وبهذا احتج الامام

فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شئ (قوله فدخل الجنة) وهذا الحديث رواه أحمد عن طارق بن شهاب (قوله الالتجاء من كل شر) فمعنى استعذ بالله امتنع به واعتصم به والجأ اليه (قوله الى قوله) انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (قوله انما سلطانه الخ) المراد بالسلطان الطريق الذي يتسلط به عليهم سواء كان من جهة الحجة أو من جهة القدرة فالقدرة داخلة في مسمى السلطان وهذا أولى من تفسيره بالحجة (قوله والذين هم به مشركون) متضمن ذلك أمرين أحدهما نفي سلطانه وابطاله عن أهل التوحيد والاخلاص والثاني اثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه فمن اعتصم بالله وأخلص له وتوكل عليه لايقدر الشيطان على اغوائه واضلاله وانما يكون له سلطان على من تولاه وأشركه مع الله فهؤلاء رعيته وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم (قوله أي سفها) وانما وطغيانا وشرا وذلك انهم قد قالوا اسدنا الجن والانس فالجن

أحمد وغيره على ان كلام الله تعالى غير مخلوق قالوا وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات ولا يستعاذ بمخلوق وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالمخلوقين ويؤيد ما قلنا من ان الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه الا الله شرك اعتقادى وقد جعل المستعيذ نصيبا من ماله لمن استعاذ به ليرفع عنه أو عن غيره ما حل به من المس واللمم أو يدفع ما يحذره من سائر الألم قائلا في تعازيمهم أعوذ بفلان وفلان ومن ساد من انس وجان من شر كذا وكذا ثم ينحر النحيرة لسكان الأرض من الجيران ليرفعوا ويدفعوا عنه ما حل به وكان ويدس ما نحره لهم في التراب ليكون لهم خالصا وطعاما سائغا وبعضهم يقول أعوذ بأبي الجان وشهاب الشيطان من العين ولذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروعين وأغلبها بل كلها لا تخلو عن هذه المصائب في الدين والاكدار لصفو اليقين وأباح العلماء الاستشفاء بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر فالاقتصار على ما ورد محبوب والوقوف عنده مطلوب فقد كثر الاعتساف وقل الانصاف ونحن الآن في زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر لا تعرف فيه الا المنكرات ولا تؤلف غير الضلالات قد رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ولم يعرفوا أول الأمر وآخره لاهية قلوبهم ظاهرة عيوبهم لا يستحيون من الله ولا يعملون لله فهم بأديان الرسل يلعبون فانا لله وانا اليه راجعون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال المؤلف رحمه الله تعالى نجز بفضل الله ومنه بتاريخ ليلة الخميس الثامنة عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٤ والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين آمين اه وقع الفراغ من تميم هذه النسخة الشريفة في ١٤ شهر رجب سنة ١٢١٤ على

تتعاظم في أنفسها وتزداد كفرا اذا عاملتهم الانس بهذه المعاملة (قوله بكلمات الله التامات) وهي كتبه المنزلة على أنبيائه ووصفها بالتمام لعرائها عن النقص والانفصام (قوله التي فيها شرك) أما الرقى التي لا شرك فيها فلا بأس بها كما قال صلى الله عليه وسلم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا (قوله المصروعين) واتفقوا على ان كل رقية أو تعزيم أو قسم فيه شرك بالله فانه لا يجوز التكلم به وان أطاعته به الجن أو غيرهم وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به لامكان ان يكون فيه شرك لا يعرف (قوله رب العزة) بدل أو صفة لربك وأضيف الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة وما من عزة لأحد الا وهو مالكها وخالقها والمعنى انه سبحانه وتعالى لعزته وغلبته منزه (قوله عما يصفون) أي يذكرون له من الولد والصاحبة والشريك وينعتونه بما لا يليق بذاته وصفاته من المشركين والملاحدة والزنادقة (قوله سلام) عظيم

بد

بد الفقير الحقير محمد أمين ابن المؤلف المذكور ضوعفت له الأجور الشيخ على نجل العلامة الشيخ أبى السعود محمد سعيد نجل العلامة الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعى بن ناصر الدين الشهير بالسويدى البغدادى مسكنا الشافعى مذهبا غفر الله له ولهم آمين

﴿ يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى ﴾

نحمدك اللهم على ماتفضلت من نعمائك ونشكر على ماألهمت مما يجب من التقديس لعليائك ونصلى ونسلم على نبيك المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المتقين وعلى آله ذوى المنح العليه وأصحابه أولى النفوس الزكيه ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب العقد الثمين فى بيان أصول الدين للعلامة الفاضل والملاذ الكامل خاتمة الحفاظ المحدثين ونخبة الرؤساء من المحققين علامة الزمان وجوهرة عقد فضلاء الاوان الشيخ على بن أبى السعود الشهير بالسويدى رحمه الله وأثابه رضاه وكتابه هذا نبذة فى تحقيق مسائل من أصول الدين لايستغنى عنها جهابذة العلماء العاملين فضلا عن القاصرين جمع فيه مهمات أصول أبان فيها عن تحقيق ونبه على بدع غرق فى تيار سيلها من لم يتمسك بالكتاب والسنة ويكون ذا بصيرة وتوفيق وبالجملة فمن تدبر درره وأخلى من التعصب والحسد صدره رأى من محاسن صاحبه مالا يمكن حصره ويصعب على اللسان ذكره ولما كانت النسخة التى أحضرت للطبع عليها فيها من الحواشى مالا يستغنى عن اثباته ويعز الوقوف على مثلها فى تحقيق بيناته جردناها وجعلناها بأسفل الكتاب فكملت محاسنه وطابت ثماره لذوى الألباب وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٥ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه آمين